تلمسانيات في أعمال الدكتور عبد الحميد حاجيات

(1)

بغية الرواد

في ذكر الملوك من بني عبد الواد

تأليف

أبي زكرياء يحيى ابن خلدون

تقديم وتحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات

الجزء الأول

عالم المعرفة

للنشر والتوزيع

الجزائر

Scanned by CamScanner

نصوص في أعمال الدكتور عبد الحميد حاجيات

(1)

بغية الرواد

في ذكر الملوك من بني عبد الواد

تأليف

أبي زكرياء يحيى ابن خلدون

تقديم وتحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات

الجزء الأول

عالم المعرفة

للنشر والتوزيع

الجزائر

الناشر : عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر

69 تجزئة المندرين تاماريس المحمدية-الجزائر

هاتف وفاكس : 021219296

e-mail: alemelmaarifa@hotmail.fr
website: www.algerianbooks.com

الإيداع القانوني : 2011-1655

ردمك: ISBN 978-9947-912-68-3

جميع الحقوق محفوظة

طبعة خاصة

2011 م

تلمسان 2011

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقّق

يحيى ابن خلدون

حياته و آثاره

أ، حياة يحيى ابن خلدون

ولد أبو زكرياء يحيى ابن خلدون بتونس، سنة 734 / 1334، أي بعد أخيه عبد الرحمن بحوالي سنتين. وقد بلغت شهرة عبد الرحمن المؤرخ الذائع الصيت، مبلغًا عظيمًا، وعني الباحثون بدراسة إنتاجه الفكري عناية كبرى، الأمر الذي أدّى إلى انشغالهم به وبفلسفته الاجتماعية عن أخيه يحيى وآثاره التاريخية والأدبية. نعم، لم يعن بدراسة يحيى ابن خلدون إلا القليل من الباحثين، رغم أن عددًا كبيرًا من المؤرخين والأدباء اعتمدوا على كتابه " بغية الروّاد "، ونقلوا عنه أخبارًا عديدة وأشعارًا كثيرة[1].

وقد يكون من أهمّ العوامل في ذلك أن كتب تراجم علماء القرن الثامن الهجري قد أغفلت ذكره، فلم تَرِدْ ترجَمَتُه في أغلب كُتب التراجم[2]. غير أن الباحث قد يستقي معلومات جدّ مفيدة من مصادر أخرى، وبخاصة بعض الفقرات الواردة في "بغية الرواد"، التي تلقي بعض الأضواء على حياته، وعلى التيارات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تُمَيِّزُ عصرَه. ويضاف إلى ذلك ما يمكن العثور عليه من الأخبار في كتب التاريخ والرحلات والتراجم، ممّا يساعد على إزاحة الستار عن بعض جوانب حياة يحيى ابن خلدون، وكشف بعض ما لا يزال غامضًا من معالم شخصيته.

Scanned by CamScanner

1. البيئة العائلية

ينتمي يحيى ابن خلدون إلى أسرة عريقة في الثقافة والعلوم، وقد شغل بعض أفرادها مناصب سامية في الدولة الحفصيّة، وبخاصّة خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

وكان بنو خلدون ينحدرون من أسرة عربية قديمة، أصلها من حضرموت، استقرّت بالأندلس إثر الفتح الإسلامي، وكانت تعدّ من أبرز بيوتات إشبيلية. وانصرفوا إلى الْمَهامّ العسكرية، ممّا سمح لهم، أحيانًا، بالتدخل في الشؤون السياسية[3] ولم يَنْبُغ منهم في المجال الثقافي إلا القليل، مثل ذلك الطبيب الذي ذكره ابن أبي أصَيْبِعَة وابن حَزْم، وكان يدعى أبا مسلم عمر بن محمد[4].

ولما عجز المسلمون بالأندلس عن دفع خطر الأسبان، وأصبح هؤلاء على وشك الاستيلاء على معظم مدن الجزيرة، قرّر بنو خلدون مغادرة البلاد، والهجرة إلى المغرب. فنزلوا أولا بسَبْتَة، حوالي سنة 630 هـ. ثم انتقل جدُّ جدِّ يحيى ابن خلدون، واسمه الحسن ابن خلدون، إلى إفريقية، حوالي سنة 640 هـ، فاستقبل استقبالاً حسنًا من طرف الأمير الحفصي أبي زكرياء (625 - 647 هـ). وأدّى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام[5]، ثم عاد إلى إفريقية، والتحق ببلاط أبي زكرياء.

وكانت تربط بين أسْرَة بني خلدون والأمراء الحفصيين أواصِرُ الصداقة، منذ أن كان هؤلاء ولاة على إشبيلية، أيام دولة الموحدين[6]. فلا غرابة إذن أن يُسْتقبَل الحسن ابن خلدون استقبالاً حسنًا في البلاط الحفصي، وأن يحظى بعناية الأمير أبي زكرياء الذي " فرض له الأرزاق، وأقطع الأقطاع "، ثم أن ينال أبناؤه نفس الامتيازات من بعده[7]. وبعد وفاته بعَنَّابَة، سنة 645 هـ، شغل ابنه أبو بكر محمد نفس الْمَنْزِلة السّامية في بلاط الأمير أبي زكرياء، ثم ابنه الْمُسْتَنْصِر (647 - 675 هـ).

والجدير بالملاحظة أن أبا بكر هذا، الذي شغل وظيفة في الإدارة المالية، ألف كتابًا عنوانه " أدب الكاتب "، في موضوع صناعة كتّاب الدولة وما يحتاجون إليه من إرشاداتٍ تمسُّ بوظيفتهم. وقد سَمَحَ الْحَظُّ لأحد المستشرقين بالاطّلاع على

Scanned by CamScanner

مخطوط لهذا الكتاب فوصفه وصفًا دقيقًا، وذكر أنه يتضمّن معلومات قيّمة حول التنظيم الإداري والمالي للدولة الحفصيّة. والغريب أننا لم نجد في إنتاج عبد الرحمن ابن خلدون وأخيه يحيى أي ذكر لهذا التأليف، ومن المحتمل أنّهما لم يطلعا على وجوده[8].

ولما استولى أبو إسحاق أخو المستنصر على العرش الحفصي سنة 678 هـ، عظم نفوذ أبي بكر محمد ابن خلدون، الذي أصبح يحتلُّ منزلة مَرْمُوقة في جهاز الدولة، حيث عُيّنَ في منصب صاحب الأشغال، وكانت مهمّته تَخُصّ مراقبة الدخْل والخَرْج من أموال الدولة، وما كان يصل إلى بيت المال مِن جبايات الولاة[9].

غير أن الجوّ السياسي ما لبث أن تعكّر، حيث كثرت الدسائس والمؤامرات وذهب ضحيتها كثير من كبار المُوَظّفين. وكان التنافس القائم بين العناصر المُوَحِّدِيَّة والأندلسيين عاملاً هامًا في ذلك[10]. وقد حاول أبو إسحاق العمل على تخفيف حِدَّة الاضطرابات، فأبعد ابنَه أبا فارس عن العاصمة، وعيّنه واليًا على بجاية. وأقام بجانبه، في منصب الحجابة، محمد بن أبي بكر بن خلدون، جدّ يحيى ابن خلدون، وذلك في ربيع الثاني سنة 679 هـ[11].

وقد لعب محمد بن أبي بكر ابن خلدون دورًا هامًا أثناء ثورة ابن وزير، وَالي قسنطينة. وكان أبو فارس قد حاصر المدينة، وعهد إلى محمد ابن خلدون بمهمّة الإشراف على اقتحام الأسوار والاستيلاء عليها[12]. غير أنه لم يلبث أن تخلّى عن منصبه، وعاد إلى تونس[13].

ثم إن أبا إسحاق تعرَّضَ، بعد ذلك بقليل، إلى حركة الدعِيّ ابن أبي عُمارة، الذي استولى على تونس في شوّال سنة 681 هـ[14]، فما كان من أبي إسحاق إلا أن غادر عاصمته، متجهًا إلى المنطقة الغَرْبية، وصحبه إليها محمد ابنُ خلدون. أما أبو بكر ابن خلدون، والد هذا الأخير، فإنه مكث بتونس. فأمر ابن أبي عُمارة بإلقاء القبض عليه، وسجنه، وصادر أمواله، ثم قتله خنقًا في محبسه[15]. ثم كانت وقعة مَرْمَاجَنّة، التي هُزِمَ فيها أبو فارس، وانقضى أمر أبي إسحاق. فاتصل محمد ابن أبي

Scanned by CamScanner

بكر بن خلدون بالأمير أبي حفص، أخي المُسْتنصر، وصحبه في محاولته استرجاع عرش تونس، إلى أن تمّ النصر، وقضى على الدَّعِيّ ابن أبي عُمارة (26 ربيع الثاني 683 هـ)[16]، وحظي محمد ابن خلدون عند الأمير أبي حفص، الذي رَعَى له سابق خدماته وأقطعه ضِياعًا، كما أنه كلَّفه أثناء إمارته (683 – 694 هـ) ببعض المَهامّ العسكريّة[17].

ثم ولي على العرش الحفصي أبو عصيدة (694 – 709 هـ)[18]. وكان شابًّا لا يتجاوز عمرُهُ 15 سنة. فعيَّن محمد بن إبراهيم الدباغ حاجبًا له، "وجعل محمد ابن خلدون رديفًا في حجابته، فكان كذلك إلى أن هلك السلطان". وفي عهد الأمير أبي البقاء خالد (709 – 711 هـ) لم يشغل جَدّ يحيى ابن خلدون أيَّ منصب في الدولة، إلا أنه بقي " على حاله من التَّجِلَّة والكرامة ".

ثم جاءت دولة ابن اللحياني (711 – 718 هـ)، الذي قرَّب إليه عناصرَ من الجالية الأندلسية، وبخاصة أسرة بني يعقوب. فعيَّن من بين أفرادها حاجبه وصاحب الأشغال، كما أنه استعمل محمد ابن خلدون لحماية جزيرة جَرْبَة من غارات دلَّاج، من قبيلة سُلَيْم[19]. وبعد انْقِراض دولة ابن اللحياني، قرَّر محمد ابن خلدون مقاطعة البلاط، والتزامَ الزهد والتوبة، وأدّى فريضة الحجِّ سنة 718 هـ. ثم حجَّ مرّة ثانية سنة 723 هـ وأبقى له الأمير أبو يحيى ما كان يناله بنو خلدون أيام أسلافه من إقطاع وجِراية، إلا أنه لم يعيِّنه في وظائف الدولة. فعاش محمد ابن خلدون السنوات الأخيرة من حياته في صحبة الأدباء والفقهاء، منقطعًا عن الحياة السياسية إلى أن توفي سنة 737 هـ[20].

أما ابنه محمد أبو بكر، والد المؤلف، فإنه نشأ في جوِّ زُهْد وتَقْوَى، ودرس العلوم الدينية والأدبية على الفقيه أبي عبد الله الزبيدي، الذي كان مشهورًا بالولاية والصلاح[21]. وكان لهذه النشأة أثرٌ كبير في الاتجاه الجديد الذي سلكه والد المؤلف. وذلك أنه، خلافًا لأبيه وجَدِّه، نزع " عن طريقة السيف والخدمة إلى طريقة العلم والرباط... فقرأ وتفقَّه، وكان مقدمًا في صناعة العربية، وله بَصَر بالشعر

وفنونه "، مِمَّا جعل " أهل الأدب يتحاكمون إليه فيه، ويعرضون حَوْكهم عليه "[22].

وهكذا كانت نشأة يحيى ابن خلدون في جوٍّ علمي، يحمل طابَعَ الجِدّ والعناية، والاهتمام الكبير بالعلوم الدينية، والتفتُّح إلى الأدب والشعر. فقضى طفولته بعيدًا عن المؤامرات وتقلبات الحياة السياسية، في بيئةٍ مُفْعَمة بحبِّ العلم والتقوى. ويمكن القول إنَّ تكوين يحيى ابن خلدون وأخيه عبد الرحمن في المجال الفكري، وحتى الطريق التي سلكاها في حياتهما، يتصلان اتصالاً وثيقا بالبيئة العائلية التي نشأ فيها، وبالمنزلة التي كانت تحتلُّها أسرتهما، منذ ما يقرب من قرن، في المجتمع التونسي.

2. تكوين يحيى ابن خلدون الفكري

أ) المرحلة الأولى (734 - 749 هـ)

لم يتحدث يحيى ابن خلدون عن تكوينه الفكري. ولم يذكر، في هذا المجال، إلا النزر القليل من الأخبار[23]، ومن حسن الحظ، فإن أخاه عبد الرحمن قد أورد في كتابه "التعريف بابن خلدون" أخبارًا قيِّمة حول الأساتذة الذين أخَذَ عنهم منذ طفولته. ويمكن اعتبار أن مُعْظَم أولئك الأساتذة قد ساهموا أيضًا في تكوين أخوَيْه يحيى ومحمد[24]. وإذا كان يحيى أصغر سِنًّا من عبد الرحمن، فلم يكن الفرق بين عمرهما كبيرًا، إذ أنه كان لا يتجاوز سنتَيْن.

وكانت بداية تعلُّم أبناء محمد ابن خلدون الثلاثة على يد الشيخ ابن بَرال[25]. فحفظوا على يده القرآن، وأخذوا عنه علم القِراءات، ودرسوا كتاب التَّقَصّي لأحاديث الموطإ لابن عبد البَرِّ، في الحديث، ومختصر ابن الحاجب، في الفقه، وكتاب التحصيل لابن مالك، في النحو. وبالإضافة إلى ذلك، كان محمد ابن خلدون يلقن أبناءه صناعة العربية[26]، وكذلك بعض أساتذة تونس، مثل الحصائري[27]، والزرزالي[28]، وابن القصّار[29]، وأبي عبد الله محمد بن بحر[30].

وكان هذا الأخير يصرف عناية خاصة لتلقين العلوم اللسانية، وكانت طريقته في التعليم تعتمد كثيرًا على الحفظ. فأشار على أبناء محمد بن خلدون بحفظ

Scanned by CamScanner

كثير من الأشعار، وبالخصوص شعر المعلقات، وشعر أبي تمّام والمتنبي وأبي العلاء المعرّي وغيرهم.

وفيما يخصُّ العلوم الدينية، فقد أخذ أبناء محمد ابن خلدون عن أشهر الأساتذة بتونس قبل حركة أبي الحسن المريني إلى إفريقية، أمثال أبي عبد الله ابن جابر الوادي آشي[31]، والقاضي ابن عبد السلام[32]، وأبي عبد الله الجياني[33]، وأبي القاسم محمد بن القصير[34]. وكان هذا الأخير يدرِّس كتاب " التهذيب " للبراذعي.

ويمكن القول إن هذا التعليم، الذي يرتكز أساسًا على الحفظ، كان يرمي قبل كل شيء إلى تكوين فقهاء مقلدين للسلف، وكتّاب وشعراء ينسجون على منوال مَن سبقهم من العلماء والأدباء، ويحذون حَذوَهم اعتمادًا على ما حفظوه من النثر والشعر، ويمتثلون لمقتضيات الذوق الأدبي السائد في عصرهم. والجدير بالملاحظة أن العلوم الطبيعية لم تَحْظَ بمكانة هامّة في هذا التكوين فلم يَردْ ذِكرٌ للطب والتنجيم والرياضيات من بين العلوم التي تلقاها عبد الرحمن ابن خلدون وأخواه أثناء هذه الفترة[35].

إلاّ أن حركة السلطان أبي الحسن الْمَريني إلى إفريقية، سنة 748 هـ، غيَّرت الأوضاعَ بها، لا في المجال السياسي فحسب، بل أيضًا في الميدان الفكري، حيث إنها مكنت أبناء محمد ابن خلدون من تجاوز إطار التعليم الضيّق، الذي كان قائمًا بتونس، والاتصال بأساتذة البلاط المريني، والاستفادة من علومهم وطرق تعليمهم المختلفة[36].

ب) تكوين يحيى ابن خلدون أثناء حركة أبي الحسن المريني إلى إفريقية

لم يمض على وفاة السلطان أبي يحيى الحفصي أكثر من سنة حتى قام أبو الحسن الْمَريني بحركته إلى إفريقية. وفي 8 جمادى الثانية 748 هـ دخل تونس. وكان يصحبه في حركته هذه كثيرٌ من كبار العلماء والأدباء، فأقبل عليهم الطلبة ينهلون من علومهم الزاخرة، وبخاصة أبناء محمد ابن خلدون. ومن بين أولئك العلماء مَن انتصب للتدريس بتونس، فاستفاد منهم الطلبة، وتأثروا كثيرا بطريقتهم

Scanned by CamScanner

التربوية، وخصوصًا يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن. وممّن كان له الحظ الأوفر في ذلك التأثير:

1. الشّطّي[37].

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان الشّطّي. ولد بفاس، وأخذ عن أبي الحسن الصغير. كان متضلعًا في الفقه على مذهب مالك، واشتهر شرحه على الحَوْفي في الفرائض. أقام بتونس من سنة 748 إلى 750 هـ ثم غادر إفريقية صحبة أبي الحسن المريني، غير أنه غرق في البحر أثناء الزوبعة التي أصابت الأسطول المريني، قرب تدلّس (شوال 750 هـ).

2. ابن الصَّبّاغ[38].

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصبّاغ، مكناسي الأصل. كانت له معرفة جيدة بعلم الحديث وكان متضلعًا في التعاليم، أخذها عن الآبلي. وتوفي أيضًا أثناء غرق أسطول أبي الحسن المَريني، قرب ساحل تَدَلُّس.

3. ابن عبد النور[39].

أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد النور، أصله من ندرومة، بناحية تلمسان. أخذ العلم بتلمسان على العالِمَيْن الأخوَيْن أبي زيد وأبي موسى ابنَي الإمام. وكان يُجيد معرفة الفقه على مذهب مالك. ولمّا استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان، قرّب إليه العلماء ونظم الكثير منهم في مجلسه العلمي. وكان من بينهم ابن عبد النور، ضمّه السلطان المريني إلى المجلس العلمي بإشارة من أبي زيد ابن الإمام. ثم عيّنه قاضيَ المعسكر، واصطحبه في جملة العلماء الذين قدم بهم إلى إفريقية. وتوفي ابن عبد النور بالطاعون في تونس، سنة 749 هـ.

4. ابن عبد المُهَيْمِن الحضرمي[40].

هو أبو محمد عبد المُهَيْمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السَّبْتِي. ولد بسبتة سنة 675 هـ، أخذ عن أبي إسحاق الغافقي الأندلسي، المتوفى سنة 716 هـ[41]. ثم انتقل إلى غرناطة بعد احتلال الأمير أبي سعيد بن إسماعيل ابن عمّ السلطان

Scanned by CamScanner

محمد المخلوع ابن محمد الفقيه ابن محمد بن يوسف بن الأحْمَر لسبتة، سنة 703 هـ، وأخذ بالأندلس عن أبي جعفر بن الزبير[42]، وقد أجادَ معرفة كتاب سيبويه، وتضلع في العربية. وكان كاتبًا مشهورًا، اتصل بابن الحكيم[43] بغرناطة، وكتب له. وفي تلك الأثناء عرف ابن رشيْد[44]، والشاعر الصوفي ابن خميس[45]. وبعد مقتل ابن الحكيم، واستيلاء المرينيين على سبتة، عاد ابن عبد المهيمن إلى مسقط رأسه. وفي سنة 712 هـ عيّن كاتبًا للسلطان، وصاحب العلامة. وفي عهد أبي الحسن أسندت إليه نفس الوظائف وألحِقَ بالمجلس العلمي. ثم صحب السلطان إلى إفريقية سنة 748 هـ، وسرعان ما انعقدت صلة طيّبة بين هذا العالِم، الذي كان يحتلُّ منصبًا ساميًا في البلاط الحفصي وأسرة بني خلدون. وقد يكون من بين العوامل التي أدَّت إلى تعزيز هذه الصلة، انتسابُ كلّ من بني خلدون وابن عبد المهيمن إلى بلاد حضرموت. ولَمَّا توجَّه السلطان أبو الحسن إلى القيروان لإخضاع قبائل العرب الخارجة عن طاعته، لم يصحبه ابن عبد المهيمن لأنه كان مصابًا بمرض النقرس.

ثم كانت هزيمة السلطان المريني، بعد ذلك بقليل، وتأزم الوضع السياسي بتونس، نتيجة لذلك، ممَّا اضطرَّ ابن عبد المهيمن الحضرمي إلى الالتجاء إلى بيت بني خلدون. ولمَّا عاد السلطان أبو الحسن إلى تونس، أعرض عن ابن عبد المهيمن مدة، ناقمًا عليه مغادرة القصبة، أيام الاضطرابات. ثم أعاده إلى منصبه، غير أنه أصيبَ، بعد ذلك بقليل، بالطاعون. وتوفيَ في 13 شوال 749 هـ[46].

لقد كان ابن عبد المهيمن بارعًا في فنون الأدب، فصيحًا بليغًا، استفاد تلامذته كثيرًا من معلوماته وفنه. ويمكن القول إنَّ ابن عبد المهيمن الحضرمي قد ساهم مساهمة كبرى في تكوين يحيى بن خلدون الأدبي لِما كان يتمتع به من شهرةٍ ونفوذٍ في البلاط، ولِما كان يوليه محمد ابن خلدون، والد المؤلف، من عنايةٍ بفنون الأدب، ولطول المدة التى أقامها ابن عبد المهيمن في منزل بني خلدون.

Scanned by CamScanner

5. ابن رضوان[47].

هو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي. ولِد بالأندلس، وأخذ بمالقة العلوم الدينية عن أشياخ أجلّة، مثل القاضي أبي جعفر ابن عبد الحق، والقاضي أبي بكر بن منصور، والحافظ أبي حفص الطنجالي. ثم انتقل إلى غرناطة، وفيها أخذ عن أبي الحسن الجيّاب، رئيس الكتّاب، وتضلع في العلوم اللسانية والأدب والشعر والوثائق. وعيّنَ عَدلاً في مالقة، ثم غادرها إثرَ معركة طريف (7 جمادى الثانية 741 هـ). واتصل بأبي الحسن المريني بسبتة، فمدحه، وعيّنَ نائبًا لقاضي المعسكر ابن أبي يحيى[48]. ثم ألحِقَ بديوان الإنشاء، وعيّن كاتبًا فيه، فكان تحت إشراف ابن عبد المهيمن الحضرمي، وتتلمَذ له.

وأخذ كذلك على علماء بلاط أبي الحسن المريني، أمثال ابن يربوع السَّبْتِي والآبِليّ وابن النَّجّار. ثم صحب أبا الحسن مع غيره من العلماء والكتّاب إلى تلمسان، ثم إلى إفريقية. وفي تونس أخذ عن ابن عبد السَّلام. وكان، إثرَ واقعة القيروان، من بين الذين حُوصِرُوا بقصبَة تونس، فتولّى أمر المُراسلات في غيبة ابن عبد المهيمن. فرعى له السلطان أبو الحسن حَقَّ خدمته، وقرَّبه إليه.

ولما غادر أبو الحسن إفريقية، ترك بها ابنه الأمير أبا الفضل، وجعل ابن رضوان كاتبًا له. ثم استولى الحفصيون على تونس، ممّا أرغم الأمير أبا الفضل على مغادرة المدينة. أما ابن رضوان، فإنه أقام بعد ذلك بتونس سنة، ثم غادرها وتوجّه، عن طريق البحر، إلى الأندلس، واستقرَّ مدة بالمَريَّة، حيث كانت حرَمُ أبي الحسن المريني وبعض أبنائه، وقام بخدمة هؤلاء[49]. وبعد وفاة السلطان أبي الحسن، وفد ابن رضوان على ابنه وخلفِهِ أبي عِنان بفاس، رفقة حَرَمِ أبيه وإخوته، فعيَّنه أبو عنان كاتبًا له، وألحقه بمجلس العلماء. ثم أسندَ إليه مَنْصِبَ صاحب العلامة، ولكنه نكبه سنة 757 هـ. وفي عهد أبي سالم عيّن ابن رضوان في وظيفة صاحب الإنشاء[50]. ثم أضيفت إليه العلامة بعد وفاة أبي سالم، أيام استيلاء الوزير عمر ابن عبد الله على الحُكم. ومكث ابن رضوان يشغل هذه الأعمال إلى وفاته، سنة 784 هـ[51].

Scanned by CamScanner

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الاتصال الدائم الذي كان يربط بين ابن رضوان وابن عبد المهيمن، في مجال خدمة السلطان، أيام أبي الحسن المريني، ظهر لنا أن علاقة هاذين الأديبَيْن بأسرة بني خلدون كانت ترتكز على دعائم قويّة، إذ أنها كانت تُضيف إلى روابط العلم واللغة والدين، رابطة الانتماء إلى الأصل الأندلسي.

وقد تكون صلة ابن رضوان بعبد الرحمن ابن خلدون وأخيه يحيى أقرب إلى صداقةٍ نشأت ونَمَتْ بين شبَّانٍ جمع بينهم تعلقهم بحياة البلاط، وشغفهم بالآداب والعلوم، وانتماؤهم إلى أصلٍ أندلسي، منها إلى صلة الأستاذ بالتلميذ. إلّا أن ما كان يَمْتاز به ابن رضوان من ظَرَفٍ وثقافة واسعة[52]، وبراعةٍ في الآداب، ونبوغ في الكتابة، رغم صغر سِنهِ، والمنزلة التي كان يحظى بِها في بلاط السلطان، كل ذلك كان يبشر بمستقبَل زاهر، ويُمَكِّن عبد الرحمن ابن خلدون وأخاه يحيى من الاستفادة من هذه العلاقة، والتأثر بنثر ابن رضوان الفني وشعره وآرائه[53].

6. ابن شعَيْب[54].

أبو العباس أحمد بن شعيب الفاسيّ. كان كاتبًا وطبيبًا في البلاط المريني، أيام السلطان أبي سعيد، ثم ابنه أبي الحسن. واشتهر بتضلعه في التعاليم والطب والفلسفة، مع إجادة الكتابة والشعر. وقال عنه عبد الرحمن ابن خلدون إنه " كانت له إمامة في نقد الشعر وبصَرٌ به "[55]. وكان ابن شعيب من بين العلماء الذين وفدوا إلى تونس صحبة أبي الحسن المريني، وأقام بها إلى أن توفيَ فيها بالطاعون. ومن المحتمَل جدا أن يكون من أساتذة يحيى بن خلدون، كما كان أستاذا لأخيه عبد الرحمن، وخصوصًا في العلوم اللسانية.

7. الآبلِيّ[56].

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العَبْدَرِيّ التلمساني الآبلي. ولِدَ بتلمسان سنة 681 هـ، وأخذ بها عن جدِّه لأمِّه القاضي ابن غَلْبُون، وعن أبي الحسن التنسي[57]، فنَبَغَ في التعاليم. وفي أثناء الْحِصار الطويل، غادر تلمسان. ثم توجّه إلى العراق، " في زيّ الفقراء السفارة، فلقي به وبغيره من بلاد المشرق العلماء

Scanned by CamScanner

وأخذ عنهم "[58]. ومن العلماء الذين اتصل بِهم بِمِصْر ابْنُ دَقيق العيد، المتوفى في صفر 702 هـ[59]، أخذ عنه خلال السنتَيْن الأوليَيْن من رحلته[60]. ولمَّا عاد إلى المغرب، استقرَّ الآبلي بتلمسان، وعُيِّنَ في منصب قهرمان القصر، ويعني ذلك الإشراف على شؤون القصر الماليَّة. وكان الآبلي في تلك الأثناء يتابع دراسته العلميَّة ويأخذ بالخصوص عن أبي موسى بن الإمام. ثم رأى أبو حَمُّو الأول أن يعَيِّنَ الآبلي في عمل إداري هامّ بمنطقة بني راشد، فلم يَرْتَضِ ذلك الآبلي، الذي كان يفضل الاشتغال بالعلم. ولم يَرَ وسيلة يتخلص بها من الوظائف الإدارية سوى مغادرة تلمسان والتوجُّهِ إلى فاس، بعد أن قطع المسافة عن طريق الجبال لئلَّا يعثر عليه أحد من قِبَل أبي حمُّو الأول. ولم يطل مُقامُ الآبلي بفاس إلَّا بضعة أشهر، قضاها عند يهودي كان متضلعًا في التعاليم، ويدعى خلّوف المغيلي.

ثم انتقل الآبلي إلى مرَّاكش، سنة 710 هـ[61]، وأخذ عن أبي العباس ابن البَناء[62]، صاحب المؤلفات الشهيرة في الحساب والتنجيم. وطال مُقامه بمرَّاكش، ممَّا جعله يتمكن من إتمام تكوينه في التعاليم، والسيطرة على هذه العلوم. وبعد وفاة ابن البَنَّاء، سنة 721 هـ، توجَّه الآبلي إلى جبال السوس، واتصل هناك بشيخ قبيلة هسكورة علي بن محمد بن تَرُومِيت، ومكث عنده سنوات قضاها في التعليم والبحث. ثم تبع ابن تروميت إلى فاس وأقام بها، وواصل بها نشر العلم. فقصده كثير من الطلبة وذاع صَيْته، فحَظِيَ في بلاط أبي الحسن الْمريني، وصحِبه في حركته إلى الْمَغْرب الأوسط، سنة 735 هـ، ثُمَّ إلى تونس، سنة 748 هـ، حيث انعقدت بينه وبين أسرة بني خلدون علاقات طيِّبة. وعهد إليه محمد ابن خلدون بتعليم أبنائه مدة أربع سنوات. ولقد بلغ تأثير الآبلي في تكوين يحيى ابن خلدون وأخيه مبلغًا عميقًا. ويتمثل ذلك، بالنسبة للعلوم العقلية والطبيعية والتاريخ، في الحصول على تكوينٍ مَنْطِقِيّ ضروري لتفهُّم الأحداث الاجتماعية والتاريخية فهمًا صحيحًا، ونقد الأخبار نقدًا عِلْمِيًا[63].

والجدير بالملاحظة أن الآبلي كان يمتاز، من بين أساتذة يحيى ابن خلدون،

Scanned by CamScanner

بشخصيَّة قَويَّة، ويتمتع بتقدير عظيم من تلاميذه. فكان يُعْتَبَر مثالاً للعالِم الكامل لِمَا اختصَّ به من تجربة غنيَّة، وذكاء مُفْرِط. ولا شك أن ذلك قد شكَّل عاملاً قويًا في الاتجاه الذي سلكه عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يَحْيَى في حياتِهما. ويظهر ذلك بِجلاء في مَيْلهما إلى الرحلات والأسفار، وحبّ العلم، وتفتُّح الذِّهْن إلى مُخْتَلف العلوم، والتعطُّش إلى الْحُرِّيَّة، الْمُفْضي إلى العُزْلَة العلمية، والالتجاء إلى ساحة بعض أشياخ القبائل والاحتماء بهم، مِمَّا سبقهما به الآبلي في حياته.

لقد أقام عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحيى سنوات في حماية ابن مُزْنِي، شأنهما في ذلك شأن الآبلي مع ابن تَرُومِيت شيخ قبيلة هسكورة. وإذا كان عبد الرحمن يبدو أكثر مَيْلاً من أخيه يحيى إلى الرحلة عَبْرَ الْمَغْرِب والأندلس والْمَشْرق، فإن يحيى قد تنقَّل أيضًا في عَوَاصِمِ الْمَغْرب. ولا شك أن وفاته في سِنٍّ باكر قد منعته من اقتفاء آثار أخيه. ولو طال عمره لكان رُبَّما قد قَضَى قسطًا كبيرًا من حياته في التجْوَال عبر الأراضي الإسلامية.

أمَّا في مجال المنهجيَّة والتكوين الفكري، فكان فَضْلُ الآبلي على عبد الرحمن ابن خلدون عظيمًا[64]. وكذلك على أخيه يحيى، ولاسيما إذا اعتبرنا أن ما حصل له من تكوين فقهي وأدبي على العلماء الآخرين، لم يكن يحمل في طيَّاته بذورًا تَتَّجِهُ اتجاهًا صريحًا نحو رؤية علميَّة للكون، وإدراكٍ مَنْطِقِيّ وموضوعيّ للتاريخ.

ج) بعد الاستيلاء المريني

لم تُسْفِرْ حركة أبي الحسن المريني إلى إفريقية عن أيّ استقرار سياسي، بل اصْطَدَمَ هذا السلطانُ بِمُعارضة العرب المتمَرْكِزين في المنطقة الجنوبية، ومُنِيَ بهزيمة شنعاء قرب القيروان في 7 محرم سنة 749 هـ، فانهارَ مُلْكُه في مُدَّةٍ وَجيزة، واتجه ابنه أبو عنان إلى فاس، ودعا بها لنفسه بالملك. ثم استقلَّتْ عواصمُ المغرب الأوسط وإفريقية. وعادت إلى الوجود إمارة بني زيان بتلمسان، والإمارة الحفصية ببجاية وقسنطينة، وانتشر الطاعون بإفريقية فساءت أحوال المرينيين بها، وهلك عدد كبير من العلماء والأهالي، من بينهم محمد ابن خلدون، والد المؤلف[65].

Scanned by CamScanner

وحينئذ اضطرَّ أبو الحسن المريني إلى مغادرة تونس بحرًا، والتَّوَجُّه إلى شواطئ الْمَغْرب الأوسط، في شوال 750 هـ، تاركًا المجال فسيحًا للأمير الفضل الحفصي. وبعد أشهر ظهرت الفتن بتونس. وصادف ذلك رجوع الحاجب ابن تافراجين من المشرق، فقضى على إمارة الفضل، ونصب مكانه طفلاً لا يتجاوز عمره 13 سنة، يدعى أبا إسحاق إبراهيم (11 جمادى الأولى 751 هـ)[66]. وبعد ذلك بقليل، عرض ابنُ تافراجين على عبد الرحمن بن خلدون منصب صاحب العلامة، فقبل. وكان ذلك أولى وظيفة أسندت إليه (آخر سنة 751 هـ).

وفي أوائل سنة 753 هـ، غادر السلطان أبو إسحاق الحفصي والحاجب ابن تافراجين مدينة تونس لمواجهة غارة أبي زيد الحفصي، أمير قسنطينة. فصَحِبَهما عبد الرحمن ابن خلدون، وشهد لقاء الجيشَيْن بِمَرْماجَنَّة، قرب تبسَّة. فكانت الهزيمة على ابن تافراجين وأبي إسحاق، ولم يَسَعْهما إلّا الفرار في اتجاه تونس. أما عبد الرحمن ابن خلدون، فإنه قصد إلى تبسَّة، ثم إلى قفصَة، واتجه أخيرًا إلى بَسْكَرَة، رفقة أخٍ لابن مُزْنِي، سيِّد ناحية الزاب[67].

تلك هي الحوادث التي أدَّتْ إلى مغادرة صاحب " كتاب العبر " لتونس، والتحرّر من القيود الاجتماعية التي كانت تحول دون تحقيق ما كان يصبو إليه من الرحلة لطلب العلم، والاطلاع على مختلف أقطار المغرب والمشرق. فلم يترك هذه الفرصة تضيع، بل سرعان ما اتجهت أنظاره نحو بلاط السلطان أبي عِنان المريني، حيث كان يأمل لقاء العلماء الذين قدِموا إلى تونس من قبْلُ مع السلطان أبي الحسن، ثم عادوا إلى المغرب الأقصى، وبصِفةٍ خاصَّة شيخُه أبو عبد الله الآبليّ[68].

والغالب على الظنِّ أن هذا اللقّاء وقع فعلاً سنة 754 هـ بتلمسان، حيث كان يقيم أبو عنان، بعد استيلائه على المغرب الأوسط. وكان عبد الرحمن ابن خلدون قد وفد عليه بها، مع جماعة من أهل إفريقية، لمدة قصيرة. وقد يكون اغتنم هذه الفرصة ليطلب من أساتذته القدماء أن يبذلوا جهودهم قصْدَ تيسير التِحاقِهِ بزمْرَةِ

Scanned by CamScanner

العلماء والكتَّاب[69]. وفي سنة 755 هـ، استدعِيَ عبد الرحمن ابن خلدون إلى فاس، حيث عُيِّنَ كاتِبًا. فمارَسَ هذا الوظيفَ واستفاد بالإضافة إلى ذلك من علماء العاصمة الْمَرينية[70].

هذا ولسنا نعرف شيئًا كثيرًا عن يحيى بن خلدون أثناء هذه الفترة، بل لسنا نجد أيَّ خبر عن حياته بعد مغادرة شيخه الآبلي لتونس سنةَ 752 هـ. وذلك أنه لم يذكر شيئًا عن ذلك في " بغية الرواد "، كما أن أخاه عبد الرحمن لا يشير إلى ذلك في "التعريف". فهل عُيِّنَ كاتبًا في الإدارة الحفصية مع أخيه عبد الرحمن، أو بعده بقليل؟ وهل التَحَقَ به عندما كان مقيمًا ببجاية سنة 754 هـ؟ وهل وفد إلى بلاط السلطان أبي عنان المريني سنة 755 هـ، رفقة أخيه عبد الرحمن؟ تلك تساؤلات بالنسبة لِهذه الفترة، ولا نجد لَها جوابًا يقينيًّا لسكوت الْمصادر عنها. بَيْدَ أنه لا يُسْتبْعَد أن يكون يحيى قد رافق أخاه إلى بلاط أبي عنان، أو التحق به في فاس أيام هذا السلطان، وقبل انتهاء سنة 757 هـ، على أقصى تقدير.

وذلك أن هناك أدلة ترجِّح إثبات وجود يحيى ابن خلدون بفاس في هذا التاريخ بالذات، وتتعلق بإقامة بعض العلماء الأندلسيين وغيرهم بها، ممَّنْ وفدوا على السلطان أبي عنان آنذاك. فمن بين هؤلاء أبو البركات البَلفِيقِي[71]. ولاشك أنَّ هذا الأخير، الذي كان مشهورًا بِما امتاز به من تَضَلُّعٍ في الكتابة والشعر، مع مَيْل إلى التصوُّف، قد حظِيَ بإقبال أدباء وشعراء البلاط الْمَريني، ومن بينهم عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحيى. وقد عدَّه هذا الأخير من أساتذته[72].

فكان مُقام يحيى بن خلدون، الذي كان عُمُرُهُ لا يَتَجَاوز خمسًا وعشرين سنة، بِفاس، يَتَّسِمُ بالإقبال على الدراسة ومُصاحَبة رجال العِلم. ومن بين علماء هذه الفترة، الذين ذكرهم عبدُ الرحمن في "التعريف" ويجدر بنا الإشارةُ إليهم، أبو عبد الله الشريف، وقد ذكره أيضًا يحيى بن خلدون من جملة أساتذته[73].

وأبو عبد الله الشريف، الذي وُلِد بتلمسان سنة 710 هـ ونشأ بها، كان من تلامذة الأخوَيْن أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام، ونبغ في العلوم الدينية، وكذلك

Scanned by CamScanner

في العلوم الأخرى، مِمَّا جعل ابن مريَم يقول عنه في "البستان" إنه كان " إمامًا في العلوم العقلية كلها، مَنْطِقًا وحِسابًا وتنجيمًا وهندسة وموسيقى وطِبًّا وتشريحًا وفلاحة وكثيرًا من العلوم القديمة والحديثة "[74]. وأخذ أبو عبد الله الشريف عن ابن النجّار[75] وعن الآبلي[76]، فنال منهما علمًا غزيرًا. ثم انتصب للتعليم، وذاع صَيْته لِمَا كان يمتاز به من تعمُّق في العلوم وذكاءٍ وتدقيق وإدراكٍ سليم للحقائق. ولما استولى أبو عِنان المريني على تلمسان، ألحقه بمجلسه العلمي. ثم صحِبه أبو عبد الله الشريف إلى فاس، حيث تألق نجمه وزادت شهرته[77].

وفيما يخصُّ يحيى بن خلدون، فلا شك أن مُقامه بفاس كان مثريًا من حيث تكوينه الثقافي. وذلك أنه تمكّن من الاتصال بالبلاط المريني، والتعرّف على النشاط الأدبي، الذي كان يحتلُّ فيه منزلة سامية. وقد يرجع أكبر الفضل في ازدهار الحياة الفكرية آنذاك بفاس إلى العلاقات الوثيقة التي كانت تربط بين الإمارة المرينية ومملكة بني الأحمر[78]. ويجدر بنا في هذا الصدد أن نشير إلى الرحلة التي قام بها لسان الدين ابن الخطيب إلى فاس في شهر محرَّم 761 هـ، فكان لها أثر هامٌّ في إنعاش الحياة الأدبية بالعاصمة المرينية، وكان المرينيون قد احتفلوا احتفالاً كبيرًا بقدومه مع ملك غرناطة، وذلك بعد المؤامرة التي أطاحت بعرش هذا الأخير. ولسنا نشك في أهمِّية إقامة لسان الدين هذه بالنسبة لتكوين عبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحيى، وأنَّ علاقاتٍ وثيقةٍ قد انعقدت بين هاذيْن الأخيرَيْن والوزير الشهير، الذي كان يعتبر آنذاك خير مثال يُقْتَدَى به في الفنون الأدبية نثرًا وشعرًا[79].

أضِف إلى ذلك الاتصالات التي أجراها عبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحيى مع فقهاء فاس وأدبائها، وكتّاب الدواوين والشعراء، ممَّن كان لهم صَيت ذائع، وشهرة فتحت لهم أبواب قصور السلطان المريني والوزراء وكبار رجال الدولة. وقد كان لهذه الاتصالات أثر فعّال في حياة الأخوَيْن، لا من حيث تكوينهما الثقافي فحسب، بل حتى من حيث الالتحاق بسِلْك الكتّاب، والعمل في الدواوين الإدارية. هذا، وإذا كنا لا نجد أيّ خبر يثبت تعيين يحيى بن خلدون في وظيفة إدارية أيام أبي

Scanned by CamScanner

عنان، فإنا نعلم يقينًا أنه كان يشغل منصب كاتب في ديوان الإنشاء بفاس، في أواخر شهر رجب من سنة 761 هـ[80]. فكان حينئذٍ يعمل تحت إشراف ابن رضوان، كاتب السلطان ورئيس ديوان الإنشاء. والظاهر أنه حظِيَ برعايته لِمَا كان يجمع بينهما من الانتِماء إلى الأصل الأندلسي، ولِما سَبَق لابن رضوان من كرم الضيافة عند بني خلدون بتونس أيَّام حركة أبي الحسن المريني إلى إفريقية[81].

وهكذا يتأكد لنا أن مُقام يحيى بن خلدون بفاس كان مثمِرًا، وأنه خطا خطواته الأولى في الكتابة الفنيَّة أثناء ذلك، وتعرَّف على الأساليب الإنشائيَّة التي كان ينتهجها الكتَّاب آنذاك، كما أنه بدأ يتطلع على حياة البلاط، وما يروج فيها من علوم وآداب وشعر. ثُمَّ إن هذه الإقامة بفاس سنحت ليحيى ابن خلدون ولأخيه عبد الرحمن فرصة التعرّف على أبي عبد الله محمد الحفصي، الذي كان قبل ذلك أميرًا على بجاية، ثم تنازل عنها عندما قام أبو عنان المريني بحركته إلى إفريقية. وقد جمعت بين الأخوَيْن والأمير أواصر الانتماء إلى إفريقية، والنشأة تحت ظلِّ العرش الحفصي، والعطف عليه وتعليق الآمال على بعث مجده، وانطلاقه من جديد نحو العِزِّ والسؤدد. وكان لصداقة يحيى بن خلدون والأمير أبي عبد الله شأن هامّ في حياة صاحبنا، إذ نتج عنها دخوله في الحياة السياسية، وذلك في الظروف التي سنعرضها فيما يلي.

3. نشاط يحيى ابن خلدون السياسي

لقد شغل يحيى ابن خلدون مناصب سياسية وإدارية في خدمة الأمير أبي عبد الله الحفصي، وفي خدمة السلطان الزياني أبي حمُّو موسى الثاني، ثم في بلاط الأمير عبد العزيز المريني. ثم عاد أخيرًا إلى خدمة أبي حَمُّو الثاني بتلمسان، حيث وافته الْمَنِيَّة في رمضان سنة 780 هـ، وهو لا يزال في مقتبل عمره، وفي بداية مرحلة الإنتاج الفكري، وكانت السنوات السبع التي قضاها يحيى ابن خلدون بتلمسان أزهى وأجمل أيام هذه الفترة الهامَّة من حياته. فكان التأليف الوحيد الذي أنتجَه يتناول تاريخ الدولة العبد الوادية.

Scanned by CamScanner

أ) نشاط يحيى ابن خلدون قبل دخوله في خدمة أبي حمُّو الثاني

كان يحيى ابن خلدون وأخوه عبد الرحمن يتطلعان بفاس إلى نيْل منصب أسمى من الذي كانا يشغلانه في بلاط أبي سالم المريني[82]. أمَّا عبد الرحمن فإنه لم يكن ليقنع بكتابة السرّ لَدَى السلطان المريني[83]، بل كان يسعى إلى الحصول على خطَّة الحجابة أو الوزارة. وكان يرى نفسه جديرًا بذلك، لِما سبق لأسلافه من شغل المناصب السامية في بلاط تونس، ولِما كان يرى في نفسه من استعدادٍ وكفاءة.

وكانت حركة أبي سالم المريني إلى تلمسان، في شعبان 761 هـ، فرصة سانحة لبلوغ ذلك الْمَرام. وقد شارك فيها الأخوان يحيى وعبد الرحمن. ومِمَّا حدث أثناءها أنَّ أبا سالم رأى أن يواجه الوضع بإفريقية بما كان يقتضيه من حزم وتدبير، وأن يحاول إبعاد خطر السلطان أبي إسحاق الحفصي الذي كان قد استولى على بجاية، وأخذ يحاصر قسنطينة. ففكَّر أبو سالم في إطلاق سراح أبي عبد الله الحفصي، الذي كان أميرًا على بجاية قبل حركة أبي عنان إلى إفريقية، وأبي العباس، أمير قسنطينة سابقًا، وإرسالهما إلى مقرِّ إمارتهما السابق، ليستقِرَّا بتلك المنطقة، ويزاحما أبا إسحاق على الإمارة، فيكون ذلك عاملاً في تفرقة صفوف الحفصيين، والتخفيف من ضغطهم على القواعد المرينية بالمنطقة الشرقية[84]. وهذا عبد الرحمن ابن خلدون، الذي كانت تربط بينه وبين الأمير أبي عبد الله صداقة قديمة[85]، يشير إلى ذلك في كتابه، ويذكر أنه اتفق مع الأمير الحفصي أن يُعيِّنه حاجبًا له عندما يتمُّ الاستيلاء على بجاية. أما أخوه يحيى فإنه انضمَّ آنذاك إلى الأمير أبي عبد الله وقام بخدمته ومساعدته على امتلاك إمارة بجاية، وتقلد الحجابة مكان أخيه، " حفظًا للرسم "[86]. والجدير بالملاحظة أنَّ يحيى ابن خلدون، عندما أشار إلى هذا الحادث في كتابه " بغية الرواد "، لم يذكر شيئا عن هذا الاتفاق بل صرَّح

Scanned by CamScanner

أنَّ السلطان أبا سالم ضمَّه " في زمرة أبي عبد الله محمد ابن الأمير أبي زكرياء ... عند صرفه إياه من تلمسان إلى بجاية معينًا بحجابته "، لسابقة آبائه في خدمة سَلَف الأمير[87].

ومن المحتمل جدا أنَّ يحيى ابن خلدون قد عُيِّنَ في حجابة الأمير أبي عبد الله من طرف السلطان أبي سالم المريني إذ كان على هذا الأخير أن يزوِّد الأمير الحفصي بكل ما يحتاج إليه في محاولة استرجاع إمارته، من مساعدةٍ مادِّيَّة وحاشية تعمل معه على إنجاح هذا المشروع. ولا شك أن يحيى ابن خلدون كان مِمَّن يُعوَّل عليهم في ذلك، ولا سيما أنه سَبَق له الاتصال بعَرَب المنطقة المقصودة أثناء مُقامه ببسكرة. ويحِقُّ لنا إذن أن نتساءل: هل كان على علمٍ بالاتفاق الذي جرى بين أخيه عبد الرحمن والأمير أبي عبد الله؟ ولاشك أن الباحث يتردد كثيرًا في الجواب على هذا السؤال، وأنَّ سكوت يحيى عن هذا الاتفاق لا يساعد على اتخاذ موقف صريح في الموضوع. والظاهر أنَّ اطلاع يحيى ابن خلدون على ما دار بين أخيه والأمير الحفصي أمر ممكن جدا[88]. أمَّا سكوته عن ذلك في كتابه " بغية الرواد " فيمكن تفسيره باعتبار الظروف التي وقع فيها تأليف هذا الكتاب، إذ لا يُسْتَبْعَدُ أن يكون يحيى ابن خلدون، آنذاك، يتحرَّج كثيرًا من التحدث عن أخ انضمَّ إلى ملوك بني مرين، وخدمهم أثناء الحروب التي نشبت بينهم وبين أبي حمُّو الثاني، وحرَّض العرب الدواودة على مقاطعة أبي حمُّو ومحاربته[89]، ثم ما لبث أن أخلف وعده، بعد أن التزم السعي لدى العرب الدواودة لإقناعهم بالتحالف مع أبي حمُّو، والتجأ إلى قلعة بني سلامة، حيث أجارته قبيلة سويد (أواخر سنة 776 هـ)[90].

وفعلاً، فإن استرجاع إمارة بجاية لم يكن بالأمر الهَيِّن[91]. فبينما تمكن أبو العباس الحفصي من بلوغ غايته باسترجاع إمارة قسنطينة (رمضان 761 هـ)، لَمْ تنجح المحاولات العديدة التي قام بها أبو عبد الله الحفصي بمساعدة أولاد سبَاع، مِمَّا جعله يستقرُّ مؤقتًا بالمسيلة.

وفي أوائل سنة 764 هـ قرَّر الأمير أبو عبد الله طلب مساعدة السلطان أبي

Scanned by CamScanner

حمُّو الثاني، فأرسل يحيى ابن خلدون إلى تلمسان ليقوم بِهذه المهمَّة. وكان وصول هذا الأخير إلى البلاط الزياني في صفر 764 هـ، فقضى بها مدة قصيرة، استطاع أثناءها أن يستفيد من دروس العلماء، والاتصال بكبار الموظفين. وصادف مُقامُه هذا الاحتفالَ بالمولد الشريف، الذي اعتاد ملوك تلمسان الاحتفاء به، وأنشد أثناء ذلك قصيدة نالت إعجابَ الحاضرين(92).

أما موقف أبي حمُّو من طلب المساعدة، فالغالب على الظنِّ أنه كان مجرَّد وعْدٍ بالإسْعاف، وأنه لم يتجشَّم في اتخاذ إجراءات ملموسة، ولم يَكْتَسِ طابعَ الاتفاق الذي يلتزم فيه كِلا الطرفيْن بشروط معيَّنة. والحقيقة أنَّ أبا حمُّو كان لا يزال حريصًا على احترام معاهدة الصلح التي كانت تربط بينه وبين أبي إسحاق الحفصي. ولذا، فلم يجدْ أيَّ داعٍ لتلبيَةِ طلب الأمير أبي عبد الله فوْرًا. غير أنَّ احتمال حدوث تقلبات سياسية كان يبعث ملوكَ ذلك العصر إلى الحِرْص على عقد علاقات الصداقة والودّ مع مُخْتلف الأمراء، وخاصَّة إذا كانت لَهم أغراض سياسية، وذلك بِنِيَّةِ استعمالهم إذا ساءت العلاقات مع ملوك الأقطار المجاورة لهم. ولذا، فلا يستبعَد أن تكون مهمَّة يحيى ابن خلدون هذه قد أسفرت عن نتائج مشجِّعة، تنحصر في وعد أبي حمُّو بالمساعدة إذا سمَحت الظروف بذلك(93).

وممَّا يؤكد افتراضنا هذا، أن الأمير أبا عبد الله أعاد الكرَّة، بعد ذلك بثلاثة أشهر، فوَفد بنفسه صحبة يحيى ابن خلدون، على بلاط أبي حمُّو الثاني، وكان قدومهما إلى تلمسان في ثامن جمادى الثانية. إلَّا أن السلطان أبا إسحاق الحفصي كان قد تفطَّن لِخَطر تلك المساعي. فأرسل في نفس الوقت وفدًا إلى أبي حمُّو، يعرض عليه تجديد الصلح، ويطلب منه رفضَ مساعدة الأمير أبي عبد الله، ويتعهَّد من جهته بإلقاء القبض على الأمير العبد الوادي أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد الثاني، الذي كان ينافس أبا حمُّو على عرش تلمسان(94).

ولم يتردَّد أبو حمُّو في قبول عَرْض أبي إسحاق الحفصي لِما كان يشعر من تخوُّفٍ شديد أمام الاضطرابات الخطيرة التي قد تحْدِثها منافسة ابن عمِّه، فكان

Scanned by CamScanner

جوابه للأمير أبي عبد الله أن الظروف لا تسمح بالمساعدة[95]. وعندئذٍ خاب أمَلُ يحيى ابن خلدون والأمير أبي عبد الله في نجدة أبي حمُّو. واتجهت أنظارهما، مرة أخرى، إلى الدواودة، وخصوصًا إلى أولاد علي بن أحمد، المستقِرّين آنذاك بناحية الحُضنة، وإلى أحلافهم سدويكش، وأقاما بمقرة، إلى أن سنحت الفرصة للأمير أبي عبد الله في استرجاع إمارة بجاية صلحًا، فدخلها في رمضان 765 هـ[96].

ومن المؤسِف أننا لا نجد أيَّ خبر عن الدور الذي قام به يحيى ابن خلدون أثناء هذه الفترة، إذ لم يَرد ذكر شيء من ذلك في " بغية الرواد "، كما لم يُشِرْ إلى ذلك عبد الرحمن ابن خلدون في "التعريف". وقد يكون يحيى ساهم مساهمة هامَّة في عقد صِلات التحالف بين الأمير أبي عبد الله وبعض قبائل العرب من الدواودة، لِما سبق له ولأسرته من اتصالات ودّية بِهِمْ.

كما أننا نجهل كل شيء عن الفترة التي قضاها في الحجابة، إذ أنه لَم يتحدث عن ذلك في كتابه. ولم يُشِرْ إلى شيء من ذلك أخوه عبد الرحمن في تاريخه. وقد يستغرب الباحث سُكوتَ الأخوَيْن المؤرِّخَيْن عن حجابة يحيى ابن خلدون ببجاية. وقد يذهب إلى افتراض العوامل السياسية والنفسية التي قد تكون سَبَّبَتْ ذلك السكوت. أما يحيى بن خلدون، فلا يُسْتَبْعَد أنه لم يَرَ من المناسِب أن يتحدث عن فترةٍ لا تشمل أيَّ حادث يحسن ذكره في كتابٍ ألفه للسلطان أبي حمُّو. بل الحقيقة أن إمارة بجاية كانت أثناء ذلك قد سلكت طريقا معادِيًا للدولة الزيانية، فقامت بعملية حربيَّة أدَّت إلى الاستيلاء على تدلس، في ذي الحجة 765 هـ، منتهزة فرصة قيام ثورةِ أبي زيان القبّيّ، الذي نافس أيضًا أبا حمُّو على العرش الزياني[97]. ومن جهة أخرى، فإن تخلّي يحيى ابن خلدون عن الحجابة لفائدة أخيه عبد الرحمن قد يكون عاملاً آخر لذلك السكوت، لِمَا ينتج عن هذه الأحداث عادة من امتعاض وتذمُّر في نفس مَن ترك منصبًا هامًّا لفائدة غيره، فيكون الحديث عن هذه الفترة أثقل ذكرى تخطرُ بالبال.

وقد يتساءل الباحث أيضًا عمَّا إذا أسْنِدت وظيفة أخرى إلى يحيى ابن خلدون

Scanned by CamScanner

بعد قدوم أخيه إلى بجاية. هل عُيِّن وزيرًا؟ أو هل شغل منصبَ كاتب؟ سؤالان لا يجدان جوابًا شافيًا فيما وصل إلينا من المصادر. ومهما كان من الأمر، فليس لدينا من الأخبار ما يدلُّ على أنه قام بدور سياسي ملحوظ بعد جمادى الثانية سنة 766 هـ.

والغالب على الظنِّ أنه بقِيَ يحظى بعطف الأمير، وأنه لم يُحْرَمْ من رعايته. وربما أُسْنِد إليه الإشرافُ على ديوان الإنشاء، ممَّا يلائم مواهبه الأدبية وبراعته في الكتابة.

هذا ولم تلقَ إمارة أبي عبد الله النجاحَ الْمَرْجُوَّ. وترجع أسباب إخفاق الأمير الحفصي إلى سوء معاملته للرعيَّة، وحتى لحلفائه من العرب، وإلى إصراره على مناهضة ابن عمِّه أبي العبَّاس، أمير قسنطينة، الذي أذاقه مرارة الهزيمة في معركتَيْ فرْجِيوَة وسَطيف (أواخر سنة 766 هـ)[98].

ثم اقتحمت جيوشه الإمارة في شعبان 767 هـ، واستولت عليها، وقتلت الأمير أبا عبد الله. وهكذا، خاب أمَل يحيى ابن خلدون وأخيه عبد الرحمن في بلوغ أسمى منزلة وأرقى وظيفة ببجاية. ولم يشأ الأمير أبو العبَّاس أن يمنحهما ثِقته، ويقرِّبهما إليه، ممَّا أثار تخوُّفهما منه.

ولم يَمْض أكثر من شهر على ذلك، حتى غادر عبد الرحمن ابن خلدون بجاية، متجهًا إلى الجنوب، حيث وَفد على يعقوب بن علي، شيخ الدواودة، ونزل عنده، محتمِيًا به وبقومه. فكان ردّ فِعْل الأمير أبي العبّاس أن أمَر بحَجْز أموال الأخوَيْن، وبإلقاء القبض على يحيى، واعتقاله بعنابة.

وعندما اتصل عبد الرحمن بهذه الأنباء، ارتحل إلى بَسْكرَة، والتجأ إلى ابن مُزنِي، سيد ناحية الزاب، فأمِن من شرّ الأمير أبي العباس الحفصي[99]. ولم يَمْض زمن طويل حتى تمكن يحيى من الفرار من مُعْتَقَلِه، واللحاق ببسكرة، حيث أقام مع أخيه، في انتظار ظروف سانحة، تسمح لهما بالعودة إلى حياة البلاط. وهناك اتصل يحيى برسول من قِبَل السلطان أبي حمُّو، عَرض عليه خدمة مولاه، فأجاب بالقبول.

Scanned by CamScanner

ب) يحيى ابن خلدون في بلاط أبي حمُّو الثاني

من أهمّ ما دعا أبا حمُّو الثاني إلى استدعاء يحيى ابن خلدون وأخيه عبد الرحمن لخدمة الإمارة الزيانية، أنه كان يواجه مشاكل سياسية خطيرة، من جراء الفتن التي أحدثتها، في المنطقة الشرقية، ثورة ابن عمِّه أبي زيان ابن أبي سعيد الثاني. فكان القضاء على منافسة هذا الأخير يتطلب الحصول على مساعدة عرب رياح[100]. وذلك أن حلفاء أبي حمُّو السابقين من عرب زغبَة القاطنين بالمغرب الأوسط، وخاصَّة بني عامر وسُوَيْد والدَّيالم والعَطَّاف، كانوا قد ساندوا الأمير أبا زيان بعد هزيمة أبي حمُّو أمام بجاية، ظانِّينَ أن أمره قد تلاشى، وأن العرش الزياني سينتقل إلى منافسه. غير أن ثورة أبي زيان هذا لم تطِحْ بعرش أبي حمُّو، وبقيت منحصِرة في المنطقة الشرقية من الإمارة الزيانية. وفي محرم 769 هـ، قام أبو حمُّو بحركة إلى مليانة، حيث استقرَّ إلى ربيع الثاني. فأمر بإصلاح ما أفسدته الحرب، ووجَّه عناية خاصَّة إلى قضايا المنطقة، وإلى ما يتطلبه الوضع من بذل الجهود للقضاء على ثورة أبي زيان، واكتساب تأييد عرب زغبة.

وأثناء مُقام أبي حمُّو بمليانة، وقع حادث هامّ جدا بالنسبة ليحيى ابن خلدون. وذلك أن السلطان الزياني أرسل إلى بسكرة رسولاً يُدعَى عمر بن محمد بن مجن، برسم الاتصال بيحيى ابن خلدون.

وكان الهدف من ذلك أن يعرض عليه الدخول في خدمته، والقيام بِمهمَّةٍ أُولَى في بلاد الزاب، الغرضُ منها مداخلة الدواودة من قبيلة رياح وشيخهم يعقوب بن علي بن أحمد، في شأن التحالف معه.

وقد ذكر يحيى ابن خلدون أنه قَبِلَ هذا العرض، وأنه نجح في المُهِمَّة التي كلف بها، وقدِم في أول رجب 769 هـ، إلى تلمسان، رفقة أربعة من أبناء شيخ الدواودة، وحوالي أربعمئة فارس[101]. فكان لهذه الجهود أحسن وقع في نفس السلطان الزياني، الذي عيَّن يحيى كاتبًا له، وقرَّبه إليه، وجعله من جلسائه ومستشاريه. وعندئذٍ، طاب المُقام بتلمسان ليحيى، فاستدعى أسرته من بسكرة،

Scanned by CamScanner

واستقرّ بعاصمة بني زيان[102].

أمّا عبد الرحمن، فقد صرّح أيضًا أنه استدعِيَ من طرف أبي حمُّو الثاني لخدمته في مهمّة استئلافِ الدواودة، قصد الاستعانة بهم لتمكين عرشه، والقضاء على أنصار منافسه في الإمارة. ثم هو يروي نصّ الرسالة التي بعث بها إليه أبو حمُّو، وما تتضمّنه من الاستدعاء للخدمة في وظيفتي الحجابة والعلامة، وقد ورد في آخر الرسالة أنها كتِبَت في تاريخ 17 رجب سنة 769 هـ.

ويذكر أيضًا عبد الرحمن أنه قام بمهمة الاتصال بالدواودة، وحملهم على إجابة داعي السلطان. ثم يُرْدِف قائلاً: " وكان أخي يحيى قد خلص من اعتقاله ببونة، وقدم عليَّ ببسكرة، فبعثته إلى السلطان أبي حمُّو كالنائب عني في الوظيفة، متفادِيًا عن تجشُّم أهوالها، بما كنت نزعت عن غِواية الرتب، وطال عليَّ إغفال العلم، فأعرضت عن الخوض في أحوال الملوك، وبعثت الهِمّة على المطالعة والتدريس، فوصل إليه الأخ، فاستكفَى به في ذلك، ودفعه إليه "[103].

حقًّا، إن المقارنة بين ما جاء في هاتيْن الروايتيْن تبعث إلى شيء من الحيرة، لِما يوجد فيهما من تناقض صارخ حول دَوْر كلٍّ واحد من الأخوَيْن في المهمَّة المذكورة. فكلٌّ من يحيى وعبد الرحمن يذكر أنه استدعِيَ من طرف السلطان أبي حمُّو للخدمة في بلاطه، ولا يقول شيئًا عن الآخر، في ذلك. فيحيى يتجاهل تمامًا أخاه عبد الرحمن، ولا يتحدث عنه عندما يتناول هذا الحادث[104]، وعبد الرحمن ينسب الاستدعاء إليه، دون أخيه، ولا يَدَعُ لهذا الأخير إلا دورًا ثانويا، كنائب عنه لدى أبي حمو الثاني. وهنا، لا يسَع الباحث إلا أن يتساءل: هل حقيقةً قام يحيى بدور في هذه الاتصالات بالدواودة؟ وما مَدى ذلك الدور؟

والذي يتبادر إلى الذهن، من خلال ما كتبه الأخوان، أن كلام يحيى يثبت، بجلاء ودِقةٍ، المهمة التي ذكر أنه استدعِيَ للقيام بها. فهو يذكر اسم الرسول الذي بعثه أبو حمُّو إلى الدواودة، وتاريخ إرساله[105]. ثم إن تاريخ وصول يحيى إلى بلاط أبي حمُّو يسبق تاريخ كتابة الخطاب الذي وجَّهه السلطان الزياني إلى

عبد الرحمن بما يزيد على نصف شهر[106]. فكيف يبعث عبد الرحمن أخاه يحيى نائبًا عنه في الوظيفة التي عرضها عليه أبو حمُّو قبل أن يفكر هذا الأخير في استدعائه إلى هذا المنصِب[107]؟

هذا، ومن المحتمَل أن المهمَّة التي استُدْعِيَ لها عبد الرحمن وقعت في الإطار الزماني بعد مهمة يحيى، ممَّا يسمح لنا بمنح ثقتنا لِما أورده الأخوان معًا، وذلك بشرط أن توضع كل رواية في زمانِها. وفي هذا الاحتمال لا يَسَعُنا إلَّا أن نثبت ليحيى الدَّوْرَ الأول والأهمَّ في الاتصال بالدواودة، ويشهد على ذلك ما حَظِيَ به من ثِقة وتقدير لدى السلطان أبي حمُّو موسى الثاني. أمَّا إذا اضطررنا إلى تصديق أحد الأخوَيْن دون الآخر، فلا نرى ثمَّة ما يبعثنا إلى ترجيح رواية عبد الرحمن على ما ذكره يَحْيَى، بل إننا نَمْنَح ثقتنا لِهذا الأخير، مُعْتَمدين على ما سبق من الاعتبارات.

أما إقامة يحيى ابن خلدون بتلمسان، فلا شك أنها أفادته من ناحية تكوينه العلمي، إذ أنَّها مكنته من الأخذ عن بعض العلماء الأجِلة، والاحتكاك بالشعراء والأدباء الذين كان يزخر بهم بلاط أبي حمو الثاني[108]. ويكفينا في هذا الصدد أن نشير إلى أحد أولئك العلماء الذين أخذ عنهم، وهو أبو علي الزواوي، الذي نوَّه بذكره في " بغية الرواد "، وخصَّص له آخر ترجمة ضمن تراجم العلماء الذين نشؤوا بتلمسان، أو نزلوا بها[109].

ولِدَ أبو علي الزواوي ببجاية سنة 710 هـ، ونشأ بها. فأخذ عن ناصر الدين الْمَشَدَّالِي وأبي عبد الله المسَفِّر، ثم انتقل إلى تلمسان أيام استيلاء أبي الحسن المريني على المغرب الأوسط. فأخذ عن علماء بلاطه وبخاصة عن ابن عبد المهيمن الحضرمي. ثم رحل إلى الأندلس، فتتلمذ لأبي عبد الله الرندي، وأبي البركات البَلَّفِيقِيِّ، ثم انتصب للتدريس بها، إلى سنة 765 هـ. وعندئذٍ، غادر بلاد الأندلس، واستقرَّ بتلمسان حيث واصل التدريس وكان لا يزال على قيد الحياة بها سنة 770 هـ. وكان أبو علي الزواوي متضلعًا في علوم كثيرة، وخاصة في علم

Scanned by CamScanner

الكلام والأصول والمنطق والنحو. ومن بين تلاميذه، بالإضافة إلى يحيى بن خلدون، علماء مشهورون، أمثال لسان الدين ابن الخطيب، وأبي إسحاق الشاطبي، وأبي عبد الله المقري.

هذا، ومن المحتمَل أن يكون يحيى ابن خلدون قد أخذ عن أبي عبد الله الشريف، في هذه الفترةّ إذ أنَّ هذا الأخير كان يُعَد أكبر عالِم بتلمسان، وكان يحضر دروسَه الخاصُّ والعامُّ[110]. وقد سبق ليحيى أن تعرَّفَ به بفاس ونهل من معِين علومه الزاخرة. وكان أبو عبد الله الشريف يقضي جُلَّ أوقاته في التعليم، فتخرَّج على يده عدد كبير من الطلبة والعلماء، من بينهم يحيى ابن خلدون. ولم يُؤثر عنه تآليف عديدة، إلَّا أنَّ ما ألفه من الكتب نال شهرة كبرى في أقطار المغرب، من ذلك مختصر في المنطق وآخر في الأصول عنوانه "مفتاح الوصول في علم الأصول ".

وهكذا كانت إقامة يحيى ابن خلدون بتلمسان موفقة ومفيدة جدا، في مجال التكوين الفكري والأدبي، إذ أنها مكنته من استكمال ثقافته، وتوسيع دائرة معلوماته، كما أن وظيفته الجديدة سَمَحت له بالدخول في زمرة الكتَّاب الْمُنْشِئين وشعراء البلاط. غير أن الوضع السياسي في المغرب الأوسط كان أبعد ما يكون عن الاستقرار آنذاك. فلم توفق مُعْظَمُ محاولات أبي حَمُّو لبسط سلطته على كل أنحاء البلاد، والقضاء على منافسة ابن عمِّه أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد الثاني، وإخضاع العرب البدو من قبيلة زغبَة، ممَّا جعل البلاد تتجه نحو الفوضى وانتشار الفتن. وكان الصراع القائم بين أبي حمُّو وابن عمِّه أبي زيان دافعًا قويًا لإحياء العداء القديم الذي ما فتئت تضطرم ناره منذ أجيال عديدة بين بني عامر وسُوَيْد، من قبيلة زغبة، مِمّا جعل أبا حَمُّو يخوض غمار الحرب في بيئةٍ سياسية معقدة، ويُلقِي نفسه في عمليات مغامرة، لَمْ تؤدِّ إلى الأهداف المرجوَّةِ منها، بل كادت تودِي بعرشِهِ مرارًا[111].

وفي أثناء تلك الحوادث، لم يتمكن أبو حَمُّو من الحصول على تأييد أبي بكر بن عريف، شيخ قبيلة سوَيْد، رغم الجهود الكبرى التي بذلها في ذلك الشأن،

Scanned by CamScanner

مستعمِلاً تارة اللين، بإغرائه بالوعود والْهَدايا، وتارة الشدة، بِمُطاردته عبر الهضاب العليا والصحراء. وفي صفر 771 هـ، اقتحم أبو حمُّو قلعة بني سلامة، التي كانت مَقرّ سويد، وخرَّب مبانِيَها، الأمر الذي أحقد عليه سويد، وجعلها تُصَمِّم على الأخذ بالثأر، وعلى السعي إلى الإطاحة بعَرْشه، فغادرت سُوَيْد المغرب الأوسط واتجهت إلى المغرب الأقصى، حيث كانت فرقة منهم، بقيادة وَنَزْمار بن عريف، تحتلُّ منزلة مرموقة بين القبائل التي كانت تعتمِد عليها الدولة المرينية. واستطاعت سويد أن تقنِع السلطان عبد العزيز المريني بالعمل على غزو المغرب الأوسط، وإلحاقِه بالدولة المرينية. فأخذ هذا الأخير يتأهَّب لذلك، في أواخر سنة 771 هـ[112].

وعندئذ رأى أبو حمُّو أن يتوجَّه إلى الناحية الشرقية لحشد الجيوش، ونزل البطحاء، حيث وفد عليه الدواودة، صحبة عبد الرحمن ابن خلدون[113]. ثم عاد السلطان الزياني إلى عاصمته في أوائل ذي القعدة سنة 771 هـ. والظاهر أنَّ لقاء يحيى ابن خلدون بأخيه كان لِمُدة قصيرة، وذلك أن عبد الرحمن شعر بتدهْور أمر أبي حَمُّو، فغادر تلمسان بعد أن استأذن أبا حمُّو في الذهاب إلى الأندلس، واتجه إلى هُنَيْن، حيث استقرَّ مدة يترقَّب الأحداث[114].

وعندما بدأ هجوم الجيش الْمَريني على الأراضي الزيانية، قرَّر أبو حَمُّو مغادرة عاصمته، ومعه حَرَمُه وأقرباؤه وأنصاره، والتوَجُّه إلى الْمِنْطقة الشرقية. ثم تابع السير نحو الجنوب، مارًّا بمنداس، في ناحية السرسو. وهناك انفصل عنه أنصاره من بني راشد وتوجين، موثرين الالتجاء إلى الأراضي التي كان يقطنها إخوانُهم في ناحية شلف. وكان لنبإ استيلاء عبد العزيز المريني على تلمسان، في أواخر مُحَرَّم 772 هـ، أكبر الأثر في تخاذل أولئك الأتباع، وتقاعدهم عن نصرة أميرهم.

أما أبو حمُّو ومَن بَقِيَ معه من الأوفياء، فلم يفقدوا الأمل، بل تابعوا مَسيرتهم نحو الجنوب، إلى أن وصلوا إلى ناحية زاغز، التي كان يقطنها أولاد يحيى ابن علي ابن سَبَّاع، من الدواودة، وتقع جنوب غربَي المسيلة. وهناك استراحوا أيامًا قليلة

Scanned by CamScanner

(صفر 772 هـ). وفي تلك الأثناء بلغهم نبأ اقتراب المرينيين وأنصارهم. وعندئذ، توقف يحيى ابن خلدون عن مواصلة السير مع أبي حمُّو ورفاقه الأوفياء، وقرَّر العودة إلى تلمسان، حيث التحق بالبلاط المريني[115].

ج) يحيى بن خلدون في البلاط المريني

لا يزال يخيِّم بعض الغموض على الظروف التي انفصل فيها يحيى ابن خلدون عن أبي حمُّو الثاني، للحاق بالبلاط المريني. فبينما هو، في كتابه " بغية الرواد "، يُقِرُّ بذنبه، فيقول: "ومن هنا فارقته أيده الله لِخيالاتٍ سوداوية اعْتَوَرَتْني، ونزعات شيطانية تجاذبتني، وسوء بختٍ تقاعس عن إدراك الفخر برحلي، وشقاء مكتوب أهوى إلى درَك الخسارة بي"، نراه يستدرك ذلك الاعتراف بتلميح خفيف إلى أسبابٍ لم يتعرَّض للإفصاح عنها، أدَّتْ إلى ذلك. فيواصل الحديث قائلاً: "و لولا أن أفضح مستورًا، وأخلد في بطون الأوراق وَصْمًا مشروحًا، لأبنت ما جرى وقلت كيف كان. لكن فضله ومَجْده مَحَا السيئات، وجَلا بِمَنَصَّة العفو الْمَحاسن، والاعترافُ إنصافٌ، والندمُ توبةٌ، ولا ذَنْبَ كما وَرَدَ مع إقْرار"[116].

فيا تُرَى ما هو السِّرُّ الذي أبى يحيى ابن خلدون أن يُفشِيَه للقارئ؟ وما هو الوصم الذي لم يشأ أن يُطلِعَ عنه الأجيال القادمة؟ وبعبارةٍ أخرى، هل كان انفصاله عن أبي حَمُّو في ظروفٍ خاصَّةٍ أرغمته على اتِّخاذ ذلك القرار؟ أم هل كان ناتجًا عن تشكُّكِ السلطان الزيَّاني في إخلاص كاتبه بإيعاز من بعض الحُسّاد؟ تلك تساؤلات تَخْطُر بالبال، وتبعث إلى مُعالَجَة الموضوع عن طريق الدراسة الاجتماعية والتحليل النفسي، بالإضافة إلى الاعتبارات السياسية، ممَّا قد يساعد على تسليط بعض الأضواء على الْحادث، والْتِماس أجْوبةٍ، ولو على شكلٍ افْتِراضِيّ، عن الأسئلة الْمَطروحة.

ولا شك أن الظروف التي أحاطت بمسيرة أبي حمُّو ورفاقه نحو الجنوب، بعد مغادرة أبي حمُّو لعاصمته وفراره أمام العدوِّ، قد سبَّبتْ انخفاض معنويات جماعة الفارِّين، مِمَّا أدَّى إلى تلاشِي كثير ممَّا كان يُضْفِيهِ العرشُ على شَخْص الْمَلِك من

Scanned by CamScanner

مَهابةٍ ونُفوذٍ، الأمر الذي جعل بعضَ رفاقه الْمُقرَّبين يَحُوكون الْمُؤامرات ضدَّه، ويُغْلظون له القول، مُغرِبين بذلك عن احتقارهم له، ومُعْلِنين سُخْطَهُمْ عليه[117].

والواقع أن تلك المسيرة كانت محفوفة بالأخطار والصِّعاب. فكان أنصارُ أبي حمُّو قِلة لا يُعْتَدُّ بها لمدافعة الأعداء، وكان الجيش المريني يطاردهم كما يطارد الصيَّادُ فريسةً سهلة الْمَنال. وبعث السلطانُ عبد العزيز الْمَريني الرُّسُلَ إلى قبائل العرب بالمنطقة الشرقية من المغرب الأوسط، وشطِّ الحُضْنَة، والزاب، يدعوهم إلى مناصرته ومنابذة أبي حَمُّو. وكان لعبد الرحمن بن خلدون دور هامّ في تحريض الدواودة على تقديم طاعتهم للسلطان المريني، وصَرْف أبي حمو الثاني عن أراضيهم[118].

وقد يكون تواجدُ عبد الرحمن بن خلدون بالْمسيلة عندما كان أبو حَمُّو ورفاقه بناحيتها في أراضي أولاد يحيى بن علي بن سَبَّاع، وانصرافه إلى حَمْل هؤلاء على طاعة السلطان المريني، ممَّا أذْكَى حقد الْحُسَّاد، وجعلهم ينفثون سموم ضغينتهم في أذن السلطان، ويسعون في حمله على التنكيل بكاتبه. وهكذا، فلا يُسْتبْعَد أن يكون انفصالُ يحيى ابن خلدون عن أبي حمُّو بدافع الذود عن الكرامة، وإنكار تصرُّفات الحسَّاد ومناوراتِهم، والابتعاد عن جوٍّ أصبح يسوده الظنون والتشكك والتآمر. وكانت عَوْدةُ يحيى ابن خلدون إلى تلمسان، حيث كان مقرّ البلاط الْمَريني آنذاك، فرصةً لاتصاله بعدد كبير من رجال العلم والأدب الذين صحبوا عبد العزيز المريني. وفي آخر سنة 772 هـ التحق لسان الدين ابن الخطيب بالبلاط الْمَريني. فاستقبله السلطان الْمَريني استقبالاً حسنًا، وأحَلَّهُ المنزلة اللائقة بأمثاله من الوزراء وكبار العلماء والأدباء، وشمله بعطفه وكرمه.

ولا شك أن ما كان يحظى به عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحيى من صداقة لسان الدين ابن الخطيب قد ساعدهما على الاتصال بالبلاط الْمَريني، والالتحاق فيه بسِلك الموظفين والعلماء. وقد عهد السلطان المريني إلى عبد الرحمن بِمُهِمَّة الاتصال بالدواودة، في ناحية بَسْكرَة، وحَثِّهم على تأييد الدولة الْمَرينية.

أمّا أخوه يحيى، فإن التحاقه بالبلاط المريني قد مَكّنه من التعرُّف جيّدًا على شخصيّة ابن الخطيب، والاطلاع على مدى براعته في فنون الأدب، من نثر وشعر، وعلى غزارة إنتاجه الفكري. وكان بين الأديبَيْن تقارب كبير في مجال الاتجاهات الفكرية وفي الذوق الأدبي، الذي كان يستمِدُّ أبرز خصائصه ممّا كان شائعًا آنذاك من أساليب بلاغية في أوساط الأدباء والعلماء ورجال البلاط. ولا جدال أن يحيى بن خلدون قد استفاد كثيرًا من لسان الدين ابن الخطيب، ولاسيما أن هذا الأخير كان قد بلغ آخر مرحلة من حياته وكان قد ألف معظمَ تآليفه وأهمَّها. فكان شعره يروق الأدباء، ونثره ينال إعجاب الكُتّاب، حتى أنه ألف كتاب " ريحانة الكتّاب "، وضمّنه نماذج أدبية لرسائله، يعرضها على الأدباء ليتبعوها. أما كُتُب التراجم والتاريخ، فإنّها كانت تعتبر من أهمّ ما كتب حول تاريخ الأندلس وآدابِها، وأصبح رجال الفكر يتهافتون على مطالعتها، وبخاصّة كتاب "الإحاطة".

فكان لقدوم ابن الخطيب إلى تلمسان أكْبَرُ الأثر في تكوين يَحْيَى ابن خلدون، وتوجيهه نحو التأليف في التاريخ، وإتقان الكتابة الفنيّة، وغير ذلك مِمّا اشتهر به الوزير الغرناطي. ويتجلى هذا التأثير في طريقة تأليف " بغية الرواد "، وكذلك في أسلوبه، وما يتضمّنه من سَجْع ومُحَسِّناتٍ بَدِيعيَّة. وسارت الأمور على أطيَب حال بتلمسان، تحت ظلِّ عبد العزيز المريني ورعايته[119]، إلى أن تُوُفِّيَ هذا الأخير، في 22 ربيع الثاني سنة 774 هـ. وعندئذٍ انتقل البلاط الْمَريني إلى فاس، لمواجهة المشاكل التي تعرض عادة عند تعيين السلطان الجديد وما قد يحدث من اضطرابات وفتن بين الْمُتَنافِسين على الحكم. وكان يحيى ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب من بين الذين اتجهوا إلى فاس، صحبة الوزير أبي بكر بن غازي ابن الكاس[120]. والظاهر أن يحيى ابن خلدون لم يُلاق أيّة صعوبة في الإبقاء على منزلته ووظيفته في البلاط الْمَريني، لِما كان يصل بينه وبين لسان الدين، صديق الوزير المريني، من أواصر الصداقة والتقدير المتبادَل[121]. وكذلك الأمر بالنسبة لعبد الرحمن ابن خلدون، الذي وصل بعد ذلك بقليل إلى فاس، قادمًا من بسكرة،

Scanned by CamScanner

عن طريق الجنوب[122].

وفـي تلـك الظـروف، انـصرف لـسان الـدين ابـن الخطـيب إلـى تأليف كتاب " أعمال الأعلام "، مستعينًا بأمثلةٍ عديدة من التاريخ الإسلامي لإثبات صحّة البيعة للسلطان الصغير السعيد. ومـن البديهـي أنَّ يحيـى ابـن خلـدون وأخاه عبد الرحمن قد اطلعا على هذا الكتاب، وأدركا جيّدًا أن تأليف مثل هذا الإنتاج التاريخي قد يساعد صاحبه على حِفظ منزلة مُهَدَّدة في البلاط، والحصول على عطف الملوك والوزراء.

ومن المحتمَل جدا أن يكون يحيى ابن خلدون قد شرع، منذ ذلك العهد، في تأليف الجزء الأول من كتابه " بغية الرواد ". وذلك عندما أصبح من المتوَقَّع أن يتغيَّر الوضع السياسي، الأمر الذي قد يكون له أسوَأ الأثرعلى مصير لسان الدين وأصدقائه، نتيجة تدهور الأحوال في الدولة الْمَرينية، وما أدّى إليه ذلك من تغيُّر في الوضع السياسي بالمغرب الأوسط، بعودة أبي حمو الثاني إلى تلمسان إثر وفاة عبد العزيز المريني بقليل، ووقوع اضطراباتٍ خطيرةٍ في المغرب الأقصى، وخصوصًا إثرَ تدَخل سلطان غرناطة في شؤون المملكة المرينية، محاولاً استغلالَ الموقف لبلوغ هدفه في النيْل من ابن الخطيب، والقضاء على صديقه الوزير ابن غازي ابن الكاس.

وفعلاً، فإن الفتنة انتشرت بسرعة في المغرب الأقصى، وتَمَكَّن رُسُل سلطان غرناطة من مداخلةِ القائد محمد ابن الكاس ابن عمّ الوزير، وعَقْدِ اتفاق معه يتضمن مساعدته بالجيوش والعتاد والأموال للقضاء على الوزير، وخلع السعيد، والبيعة لأبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني[123]. وتصدَّى الوزير ابن غازي بن الكاس لِمُحاربـة ابـن عمِّـه وحلفائـه، ولكنـه انهـزم مـرَّتين، ثـم اعتـصم بأسـوار فاس، فحاصره أعداؤه[124].

وعندئذٍ أدرك لسان الدين ابن الخطيب خطورة الموقف، فوجّه أنظاره نحو الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة الذين يمكن الاعتصامُ بهم، وطلبَ شفاعتهم

Scanned by CamScanner

فيه لدى سلطان غرناطة. ومن بين الأصدقاء الأوفياء الذين ساعدوا لسان الدين في ذلك، يحيى ابن خلدون، الذي راسل السلطان أبا حمُّو الثاني في شأنه[125]، إلّا أن هذه المساعي لم تسفر عن نتيجة إيجابية. وأخيرًا انتهى الأمر باستسلام الوزير ابن غازي، وخلع السعيد، في سادس محرم سنة 776 هـ، ولم يفلت لسان الدين ابن الخطيب من بطش خصومه، فألقي القبض عليه وزجّ في السجن، في انتظار قدوم رُسُل ملك غرناطة، وبَتِّهم في شأنه[126].

ولم يستسلم ابن الخطيب وأصدقاؤه لليأس في تلك الظروف القاسية. ومن بين المساعي التي لجؤوا إليها في تلك الأثناء، قصيدة نَظَمَها ابن الخطيب في سجنه، وأرسلها إلى السلطان أبي حمُّو الثاني، بواسطة يحيى ابن خلدون، مستنجدًا به ومتوسِّلاً إليه، راجيًا أن يشفع فيه عند السلطان الغني بالله[127]. غير أن كلّ هذه المساعي لم تجْدِ نفعًا، وتمّ مقتل ابن الخطيب في سجنه، في ليلةٍ من ليالي آخر محرم أو أوائل صفر سنة 776 هـ، بعد أن اتُّهِمَ بالزندقة وحُوكِمَ وعُذِّبَ[128]. ولا شك أن ما قاساه ابن الخطيب من محنة وعذاب قد أثر تأثيرًا قويًا في مشاعر أصدقائه، وأثار في نفوسهم الغضب والألم الشديد. ولم يمكث يحيى ابن خلدون بفاس، بعد ذلك، إلّا ايامًا قلائل، ثم عزم على مغادرة المغرب الأقصى، والالتحاق ببلاط أبي حمُّو موسى الثاني، حيث وصل في أول ربيع الأول سنة 776 هـ.

د) عودة يحيى ابن خلدون إلى تلمسان

بعد فراق دام أربع سنوات، لم يجد يحيى ابن خلدون بُدًّا من الرجوع إلى بلاط أبي حمُّو موسى الثاني، معترفًا بزَلَّته، طالبًا العفو والصفح. وقد سبق أن تحدثنا عن الظروف التي وقع فيها ذلك الفراق، وما يمكِن إبداؤه من اعتباراتٍ حول أسبابه. أما أسباب عودة يحيى ابن خلدون إلى تلمسان، فالظاهر أنها ترجع قبل كل شيء إلى الموقف الحرج الذي صار يعيش فيه بعد استسلام الوزير ابن غازي، ومقتل لسان الدين ابن الخطيب، حيث إنه فَقَدَ حِمايةَ مَنْ كان يعتمدُ عليه من الشخصيات السامية، في البلاط المَريني، الذي أصبحت تُمَزِّقه الفِتن والمناورات

Scanned by CamScanner

القائمة بين المتنافِسين على الحكم، ممَّا سبَّب انتشار الفوضى في البلاد. وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ ما كان يربط يَحْيَى ابن خلدون وأخاه عبد الرحمن بلسان الدين ابن الخطيب من صِلات الصداقة والودّ قد أدّى بدون شك إلى الحطِّ من شأنهما في البلاط، وجعلهما في قائمة الأشخاص المشكوك فيهم لدى الحُكَّام الجُدُد بفاس[129].

ومن جهة أخرى، فقد كان رُجُوعُ يَحْيَى ابن خلدون إلى تلمسان في ظروف سياسية بالغة الأهَمِّيَة، إذ كان أبو حمُّو الثاني يُواجِهُ مشاكل خطيرة، جعلته في حاجة ماسَّة إلى استشارة مُساعِدٍ مُخلِص، يتمتع بثقته ورضاه. وذلك أنَّ الوضع السياسي في المغرب الأوسط كان يعرف آنذاك تحوُّلاً هامًّا، من جرَّاء السياسة المعادية لأبي حمُّو، التي سلكها أشياخُ قبيلة بني عامر أيَّامَ حركة عبد العزيز الْمَريني إلى تلمسان. وقد نتج عن ذلك أن اضْطُرَّ المَلِك الزيَّاني إلى البحث عن أنصارٍ جُدُد، يعتمِد عليهم في بسط نفوذه في البلاد، والذَّوْدِ عن حَوْزَتها. ولم يَجد بدًّا من قبول خِدمة قبيلة سُوَيْد، ومنحِها الامتيازات والإقطاعات التي كانت، من قبل، لبني عامر. وممَّا ساعد على هذا التقارب بين سويد وأبي حمُّو الثاني، الدَّوْرُ الذي قام به كل من الشيخ ونزمار بن عَريف السُّوَيْدِيّ، والأمير الشاب أبو تاشفين، أكبر أبناء أبي حمُّو، الذي أصبح يشارك أباه في تدبير شؤون الدولة[130]. والجدير بالملاحظة أن خروج بني عامر عن طاعة أبي حمُّو الثاني، وقيامهم ضِده، فَسَحَ المجال لسُوَيْد، في تأييد العرش الزياني، وللأمير أبي تاشفين في الاتصال بهؤلاء، والنهوض معهم لإخضاع المخالفين والثُّوَّار، مما أدّى إلى ارتفاع شأن الأمير الشاب، واتِّساع نفوذه في الْحُكْم، على حساب أبيه[131].

ولا شك أن هذا التطوُّر، الذي طرأ على سياسة العرش الزياني، أصبح يُقلِق أبا حمُّو الثاني، الذي بدأ يرى ذيوعَ صِيْت ابنِه، وعلوَّ منزلته، بعين الحَذر والتخوُّف. وممَّا يدلُّ على ذلك، ما رواه يحيى ابن خلدون في كتابه، حول حادث وقع في تلك الأثناء بين أبي حمُّو وابنه أبي تاشفين. وذلك أن أبا حمُّو أصدر قرارًا، في آخر

Scanned by CamScanner

شعبان 776 هـ، يَقضي بإسناد مَهامّ الحكم إلى ولده أبي تاشفين. فامتنع هذا الأخير من قبول ذلك، وهمَّ بمغادرة تلمسان، قاصدًا إلى إحدى الزوايا أو التوَجُّهِ إلى البادية، للتخلص من هذه المسؤولية الكبرى، وانتهى الأمر بإعفاء الأمير ممَّا ندَبَه السلطان إليه[132].

فهذا الحادث، إن دلَّ على شيء، فإنما يدلُّ على رغبة أبي حمُّو في الاطلاع على نوايا ابنه الحقيقية وقَلَقِه الشديد أمام اتساع نفوذ الأمير الشاب في مجال الحكم والسلطة، وشهرته في البلاط، ولَدَى الجنود والقوَّاد، لِما أبداه من شجاعة ومهارة في الحروب، والعلاقة الطيِّبة التي نشأت بينه وبين قبيلة سُوَيْد.

ولا يُسْتبْعَد أن يكون أبو تاشفين قد أصبح يتصرَّف في قضايا الدولة، الصغيرة والكبيرة، بدون استشارة أبيه، ومراجعته في كيفية معالجتها، مُعْتمِدًا على رأيه ورأي أصدقائه وحلفائه. ويُحْتمَل أيضًا أن يكون أبو حَمُّو قد سلَّم الكثير من أمور الدولة إلى ابنه إثر عودته إلى تلمسان بعد وفاة عبد العزيز المريني، معتمِدًا عليه في التغلب على الأخطار التي كانت لا تزال تُهَدِّدُ العرش الزياني.

ولكن، بعد أنْ خَفَّتْ وطأةُ هذه الأخطار، واستتبَّ الأمن في أغلب مناطق البلاد، يبدو أن أبا حمُّو رَأَى أن يستعيد كلَّ سلطته، أو على الأقل أن يَمْتَحِن إخلاص ابنه ووفاءَهُ له. وعلى كلٍّ، فإن وجود يحيى ابن خلدون بجانب أبي حَمُّو، منذ بضعة أشْهُر، بتلمسان، قد يكون عاملاً قويًا في حثِّ السلطان على الحذر من تزايد نفوذ ابنه، والتخوُّفِ ممَّا قد يُخامِر ذِهْنه من نوايا سَيِّئَة[133].

وعلى العموم، فإن هذه الفترة كانت فترة خصبة بالنسبة ليحيى ابن خلدون، لأنها مَكَّنَتْهُ من تأليف قسم هامّ من كتاب " بغية الرواد "[134]، كما أنها مكنته من مواصلة دراسته للأدب والشعر والتاريخ، وغير ذلك من العلوم التي كان يميل إليها. ولم يخطر في بالِه أن يتخِذ موقِفًا سياسيًا، وينحاز إلى جانبٍ ضِدَّ الجانب الآخر. بل كان يقتصِر على تنفيذ أوامر السلطان، ويعيش حياة أديبٍ، تتَّسم بالبساطة والحذر والتحفُّظ. ولذا، فرغم ما كان يُوذِن به الصِراعُ بين بني عامر وسُوَيْد من تأزُّم

Scanned by CamScanner

الوضع، ورغم ما كان يُتوَقع ظهورُهُ من سُحُبٍ في العلاقات بين السلطان وابنه أبي تاشفين، فلم يكن هناك ما يُنبئ بخطر جسيم، يهدد حياة الكاتب الأمين يحيى ابن خلدون.

هـ) وفاة يحيى ابن خلدون

يمكن القول إن الصراع الذي نشب سنة 777 هـ، بين بني عامر وسويد، كان يوذن بانزلاق الدولة العبد الوادية نحو تفكك السلطة الملكية، لفائدة العرب البدو من قبيلة زغبة، الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم، ويَشُنّ بعضهم ضِدَّ البعض الآخر حربًا، كان دور السلطان فيها لا يتجاوز الانحياز إلى جانب سويد[135]. غير أن البلاط الزياني أصبح، منذ أوائل سنة 779 هـ، مسرَحًا للمناورات، ممَّا جعل الأوضاع السياسية بتلمسان تتأزَّم من جديد، وبخاصَّةٍ في القصر الملكيّ، وبين أفراد الأسرة المَلكية، وترتبط وفاة يحيى ابن خلدون ارتباطًا وثيقًا بهذه الحوادث.

وذلك أن أبا حمُّو عزم، وقتئذ، على نقل ابنه أبي زيان، والي المدِية، من المنطقة الشرقية إلى وهران، حيث عهد إليه بنفس الوظيفة. ويذكر صاحب كتاب "العبر" أن هذا الإجراء اتخِذ لأن الأمير أبا زيان هذا اتُّهِمَ بعقد اتصالات مشبوهة مع قبائل العرب البدو، في تلك المنطقة، وأن أبا حَمُّو أنزل معه بوهران " بعض وزرائه عَينًا عليه "[136]. وكان مرسى وَهْرَان من أهمّ موانئ المملكة وأكثرها ازدهارًا، وخصوصًا في الميدان التجاري، إذ أنه كان يربط بين الإمارة الزيانية والأندلس، الأمر الذي جعل أبا تاشفين يغضب لهذا التعيين ويرفضه رفضًا باتًّا، بل يطلب من أبيه أن يُعَيِّنَه مكان أخيه في هذه الوظيفة.

وقد يكون لهذا الموقف الْمُتشدِّد والثائر عوامل أخرى، غير أهَمِّيَّة وهران الاقتصادية. فقد ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن سبب ذلك راجع إلى ما كان يوليه أبو حمُّو الثاني لأبنائه الثلاثة، أبي زيان والمنتصر وعُمَير، من محبَّةٍ وحنوّ، وما كان ينتج عن ذلك في نفس أبي تاشفين من غيرة وحقد، الأمر الذي جعل أبا حمُّو يلجأ إلى توليةِ هؤلاء الأبناء الثلاثة على بعض الْمُدُن، لإبعادهم عن العاصمة، خوفًا من

Scanned by CamScanner

أن يُصيبهم أبو تاشفين بمكروهٍ[137].

ولكن يبدو أنّ هناك سببًا آخر، كان العامل الأساسي الذي دفع أبا تاشفين إلى اتخاذ هذا الموقف، وهو تخوُّفه من منافسة إخوته في الحصول على العرش الزياني بعد وفاة أبيه. والحقيقة أنّ جَوّ المؤامرات والتنافس على العرش كان قد بدأ يسود الحياة السياسية في الإمارة الزيانية. فكان الحصول على ولايةِ منطقةٍ من المناطق بِمَثابة امتلاك قاعدة يُمْكن التَّمَرْكُزُ فيها، والاعتماد على ما فيها من قوة عسكرية عند الاقتضاء، أي في حالة نشوب حرب بين الإخوة المتنافسين على العرش. فمن الطبيعي أن تثور ثائرة أبي تاشفين وأصدقائه وحلفائه سويد، وأن يقفوا أمام هذا التعيين، الذي من شأنه أن يُعَزِّز نفوذ أبي زيان وأخوَيْه، المنافسين لأبي تاشفين في الحكم.

أما أبو حمُّو فإنه وجد نفسه آنذاك في مأزق حَرِج. فكان، من جهة، يَوَدُّ إرضاءَ ابنِهِ أبي زيان، ويُوليهِ عناية خاصَّة. ولكنه، من جهة أخرى، اصْطَدَمَ بمعارضة ولي عهدِهِ أبي تاشفين، وطلبِهِ المُلِحِّ بالرجوع عن قرار تعيين أبي زيان، وإسنادِ ولاية وهران له. ولم يَشأ السلطان، آنذاك، أن يرجع عن قراره، كما أنه لم يُقدِمْ على فرض إرادته، ورفض طلب أبي تاشفين في شأن ولاية وهران، وإنما " أسْعَفه ظاهرًا، وعهد إلى كاتبه يحيى ابن خلدون بمماطلته في كتابها، حتى يرى المخلص من ذلك "[138].

فلم يكن في وسع يحيى ابن خلدون إلّا الإذعان لأمر السلطان، ومماطلة الأمير. وكان في بطانة هذا الأخير، مِن حُسَّاد يحيى بن خلدون، مَن أوهمَه أنَّ كاتب أبيه كان بِمُماطلته تلك يعمل سِرًّا لصالح الأمير أبي زيان، وأنه كان يتباطأ في الإجابة إلى كتابة عهد التولية على وهران لأجل ذلك. وقد ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن هذه الادعاءات لم يكن لها أساس من الحقيقة، وإنما اختلقها رجل من بطانة أبي تاشفين، يدعى موسى بن يخلف، ودسَّها على يحيى ابن خلدون، حسدًا وغيرة ومكرًا[139].

Scanned by CamScanner

إلّا أنَّ الباحث النَّزيه لا يعتبر هذا القول مُسَلَّمًا، من دون أن يتعرَّض إلى البحث في احتمال صِحَّة هذه الادِّعاءات، ولو بصفة جُزْئيَّة. فمن المحتمَل جِدًّا أن يكون يحيى ابن خلدون مشاطرًا سلطانه في شعور الحُنوّ والتفضيل تجاه أبي زيان وأخوَيْهِ المنتصِر وعمَيْر. وقد يكون انتساب أمِّهم إلى بلاد إفريقية، قد ساعد على نشوء هذا الشعور في نفس يحيى ابن خلدون، بالإضافة إلى ما امتاز به أبو زيان من توفيق في التعلُّم وحفظ القرآن ونظم الشعر[140].

غير أنه ليس لدينا ما يُثبت أن يَحْيَى ابن خلدون كان له يَدٌ في تعيين أبي زيان على ولاية وهران، وأنه المسؤول الوحيد على الْمُمَاطلة في إصدار عهد تولية أبي تاشفين. وكل ما في الأمر أنَّ تصرُّف يحيى ابن خلدون هذا، كان من شأنه أن يحثَّ الأمير أبا تاشفين على الحذر، والإصغاء إلى الإشاعات التي كان يَصِل إليه صَداها. فكان في موقف يحيى ابن خلدون ما يدعو إلى غضب الأمير. ولم يجد هذا الأخير وسيلة لتحقيق غرضه غير تدبير مقتل يحيى ابن خلدون، على يَدِ رجال من بطانته، في ليلةٍ من ليالي رمضان سنة 780 هـ[141].

وهكذا، فَقَدَ عالَمُ الأدب والعلم يحيى ابنَ خلدون، وهو في مُقتبَل العمر، في حين كان قد اكتمل تكوينُه العلمي وبدأ يسير في مرحلة الإنتاج مثل أخيه عبد الرحمن. فكانت حياته تشبه حياة أخيه في التجوال عبر أقطار المغرب، وتعكِس الجوَّ السياسي، وهو جوٌّ يمتاز بالتقلب وعدم الاستقرار.

لقد كان يحيى ابن خلدون طيِّب النفس، مرهَفًا، واسع الخيال، غزير الاطِّلاع، شديد الحياء، متواضعًا، حَمِيد السيرة، وفِيًّا، أمينًا. وقد دفعه وفاؤه لمولاه، والتزامه بتنفيذ تعاليمه، إلى المخاطرة بحياته، وتحدِّي أعداء السلطان. فسقط ضحِيَّة الصراع العنيف، الذي كانت ظهرت بَوادِره آنذاك، بين أفراد الأسرة الحاكمة. ولا يَسَعنا إلّا الاعتراف ليحيى ابن خلدون بهذه القِيَم السامية، التي تضفِي على شخصِيَّته مِسْحة من النبْل والدَّعَة، وتُجِلُّه المنزلة اللائقة بالعلماء والأدباء الأجلة.

Scanned by CamScanner

ب. آثار يحيى ابن خلدون

يمكن القول بأن ما تهَيَّأ ليحيى ابن خلدون من تكوين أدبي وعلمي، كان يناسب تمامًا وظيفة كاتب السِّرِّ للسلطان الزياني. وذلك أنه كانت تتوفر فيه الشروط المطلوبة من علماء وأدباء البلاط، من رزانةٍ وذكاء واستقامةٍ، وأناقة في الأسلوب، ونبوغ في سائر فنون الأدب، وقدرةٍ على منافسة أشهر شعراء بلاط أبي حَمُّو الثاني[142]. وعلاوة على ذلك، فإن يحيى ابن خلدون كان قد حصل على تجربة هامّة في مجال الحياة السياسية. وذلك أنه شغل منصب حاجب للأمير أبي عبد الله الحفصي في بجاية. وكان يعرف جيدًا حياة العرب البدو وتقاليدهم، واطلع عن كثب، أثناء إقامته صحبة أخيه عبد الرحمن عند ابن مُزنِي، في ناحية بسكرة، على المشاكل التي كانت تَنْجُمُ عن الوضعية التي خلقها وجود العرب البدو في بلاد المغرب، وعلى الدور السياسي الهامّ الذي كان هؤلاء يقومون به آنذاك.

ومن بين المهامّ التي كانت تُسْنَدُ عادة لكاتب السِّرِّ تسجيلُ أمجادِ عهدِ السلطان، ومفاخر دولته، وبطولات جيوشه، وذكر الأحداث الشهيرة في حياة البلاط، وتدوين كل ذلك، مستعمِلاً أسلوب العصر الأدبي، وما يمتاز به مِن تَصَنُّع وتكلُّفٍ. ثم إن كاتب السرِّ كان يُكلَّف أيضًا بإنشاء مراسلات السلطان ذاتِ الطابع السرِّيّ، كما أنه كان يُطلب منه كتابةُ عُقود تولية الوُلاة والرسائل الرسمية[143].

وهكذا، يبدو جَليًّا أن وظيفة يحيى ابن خلدون هذه كانت تجعله في جَوٍّ ملائم لإنتاجٍ أدبي غنِيٍّ ومتنوّعٍ[144]. ومن المؤسف أن الرسائل التي كتبها يحيى ابن خلدون أثناء قيامه بتلك الوظيفة لم تصل إلينا. غير أن أهمَّ إنتاجه لم يَضِع، ويتمثّل في بعض القصائد الشعرية، وكتاب "بغية الرواد في ذكر المُلوك من بني عبد الواد"، الذي نحن بصدد تحقيقه ونشره.

1. تاريخ تأليف " بغية الرواد " وعنوانه

يواجه الدارس لكتاب "بغية الرواد" تساؤلاتٍ عديدة. ويمكن اعتبار أن هذا الكتاب، الذي لم يَتِمَّ تأليفه، كان من المُحْتَمَل جدًّا أن يُدخِلَ عليه مؤلّفه بعض

Scanned by CamScanner

التعديلات، لو كتِبَ له المزيد من العمر[145]. وأوّل تساؤل يخصُّ تحديد تاريخ تأليف الكتاب والظروف التي كتِبَ فيها. ومن الصعب الإجابة على هذا التساؤل، إذ ليس لدينا أي دليل يمكن الاعتماد عليه لضبط تاريخ شروع يحيى ابن خلدون في كتابة " بغية الرواد "، بصفةٍ يقينية. إلّا أن ذلك لا يمنعنا من البحث عن بعض القرائن التي قد تساعد على تسليط بعض الأضواء في هذا الموضوع، من خلال دراسة هذا الكتاب.

وقد ذكر يحيى ابن خلدون في مقدمة كتابه أنه امتثل لأمر السلطان عندما قام بتأليف " بغية الرواد "[146]. غير أنه لم يحدِّدْ التاريخ الذي صدر فيه هذا الأمر. فهل يُفهَم من هذا أنه ألف القسم الأكبر من كتابه أوعلى الأقل، الجزء الأول منه، أثناء إقامته الأولى في بلاط أبي حَمُّو (769 - 772 هـ)؟ أو هل ينبغي اعتبار تاريخ تأليفه بعد ذلك، أي أثناء مُقام المؤلف في البلاط المريني (772 - 776 هـ)، أو أثناء الإقامة الأخيرة بتلمسان (776 - 780 هـ)؟[147].

ويبدو من المُحتمَل أن يكون يحيى ابن خلدون قد فكر في إنجاز هذا العمل، وبدأ بجمع الوثائق الضرورية، أثناء إقامته الأولى في البلاط الزياني. وعلى سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى الفصل الثاني من الباب الأول من القسم الأول، الذي يتضمّن تراجم علماء تلمسان وصلحائها. فهو، من دون شك، يتطلب إجراء أبحاثٍ طويلةٍ في عين المكان، والحصول على معلومات كثيرة من خلال الحديث مع المُثقَّفين وكبار أهل المدينة، أثناء إقامةٍ تمتدُّ أشهرًا عديدة أو سنوات. وكذلك الأمر بالنسبة لجمع القصائد الشعرية الكثيرة، التي نظمها شعراء البلاط، أو السلطان أبو حمُّو الثاني نفسه. غير أن هناك بعض القرائن، التي قد تجعلنا نرجِّح عملية تأليف الكتاب، وحتى الجزء الأول منه، إلى ما بعد احتلال السلطان عبد العزيز المريني لتلمسان (محرم سنة 772 هـ)[148]. ويبدو من الأنسب الاعتقاد أن تأليف القسم الأول من " بغية الرواد " كان بعد وفاة السلطان عبد العزيز المريني، أي خلال سنتي 774 - 775 هـ، وذلك أنه يقع في فترة غَنِيَّة من حياة المؤلف، من الناحية الثقافية،

Scanned by CamScanner

إذ أنها تَمتاز بِجَوٍّ ملائم جِدًا للإنتاج الأدبي. وتلك الفترة هي التِي كان ينعم فيها بصحبة أخيه عبد الرحمن، وبصداقة لسان الدين ابن الخطيب. وقد سبق لنا أن أشرنا إلى ما كان لهذا الأخير من تأثير عميق على يحيى ابن خلدون وأخيه عبد الرحمن. فكان نبوغه في ميادين الأدب، من شعر ونثر وتاريخ وغير ذلك، وانصرافه إلى التأليف في ذلك كله، يدعو الأخوَيْن إلى الاتصال به، بالإضافة إلى انتمائهما إلى أصلٍ أندلسي مثله، مِمّا كان يساعد على توثيق عرَى صداقةٍ كانت تربطهما به منذ حوالي عشر سنوات[149].

وكان لسان الدين قد التجأ إلى البلاط الْمَريني في أواخر سنة 772 هـ، فارًا من غضب سلطان غرناطة، نتيجة مُؤامرة حاك خيوطها ابن زمرك وأصدقاؤه[150]، ولا شك أن ما كان يتمتع به من صَيْتٍ ذائع، وعلوّ كعبٍ في فنون الأدب والتاريخ، وما كان قادرًا على تقديمه من مساعدة للأدباء الناشِئِين، قد حثَّ يحيى ابن خلدون وأخاه عبد الرحمن على ملازمته، والاستفادة من اللقاءات التي كانت تجمع بينهم، وما كان يجري فيها من محادثات أدبية ونقدٍ للإنتاج الثقافي الْمُعاصر، وعرض لما جادت به القريحة من نثر أو شعر.

ويبدو جَلِيًا من هذه الاعتبارات أن السنوات الثلاث التي قضاها يحيى ابن خلدون في البلاط المريني بتلمسان ثم بفاس (773 – 776 هـ)، كانت حاسمة في اتجاهه، واتجاه أخيه عبد الرحمن، إلى التأليف في التاريخ[151]. فكان إنتاجهما، مثل إنتاج ابن الخطيب، مِمّا يُهْدَى إلى سلاطين دول المغرب الإسلامي المعاصرين لهم. وكأنهم كتبوا لغرض الدَّلالة على ولائهم لأولئك الملوك، وربما أيضًا لِيَبْرَهِنوا على سعة اطلاعهم وبلاغتهم، أكثر مِمّا كتبوا لغَرَض البحث النَّزيه. وإذا كان هناك هدف رئيسي يُراعيه المؤلف في معظم هذا الإنتاج، فإنما هو العمل على مُداراة السلطان الذي يُهْدَى إليه الكتاب، وإظهار عهده في أجمل حلة للأجيال القادمة.

ومن المحتمَل جدًا أن كتاب " بغية الروّاد "، الذي ألف لذكر أمجاد عهد أبي حمّو الثاني، لم يبرز إلى الوجود لولا رغبة يحيى ابن خلدون في استرجاع منصبه

Scanned by CamScanner

في البلاط العبد الوادي، والحصول على رضى سلطان تلمسان. وهكذا، يكون الشروع في تأليفه عندما ساءت الأحوال السياسية بفاس، كما سبق ذكره[152]، بينما كان السلطان أبو حمُّو قد أعاد الاستقرار والأمن في معظم مناطق مملكته، وأعاد إلى عاصمته ودولته حياة جديدة. ولا شك أن قلق يحيى ابن خلدون قد اشتدّ بعد أن ألقِيَ القبض على لسان الدين ابن الخطيب (شوال 775 هـ)، وأن رغبته في مُغادرة فاس، والعَودة إلى تلمسان قد ازدادت تأكدًا، إلى أن قُتِلَ ابن الخطيب فاستحالت إلى تصميمٍ لا رُجوع فيه.

وكان على يحيى ابن خلدون أن ينال من السلطان الزياني رضاه وعفوَهُ على ما صدر منه، منذ ثلاث سنوات، من الالتحاق بالبلاط المريني بتلمسان أوّلاً، ثم بفاس. والجدير بالملاحظة أن الجزء الثاني والأخير من " بغية الروّاد " ينتهي إلى آخر سنة 776 هـ، مِمَّا يجعلنا لا نستبعِد أن يكون تقديم الكتاب للسلطان أبي حمُّو قد وقع في أوائل سنة 777 هـ، أي بعد عودة المؤلف بحوالي سنة، وفي وقتٍ كانت قد عادت الأمور إلى مَجْراها الطبيعي في المملكة الزيانية، واستعادت بعض رونقها ونفوذها[153].

واستنتاجًا من هذه الاعتبارات، يبدو من الأرجح أن نحدد تاريخ إنْهاء تأليف الجزء الأول من "بغية الرواد" في أوائل سنة 776 هـ أي في آخر الإقامة بفاس، أو في أوائل الإقامة الأخيرة بتلمسان، وتاريخ الانتهاء من كتابة الجزء الثاني في أوائل سنة 777 هـ[154].

وهناك إشكالية أخرى تتعلق بعنوان الكتاب. وذلك أن بعض المخطوطات أوردت عنوان " نجعة الروّاد " عِوَض عنوان " بغية الروّاد " الذي اشتهر به الكتاب. وقد ورد ذكر العنوان بعبارة " نجعة الروّاد " في مقدمة أربع نسخٍ من المخطوطات العَشر التي رجعنا إليها في تحقيق الكتاب، وهي التي استعملنا للدلالة عليها الرموز التالية: ح، ل، ر، س. والغالب على الظن أنّها كانت واردة أيضا في مقدمة نسخة ب، المبتورة الصفحات الأولى، لما بينها وبين نسخة ح، من تقارب كبير في النص.

Scanned by CamScanner

وورد كذلك هذا العنوان في آخر الجزء الأول من النسخ التالية: ب، ح، ل، ر[155].

غير أن عنوان " بغية الرواد " قد ورد في النسخ الخمس التي تدلُّ عليها، في نشرتنا هذه، الرموزُ التالية: ج، ط، ق، ز، ش، وكذلك في آخر الجزء الأول من نسخة س، وفي آخر الجزء الثاني من جميع النسخ. ويلاحظ أن النسخ التي ورد فيها عنوان " نجعة الروَّاد "، هي أقدم المخطوطات، وأن هذا العنوان قد أثبت غالبًا في أوَّلها، ثم عُوِّضَ في آخر الجزء الأول من نسخة س، وفي آخر الجزء الثاني من النسخ الأخرى كلها بعنوان " بغية الروَّاد ".

ولذا، فلا يُسْتبْعَد أن يكون يحيى ابن خلدون قد أطلق على كتابه، بادِئَ ذي بَدءٍ، عنوان " نجعة الروَّاد "[156]. ثم بَدا له أثناء تأليفه للكتاب أن يغيّره ويعوِّضه بعنوان " بغية الرواد "، الذي هو أجمل وأفصح[157].

2. مضمون الكتاب

لا شك أن القارئ يتبيَّن، من عنوان الكتاب التامّ، " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد "، أن الموضوع الْمَطْروق فيه هو تاريخ الدولة الزيانية، من نشأتِها إلى عصر المؤلف. غير أن يَحْيَى ابن خلدون يتجاوز، في كثير من الأحيان، هذا الإطار الضيّق، ليُعالِج مسائل هامشية، ليست من صميم الموضوع.

وهذا، إن دلَّ على شيء، فإنما يدلُّ على أُفُقٍ أوْسَع في نَظَرِيَة التاريخ عند يحيى ابن خلدون، بالنسبة لكثير من كتَّاب عصره. وقد ذكر المؤلف في المقدمة أنه ألف كتابه بأمر من السلطان الزياني، لغرض تخليد أمْجاد ملوك الدولة العبد الوادية، وبخاصَّةٍ عهد أبي حَمُّو الثاني. وتنتهي المقدمة بفهرست الكتاب، الذي يشتمل على ثلاثة أقسام.

فالقسم الأول يشكل مقدمة طويلة للموضوع، تتضمَّن دراسة يراها المؤلف ضرورية لتاريخ هذه الدولة، حول أصل قبيلة بني عبد الواد، وماضيها قبل تأسيس الدولة. ولأجل ذلك، فهو يبدأ بوصف البلاد التي شَملتها مَملكتهم، وبخاصَّةٍ عاصمتهم تلمسان. ويَسْتَدِلُّ على فضل هذه البلاد في الإسلام بأحاديث ورد فيها

Scanned by CamScanner

ذكر الْمَغْرب، وبِما يُرْجَى من أهَمِّيَّة الدور الذي يقوم به في نصرة الإسلام[158]. ثم يتناول وصف مدينة تلمسان العتيقة، وموقعها الطبيعي الجميل، اعتمادًا على البكري والزُّهْري، ويورد، في صدد هذا الوصف، بعض القصائد التي نظمها شعراء مشهورون في التَّغَنِّي بروعة جمالها ومَجْدها[159].

ثم ينتقل إلى استطرادٍ طويل حول العلماء والصلحاء الذين ولدوا بتلمسان ونشؤوا فيها، أو نزلوها وتوفوا بها، منذ حوالي القرن الخامس الهجري.

وينتهي الباب الأول بفصل يتضمَّن نظرة عامَّة وموجزة، حول تاريخ تلمسان قبل تأسيس الدولة العبد الوادية، وذكر الدول التي ملكت ناحيتها منذ الفتح الإسلامي، مع إبداء بعض العناية بدولة الأدارسة، الذين يعتبرون أجدادًا لِملوك بني عبد الواد، حسب الرأي الشائع بين علماء البلاط بتلمسان.

ثم يتناول المؤلف، في الباب الثاني، دراسة الدور الذي قامت به قبيلة بني عبد الواد في تاريخ الْمَغْرب، قبل تأسيس دولتهم، وذلك بعد أن ذكر آراء النَّسَّابَة والمؤرخين العرب حول أصل البربر، وأسماء العديد من قبائلهم، وهو لا يشك، على ما يبدو، في صحَّةِ انتساب ملوك بني عبد الواد إلى الأدارسة[160]. ويلاحظ، في هذا الصدد، أنه لا يشير إلى رأي ابن حزم في هذا الموضوع، وإنما يحاول تدعيم رأيه بحُجَج فقهيَّةٍ، لإبطال آراء مَن نفى صِحَّة هذا النسب[161].

وفي الباب الثالث يتعرَّض إلى الأوضاع التي مكنت بني عبد الواد من الاستقرار بناحية تلمسان، وما أدَّى إليه ذلك من ضغط قويّ على المدينة إبَّان انهيار النفوذ الموحِّديّ، ثم تحوَّل ذلك إلى الاستيلاء عليها وعلى ناحيتها بفضل جرأة رؤساء القبيلة. وبانتقال الرئاسة إلى يغمراسن بن زيان تحوَّل الحكم إلى إمارة مستقلة، ودخلت قبيلة بني عبد الواد وتلمسان عهدًا جديدًا.

ويتضمَّن القسم الثاني أيضًا ثلاثة أبواب، خصِّص أولها لذكر عهد يغمراسن وابنه أبي سعيد، ثم ثلاثة أمراء، من نسل هذا الأخير[162]. وينتهي هذا الفصل الهامّ بذكر تغلبِ السلطان أبي الحسن الْمَريني على إمارة تلمسان. والجدير بالملاحظة أن

Scanned by CamScanner

يحيى ابن خلدون لا يولي أهمِيَّة لتاريخ تلمسان أيام أبي الحسن المريني (737 – 749 هـ) وابنه أبي عنان (753 – 759 هـ)، رغم ما كان لتلمسان آنذاك من دور هامّ في تاريخ المغرب، وما تخلل ذلك من إنجازاتٍ عُمْرانية لا يستهان بها، والظاهر أن السبب في موقف المؤلف هذا، هو أن الغرض من تأليفه هو تمجيد الدولة العبد الوادية، فلا داعي لذكر أمجاد وأخبار منافسيهم المرينيين. والباب الثاني يتناول الظروف التي أدَّت إلى إحياء الدولة العبد الوادية على يد الأخوَيْن الأميرَيْن أبي سعيد الثاني وأبي ثابت. وبذكر عهد هاذيْن الأميرَيْن، في الباب الثالث من هذا القسم، ينتهي الجزء الأول من كتاب " بغية الروَّاد ".

أمَّا الجزء الثاني، الذي يشكل القسم الثالث من الكتاب، فقد خصَّصَ كله لذكر عهد أبي حَمُّو الثاني، إلى آخر سنة 776 هـ وهنا أيضًا يلجأ المؤلف إلى التقسيم إلى ثلاثة أبواب، تناول في أولها ذكر الخلال الحميدة التي اتصف بها أبو حَمُّو، وفي الثاني عرض حياة أبيه وأسلافه، الذين لم يكن لهم حظٌّ في الإمارة، إلى يحيى بن يغمراسن، منتهيًا بحياة أبي حمُّو الثاني قبل الإمارة، والحركة الموفقة التي حققت رغبته في إحياء الدولة الزيانية مرَّة ثانية[163]. ثم في الباب الثالث، وهو أضخم بابٍ في الكتاب، تعرَّضَ إلى تاريخ عهد أبي حمو الثاني، متبعًا نظام السنوات، إلى آخر سنة 776 هـ. وفي هذا الباب ذِكْرٌ مفصَّل لأخبار النصف الأول من عهد أبي حمو، إلَّا أن العرض، في كثير من الأحيان، مُثقل بما يضاف إليه من استطرادات، الغرضُ منها الترفيه على القارئ وتسلِيته، وذلك مثل القصص الفارسية المقتبَسَة من كتاب " سلوان المطاع " لابن ظفر الصقلِّي[164] وكثير من القصائد الشعرية.

وينتهي الجزء الثاني من " بغية الرواد " بذكر حوادث آخر سنة 776 هـ، غير أننا نجد، في بعض النسخ المخطوطة، مُلْحَقًا صغيرًا، يتناول ذكر حوادث أول سنة 777 هـ وهذا الملحق لا يوجد في أقدم النسخ. ثم إن أسلوبه يختلف عن أسلوب يحيى ابن خلدون بصفة محسوسة، ممَّا يجعلنا نُرَجّح أنه من وضع بعض النسَّاخ.

Scanned by CamScanner

3. مصادر " بغية الرواد "

يختلف الأمر بالنسبة لموضوع مصادر " بغية الروَّاد " حسب أبواب الكتاب وفصوله. فإذا كان الجزء الثاني يعتمد خاصَّة على أخبارٍ رَواها بعضُ مَن شهدها من المعاصِرين لها، ومن بينهم المؤلف، وعلى رسائل رسميَّة متبادَلة بين أمراء المغرب الإسلامي[165]، فالجزء الأول، في أغلب فصوله، يستقي المعلومات من مصادر مكتوبة متنوِّعة وعديدة إذ أنه يعالج مسائل أقلَّ اختصاصًا بالأمراء الزيانيين. ويذكر يحيى ابن خلدون، في كثير من المواطن، المصادر التي اعتمد عليها، وخصوصًا عندما يريد تدعيم الآراء التي يسوقها للقارئ، وإقامة الأدلة في المسائل المختلف فيها.

فمثلاً، عندما تناول الإطار الجغرافي الذي نشأت فيه الدولة العبد الوادية، وذكر حديث " لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة "، لجأ إلى ذكر بعض المحدثين المشاهير، كمسلم والدارقطني وبَقِي بن مَخلد وعُبَيْد الله الْهَرَوِيّ، لتأييد الرواية التي ساقها، مُقْتَفِيًا في ذلك آثار عدد من العلماء المغاربة ومعتمدًا، بصفة خاصَّة، على ابن الزيَّات التادِلي، صاحب كتاب " التشوُّف "[166].

وفيما يتعلَّق بوصف تلمسان، يرجع يَحْيَى ابن خلدون إلى ما ورد في كتابَيْ البكريّ والزُّهْريّ، وكأنه يروي قولهما من ذاكرته، حيث إننا نلاحظ أن النص الذي يسوقه يختلف كثيرًا عن النص الأصلي من ناحية الألفاظ، غير أنه يؤدِّي المعنى بأمانة[167]. وفي ذكر تراجم علماء تلمسان وصلحائها، يبذل يحيى ابن خلدون مجهودًا أكبر في احترام الصيغة اللفظية للنصوص التي يرويها عن سابقِيهِ، مثل ابن الأبَّار وابن عبد الملك المرَّاكشي وابن الزيَّات، وهو في أغلب الأحيان، لا يذكر المصادر التي يستقِي منها معلوماته[168].

غير أن يحيى بن خلدون يبرهن على اطلاعه الواسع لَمَّا يتناول موضوع أصل البربر. فهو يعرض النظريات التي أبداها في هذا المجال أشهر المؤرخين وعلماء

Scanned by CamScanner

الأنساب وغيرهم من العلماء ويحاول أن يقدِّم هذه النظريات المُختلفة بوضوح وإيجاز، وقد ساعده على ذلك تكوينه الفقهي والتاريخي.

ويبدأ عرضه هذا بالإشارة إلى النظريات التي تقول بانتساب البربر إلى حام مِمَّا رواه المسعودي والقضاعي والطبري والصولي. ثم يذكر التي تقول بانتسابِهم إلى سام، من دون أن يشير إلى أسماء أصحابِها.

ثم يذكر بعد ذلك نظرية مالك بن المرحَّل، المتوفى سنة 699 هـ، التي تقول بأن البربر قبائل مختلفة من حِمْيَر ومُضَر وقِبْط وعمالقة وقريش، اجتمعت في الشام، وتقاربت لغاتها المختلفة، مِمَّا أدَّى إلى لغة جديدة هي لغة البربر[169].

ثم ينتقل المؤلف إلى نقطة كثر حولها اختلاف العلماء، وتتعلق بالظروف التي أدَّت إلى استقرار البربر في المغرب. فيروي قول المسعودي والطبري والسهيلي (المتوفى سنة 581 هـ)، بأن إفريقش اليمني أتى بهم في جملة جيشه عندما ملك المغرب، وتركهم به. ثم يذكر قول البكري، بأن بني إسرائيل هم الذين طردوهم من ديارهم بفلسطين، بعد موت رئيسهم جالوت، على يد داود عليه السلام، وهو أيضًا رأي ابن قتيبة والصولي[170]. وبعد ذكر هذه الأقوال، يورد يحيى ابن خلدون رأيًا آخر، لم يُشِرْ إلى قائله، ويُفضله على الآراء الأخرى، ومفاده أن طائفة من قبائل البربر تنتمي إلى أصل عربي، بعضها يمني، وبعضها الآخر نزاري. ومن بين هذه الأخيرة البُتر، ومن هؤلاء زناتة، أبناء بَرّ بن قيس عيلان. ويضيف المؤلف أن هذا الرأي قد ذكره أيضًا الطبري والبكري[171]. وهكذا فبنو عبد الواد، وهم من زناتة، ينتمون إلى قيس عيلان[172].

وعندما يصل الباحث إلى لبّ الموضوع، وهو تاريخ الدولة العبد الوادية، ويتساءل عن المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في ذلك، فإنه يلاحظ أن هذا الأخير لَمْ يُشِرْ إلى أيِّ مصدر لتاريخ المغرب خلال القرنَيْن السابع والثامن للهجرة. وتدعوه الْحَيْرة إلى التساؤل عمَّا إذا كان يحيى بن خلدون قد عرف بعض المصادر لتاريخ تلمسان وتاريخ الدولة الزيانية، مثل كتابَي ابن الأصفر وابن هَدِيَّة، وعنوان

Scanned by CamScanner

كليهما " تاريخ تلمسان "[173]، وربما أيضًا كتاب " زهر البستان في دولة بني زبان "[174]، ولم يَرَ ضرورة الإشارة إليها في كتابه، أو أنه لم يعرف تاريخ الدولة الزيانية والحياة الفكرية بتلمسان إلا عن طريق أشياخه، مثل الآبلي، وعن طريق اتصاله بالْمثقفين المعاصرين له.

غير أنه يُسْتبْعَد أن خزانة أبي حَمُّو الثاني كانت لا تحتوي على هذه الكتب، وأن يحيى ابن خلدون لم يتمكن من مطالعتها. وقد يكون هذا الأخير صَرَفَ عنايتَه كلها إلى القسم الأخير من كتابه، الذي يتضمَّن عهد أبي حمُّو الثاني. وهو، في هذا الْمَجال، يؤرِّخ للأحداث الْمُعاصِرة، ويقوم بدَوْر شاهدِ عِيان، لا يحتاج إلى مُطالعة الْمَصادر المكتوبة. ويلاحظ في هذا الصدد أن الجزء الأول من " بغية الرواد " جاء في غاية الإيجاز، مِمَّا جعله، في بعض الأحيان، يُهْمِل ذكر بعض المعلومات الهامَّة[175].

4. نظرية يحيى ابن خلدون في التاريخ

لا شك أن نظرية يحيى ابن خلدون في التاريخ لا تَمتاز بالطرافة والجدَّة التي تمتاز بها نظرية أخيه عبد الرحمن، بالنسبة للمؤرخين المعاصرين له. غير أنه لا يمكن إغفال هذه النقطة من دراستنا، لِمَا لها من صِلة وثيقة بمنهجية يحيى ابن خلدون، ومن أهمِّيَّة خاصَّة في شرح بعض جوانبها.

وفي هذا الصدد، يمكن القول إن التاريخ كان يُعْتبَر في القرن الثامن الهجري، وهو عصر المؤلف، عِلمًا لا مجال للشك في جواز الاشتغال به، عند المحدِّثين والفقهاء. وكان هذا الحكم بالجواز يعتمِد أساسًا على فائدة علم التاريخ في المجال الديني والخلقي. فمعرفة أخبار الأمم والشعوب السالفة، وأعمال كبار رجالها، الذين ساهموا مساهمة فعَّالة في تطوُّر الإنسانية، بما أبدَوْه من خصال حميدةٍ أو ذميمة، وما لهم من أثر في الحياة الدنيا، من جرَّاء سلوكهم وسيرتِهم، كل ذلك يشكل عِبْرَة خُلُقية هامَّة للأجيال القادمة[176].

وهذه الفكرة الشائعة في ذلك العصر، هي التي عبَّر عنها يحيى ابن خلدون في

Scanned by CamScanner

مقدمة كتابه، حيث إنه ذكر أن أخبار السَّلَف عِبْرة للخَلَف[177]، وأن تدوين أخبار العظماء " أسوة في الفخر اللباب، وعِظة وذكرى لأولي الألباب "[178].

غير أن يحيى ابن خلدون لا يعتبر هذه القضِيَّة الْخُلُقِيَّة عاملاً أساسيًا لإنتاجه التاريخي، بل الغاية الأساسية في ذلك هي تخليد أمْجاد أمراء الدولة العبد الوادية، وبخاصَّةٍ السلطان أبي حمُّو الثاني، الذي انصرف إلى مدحه والثناء عليه. وهكذا، فالغرض من هذا التأليف هو كتابة تاريخ دولة، والإشادة بأمْجادها، وإطلاع الخلف عنها[179]. فليس الغـرَضُ، في الحقيقة، القيامَ ببحث نزيهٍ، يهدف إلى المعرفة الموضوعية البعيدة عن التملق للأمراء وكبار الدولة، كما كان يريده عبد الرحمن ابن خلدون[180].

ولذا، فكتاب " بغية الرواد "، الذي ألف بأمر من السلطان أبي حمُّو الثاني، يحمِل طابع عصره. فهو إنتاج عالم من علماء البلاط، كتب، قبل كل شيء، لغرض تَمْجيد عهد السلطان الزياني، ثم لذكر أخبار الأمراء الزيانيين الذين سبقوه[181]. وعلى هذا الأساس، ينبغي طَرحُ مسألة الصدق والموضوعية، عند يحيى ابن خلدون، على بساط البحث، كما ينبغي أن تُطْرَح بالنسبة لسائر مؤرخي البلاط. وهذا يؤدِّي بنا إلى دراسة منهجيته التاريخية.

5. منهجية التاريخ عند يحيى ابن خلدون

يبدو أن هناك مظهرَيْن متميِّزيْن في كتاب " بغية الرواد ". أولهما خاصٌ بِمَدْح السلطان والأمراء الذين سبقوه، وقد صِيغَ في أسلوب السَّجْع المعتمِد على المحسِّنات البديعية، ويقع خاصَّة في بداية الفصول والأبواب وفي مقدمة الكتاب. وثانيهما هو مظهر كتابة التاريخ الحقيقي، ويختلف عن السابق، سواء في المبنى أو في المضمون، وهو الذي يهمُّنا بشكل خاصّ.

وبما أن هاذيْن المظهرَيْن يَرْمِيان إلى هدفَيْن مختلفَيْن، فينبغي التميزُ بينهما في دراستنا لمنهجية يحيى ابن خلدون. فالجانب الْمَدْحِيّ يقع على عاتق عالِم البلاط، الذي يرخِي العِنان لِخَياله، ويتكلف الاستعارات والتشبيهات العديدة. وهذا

Scanned by CamScanner

الموقف، الخاضع لتقاليد العصر، هو الذي اتخذه سائر مؤرخي البلاط، آنذاك، أمثال لسان الدين ابن الخطيب، وابن مرزوق الخطيب، وابن الأحمر، وصاحب " الحلل الموشية "، وصاحب " زهر البستان "، وغيرهم(182). وإذا كان يبدو جليًا أن هذا المظهر يكتسي طابع التذلل والتملق، فإن المظهر الثاني، على عكس ذلك، يخضع لقواعد علم التاريخ المعهودة عند العرب، والملتزمة حدود الأمانة العلمية والصدق. وعليه، فلا يسوغ للباحث أن يرفض مبدئيًا كل الأخبار الواردة في " بغية الرواد " بحُجَّة طابع الكتاب المدحي. وذلك أن يحيى ابن خلدون قد ميَّز، سواء من حيث المبنى أو المعنى، بين القسم المدحي والقسم التاريخي، وأحلَّ هذا الأخير المنزلة الأساسية في كتابه، بينما لم يترك للأول إلَّا دور الغِلاف والزخرفة، في ذلك الإنتاج. وعلى كل، فينبغي استعمال هذا النوع من التآليف بكل ما يتطلبه من حذر ويقظةٍ، إذ لا يُعْقل أن يعالج يحيى ابن خلدون، كاتب أبي حمُّو الثاني، تاريخ الدولة العبد الوادية، وبالأخصّ عهد السلطان الذي يخدمه، من دون أن يُفَكِّر في إظهار الأحداث والوقائع في صورةٍ ملائمةٍ لأولئك الأمراء. فهو يحاول مُداراة حَساسِيَّتِهم، ولكنه لا يعمد، في ذلك، إلى تغيير الحقائق التاريخية، وإنما يلجأ غالبًا إلى أسلوبٍ خفِيّ، ينحصر في إغفال بعض التفاصيل، أو السكوت عن بعض الأحداث.

غير أن هذا الأسلوب ليس عامًا في الكتاب. فلم يتأخر يحيى ابن خلدون مثلاً، عن ذكر أكبر هزائم أبي حمُّو الثاني، ووصْفِ أحداثها(183). إلَّا أننا نلاحظ، من ناحية أخرى، أنه لم يُشِرْ إلى كثير من هزائم يغمراسن(184)، كما أنه لم يصرِّح بتدهور نفوذ أبي حمُّو الثاني إثر الهزائم التي مُنِيَتْ بها جيوشه من سنة 765 إلى سنة 772 هـ، من جراء انتهاز العرب البدو جميع الفرص للاستيلاء على أراضي الإمارة، والصراع الناشئ بين السلطان وابنه الأكبر أبي تاشفين.

ومن جهة أخرى، يلاحظ أن مضمون " بغية الرواد " لا يشمل جميع مظاهر البحث التاريخي، وخصوصًا القسم الخاصّ بتاريخ عهد السلطان أبي حمُّو الثاني،

Scanned by CamScanner

وهو أهمّ أقسام الكتاب، سواء من ناحية الحجم أو من ناحية قيمة المعلومات، حيث إنَّ ميدان التاريخ يكاد ينحصر في نشاط السلطان وجيوشه وحياة البلاط. أما الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فلم تحظ بعناية المؤلف، الذي أغفل التعَرُّض إليها، ما عدا بعض المعلومات النادرة جدا، وردت بصفةٍ عابرة في صدد الحديث عن حياة البلاط[185].

غير أن الأمر يختلف بالنسبة للجزء الأول، الذي هو بمثابة مقدمةٍ لتاريخ عهد أبي حمُّو الثاني، حيث إن المؤلف يخصِّص مكانة هامَّة للتعرّض إلى ميادين خارجة عن الحياة السياسية، ممَّا يجعل مجال العرض أوْسَع وأشمل. فبعد مقدمةٍ حول الإطار الجغرافي، ينصرف الكاتب إلى ذكر الحياة الفكرية بتلمسان فيما يزيد على مائة ترجمة للعلماء والصلحاء. ثم يستعرض بإيجاز الولاة والأمراء الذين حكموا هذه المنطقة من المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي. ويلي ذلك تاريخ الدولة الزيانية قبل عهد أبي حمُّو الثاني، بعد عرض موجز حول أصل قبيلة بني عبد الواد، والظروف التي أدَّت إلى تأسيس إمارتِهم.

ويُستنتج ممَّا سبق ذكره أنَّ يحيى ابن خلدون يجمع موادَّ مختلفة، ويجعل منها دراسة وافية عن تلمسان. ولكنه، في نفس الوقت، يعالج مختلف النقاط المطروقة بصفة مقتضبة، مكتفيًا بانتقاء بعض المعلومات، ومن دون أن يفكر في تقديم دراسة مستوعِبَة للموضوع[186]. وعلى كل، فإن الجزء الأول من " بغية الرواد " يستَوْحِي طريقة تأليفه من منهج بعض المؤرخين المغاربة، أمثال عبد الواحد المراكشي ولسان الدين ابن الخطيب، الذين يستهلون مؤلفاتهم بمقدمة متنوِّعة المحتوى، تتضمَّن خاصَّة وصف البلاد المعنِيَّة، من حيث دراسة أوضاعها الجغرافية والاجتماعية والفكرية، وكذلك من ناحية تطوُّرها السياسي قبل الفترة المَعْنيَّة[187].

وهكذا، يتضح أن هؤلاء المؤرِّخين انتهجوا اتجاهًا جديدًا في معالجة التاريخ، يَتمثل في ربط التواريخ السلطانية بالتاريخ الإقليمي السابق، وبالإطار الجغرافي والبيئة الاجتماعية والثقافية، وإن كانوا لم يُصرِّحوا بهذا المنهج، ولم يُعربوا عنه في

Scanned by CamScanner

غضون مؤلفاتهم. ويبدو أن يحيى ابن خلدون كان له شعور واضح بهذا الاتجاه الذي كانت تتبعه المدرسة التاريخية المغربية آنذاك. فهو يذكر، في بداية القسم الأول من كتابه، أنه سيحاول دراسة " ما لا غنى بنا عنه من التعريف بكنه قبيل بني عبد الواد وأوَّلِيَّته ". ثم يتابع حديثه قائلاً: " ولَمَّا كان كل حادث مفتقرًا بذاته إلى مكان سابق، وزمان لاحق، وجب أن نفرد لذكره[188]، وذكر كل منهما[189]، بابًا نفي فيه بغرضنا من خبره "[190].

وقد يكون مفيدًا أن نقارن بين هذه الفكرة، والفكرة التي أبداها عبد الرحمن ابن خلدون في هذا الموضوع. فهو يقول في بداية المقدمة: " إن كل حادث من الحوادث، ذاتًا كان أو فعلاً، لا بد له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله"، الأمرالذي يتطلب معرفة " طبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومُقْتَضَياتِها "[191].

لا شك أن هناك تقارُبًا صريحًا بين هاتين الفكرتين المنبعثتَيْن عن اهتمام واحد، وهو أن التاريخ الوقائعي لا يمكن له وحده، أن يفسِّرَ أسباب الحوادث التاريخية ونتائجها، وأن معرفة التاريخ الدقيقة والصحيحة تتطلب، بالإضافة إلى عرض الحوادث، دراسة الإطار الذي وقعت فيه، والأوضاع التاريخية التي تتصل بها.

فهذا المبدأ قد ذهب إليه كل من الأخوَيْن يحيى وعبد الرحمن، وعبَّر عنه كل واحد منهما بما يناسب مجالات البحث التي عُنِيَ بها. فأورده عبد الرحمن ليطبقه على التاريخ العامّ، وجعل منه حقيقة صالحة لكل زمان وكل مكان، بينما وضعه يحيى لتاريخ دولةٍ، مؤكدًا أهمِّيَّة اعتبار سائر العناصر الْمَحلية الْمُتَّصِلة به. ويتطلب هذا الاتجاه، الذي ينبني على فكرة البحث عن الأسباب والعِلل، دراسة سائر العوامل التي تخضع الأحداث التاريخية لتأثيرها، وكل العناصر التي ترتبط بها أو تنبعث عنها، كما يرتبط ذلك بنقد المعلومات، شفاهية كانت أو كتابية. وفي هذا الصدد يبدو أن يحيى ابن خلدون يجري عملية النقد في مستوى انتقاء المعلومات

Scanned by CamScanner

فقط. أما الأخبار التي يوردها، فهو لا يتعرَّض لنقدها إلّا نادرًا[192]. وكثيرًا ما يشير يحيى ابن خلدون، في الجزء الأول من كتابه، إلى المصادر التي يستقي منها الأخبار. إلّا أنه يكتفي غالبًا بذكر اسم المؤلف، دون الإشارة إلى عنوان الكتاب الذي يعتمد عليه. ثم إنه لا يرى ضرورة ذكر إسناد رُواة الأخبار، شأنه في ذلك شأنُ معظم كتّاب عصره[193].

ويلاحظ أن لهذا التطوُّر في منهجية التاريخ صِلَةً وثيقة بتطوّر نظرية العلماء للتاريخ. فاعتبار التاريخ علمًا من العلوم المساعدة لمعرفة الشريعة، وتفهّم الإشارات التاريخية الواردة في القرآن، طيلة القرون الأولى للهجرة، كان يُحَتِّم اتباع منهج المحدِّثين في تدوينه. ولكن، عندما بدأ العلماء يكتبون التاريخ لتمجيد حكم السلاطين والخلفاء، لم يرَوْا أيَّة ضرورة لنقد الإسناد في رواية الأخبار. وأصبح المقياس الوحيد لقيمة الخبر، اتفاقه والهدف الذي يرمي إليه المؤلف.

ويُستنتَج من كل هذه الاعتبارات أن يحيى ابن خلدون ينتمي إلى المدرسة التاريخية المغربية التي ازدهرت في القرنَين السابع والثامن للهجرة، بما امتازت به نظريته للتاريخ ومنهجيته. وذلك خلافًا لأخيه عبد الرحمن، الذي لم يأخذ كثيرًا عن سابقيه، ولم تُغنَ الأجيالُ التاليَةُ بدراسة إنتاجه ومواصلة جهوده.

ثم إننا نلاحظ عند يحيى ابن خلدون وعبد الواحد المراكشي ولسان الدين ابن الخطيب وأبي عبد الله بن مرزوق وغيرهم، أن كلاً من الباحث وعالِم البلاط يتجاوران في نفسيَّة المؤلف المؤرخ، ويعيشان في جَوٍّ وئامٍ واتفاق. وفي هذا الجوار، يضطَرُّ كل واحد منهما أن يتنازل عن بعض المبادئ، ويتحالف مع الآخر. وعندئذٍ، يَنْقِصُ الإنتاجَ شَيْءٌ من الدِّقة والصدق، إلّا أنه يزداد سعة ووضوحًا[194].

غير أن هذا الاتجاه الذي سلكته التواريخُ السُّلطانية، يجعلنا نشعر بشيء من الأسف، إذ أنه أدّى إلى جعل قسم هامّ من نتاج المؤرخين في خدمة الحُكّام، على حساب الموضوعية والنزاهة.

Scanned by CamScanner

6. أسلوب يحيى بن خلدون

لقد امتاز القرن الثامن الهجري، من ناحية تطوّر الأسلوب الأدبي، بتمادي التيّارات التعبيرية التي ظهرت، منذ القرن الرابع الهجري، في الأدب العربي بالمشرق. ولم تفتأ تزدادُ انتشارًا ورُسوخًا، لِما وجدت من إقبال لدى جمهور الأدباء، الذين بالغوا في تطبيق اتجاهاتِها القائمة على الإسراف في اللجوء إلى التشبيه والاستعارة وغير ذلك من صور البلاغة، الأمر الذي أثقل الإنتاج الأدبي نثرًا وشعرًا، وطبعه بطابع التكلُّف والتصنُّع. وقد عرفت هذه الاتجاهات انتشارًا كبيرًا في الأندلس وأقطار المغرب، ولاسيَّما بين كتَّاب مختلف البلاطات السلطانية. وعَمَّ استعمال السجع في المراسلات الرَّسْمِيَّة والخاصَّة، التي " امتازت بوفرةِ التعابير المسجَّعَة القليلة المعنى "[195].

أما يحيى ابن خلدون فإنه سلك الطريق التي عبَّدها سابقوه، في هذا الْمَيْدان[196]. ولا شك أنه تأثر بالكتَّاب والأدباء المشهورين في عصره، أمثال ابن عبد الْمُهَيْمِن الحضرمي وابن رضوان، وبصفة خاصة، لسان الدين ابن الخطيب، الذين قاموا بدَوْر رَئيسِيّ في تكوينه، وحصوله على مَلكة هذه الأساليب التعبيرية الْمُثْقَلَة بالْمُحَسِّنات البديعِيَّة[197].

هذا، ويمتاز أسلوب يحيى ابن خلدون بدِقة الوصف، وبراعة التصوير، وسعة الخيال، والتوفيق في اختيار الْمُفْرَدات. فنثره يتألق تألُّقَ الأحجار الكريمة، فيَفتن القارئ بما يحمِل في طيَّاته من تأنُّق وجزالةٍ وتَراكم الصور البلاغية، مِمَّا كان ينال رضى الأدباء والْمُثَقَّفين وإعجابَهم.

وعلاوة على ذلك، فإن يحيى ابن خلدون كان يكثر من استعمال الاستعارة إلى حَدٍّ يَقْرُب من الإسراف، ويُرْسِل الكلام متناسِق الأطراف، منسَجم العبارات، مزدانًا بنغمات السجع، ممَّا كان يكسب أسلوبه رَوْنقًا وجمالاً، ويجعله في مستوى إنتاج كبار الأدباء، ويحقق لصاحبه النجاح عند الأمراء والسلاطين[198].

والجدير بالملاحظة أن يحيى ابن خلدون لا يبالغ في استعمال السجع. فهو

Scanned by CamScanner

يلجأ إليه ليبرهن على صدق قريحته، ونُبوغه في فنون الأدب، ولإجادة وصف الأمير وعاصمته، والتعبير عن عواطف الإخلاص والوفاء. ولكنه، إذا ما انصرف إلى ذكر الأخبار، أو عالج مسائل تاريخية، فإنه يُفضّل النثر المُرْسَل، ويتوَخّى في أسلوبه البساطة والدِّقّة[199]. ويبدو أن هذا التكوين الأدبي المُعْتَمِد على وَفرة الرّصيد اللُّغوي، للتغلب على الصِّعاب الناجمة عن مُقْتَضَيات السجع، كان يُهَيِّئ صاحبه لنظم الشعر، إذ أن السجع يحتلُّ منزلة بين النثر المرسل والشعر.

فلا غرابة إذا كان يحيى ابن خلدون شاعرًا أيضًا، شأنه في ذلك شأن معظم كتّاب البلاط في عصره. وشعره يخضع لذوق مُعاصريه، ويَنِمُّ عن سعة الاطلاع على الأدب العربي، ومُمارسةٍ جدِّيَّةٍ لهذا الفن المُزدهر آنذاك في بلاطات الأمراء. وتشهد قصائده، التي نظمت بمناسبة الأعياد الدينية والأحداث الهامَّة، على مَواهِب أدبية حقيقية، وعلى سهولة في نظم المقطوعات الشعرية الطويلة. وعلى كل، فينبغي نقد هذا الإنتاج الشعري بوضعه في إطار عصره، وإجراء مقارنة بينه وبين نماذج من الإنتاج المُعاصِر له، ومراعاة التقاليد المُتَّبَعَة آنذاك.

ورغم أن يحيى ابن خلدون لم يَصِلْ إلى درجة فحول الشعراء، فإن شعره قد نال إعجاب المُعاصرين، وحَظِيَ بإقبالهم عليه. وإذا كان أغلب القرَّاء، في زماننا هذا، لا يعجبون به ولا يميلون إليه، فذلك لا يَمْنَع أن هذا الشعر له قيمة في حدِّ ذاته، وأنه يحمِل طابعَ عصرٍ من العصور[200].

7. مخطوطات " بغية الرواد "

أ) المخطوطات المستعملة في نشرة ألفرد بيل:

ذكر المستشرق ألفرد بيل (Alfred Bel) في مقدمة الجزء الأول لكتاب "بغية الرواد"، الذي نشره مع ترجمة إلى الفرنسية سنة 1903[201]، أنه استعمل النُسَخ التالية لتحقيق الكتاب:

1. مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر رقم 1619 (الرقم القديم: 862 أ)، تمّ نسخه في سنة 1151 هـ، بخط أندلسي جيّد، ولم يذكر الناسخ اسمه، وإنما صرّح أنه

Scanned by CamScanner

نقله عن نسخة كثيرة الأخطاء. ويشتمل على 63 ورقة، عدد سطورها 28 سطرًا، ومقاسها 289 × 203 مم، وفي الهامش تعاليق باللغة الفرنسية، ممَّا يجعلنا نرجح احتمال أن كاتبها هو الأب بارجيس. ويلاحظ أن هذا المخطوط يتضمن نقصًا كثيرًا، في أماكن عديدة، منها معظم القصائد الشعرية الواردة في الكتاب. وقد ذكر ألفرد بيل أنه استعمل هذه النسخة لتحقيق الجزء الأول من الكتاب ولكنه لم يتمكن من الرجوع إليها لتحقيق الجزء الثاني لأنها ضاعت(202). وأشرنا إليها في تحقيقنا هذا برمز: ج.

2. مخطوط الباشعدل شعيب بن طالب، الذي يشتمل على 63 ورقة، ويوجد ضمن مجموع يتضمَّن 151 ورقة، من فئة 320 × 220 مم. أما ناسخه، فيدعى الْحاج محمد بن الفقيه الدرويش التمساماني، وقد انتهى من نسخه في 2 ذي الحجة 1295 للهجرة. وهذه النسخة تشبه السابقة الذكر، لِما أصابَها أيضًا من نقص كثير وأخطاء عديدة، ترجع إلى جهل النُّسَّاخ(203). وقد رمزنا إليها في تحقيقنا هذا بحرف ط.

3. مخطوط القاضي شعيب (بتلمسان)، ويحتوي على الجزء الأول فقط من كتاب "بغية الرواد". وقد كتبت هذه النسخة بخط مغربي واضح، غير أنه لم يرد في آخرها ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ. ثم إنها أَجْوَدُ من النسختيْن السالفتي الذكرَ، إذ أنها أقل أخطاء، ولا ينقصها القصائد الشعرية التي لا توجد في المخطوطيْن السابقيْن(204). وقد أشرنا إليها في تحقيقنا لهذا الكتاب برمز: ق.

4. مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس، رقم 5031 (القسم العربي) الذي تَمَّ نسخه في 2 جمادى (؟) سنة 1056 هـ، بخطٍّ مغربيّ جميل على يد رجب بن أحمد قورصو، ويشتمل على 150 ورقة، من فئة 195 × 130 مم. إلَّا أنه مبتور الورقات الأولى، ويبتدئ في الورقة 8 ب، بالعبارة التالية: " سيقتل الحسن والحسين "(205). وهذه النسخة تماثل السابقة، من حيث قِلَّةِ النقص، إلَّا أنها أقلُّ أخطاء منها، ولعل ذلك يرجع إلى قِدَمِها(206). وقد رمزنا إليها في تحقيقنا هذا بحرف: ب.

5. مخطوط الباشعدل محمد بن أحمد الحصَّار التلمساني، المتوفى في يناير

Scanned by CamScanner

1903 م. وقد تمَّ نسخه على يد محمد بن محمد بن علي بن البشير بن الطيب، في تاريخ 17 رجب 4/1299 يونيو 1882. وهذا المخطوط الذي يشتمل على 160 ورقة، من فئة 170 × 223 مم، مبتور الورقات الأولى، مثل النسخة السابقة، ويبتدئ أيضًا بعبارة: " سيقتل الحسن والحسين ". ويبدو أنه ينتمي، مع النسختين السابقتين، إلى مَجْموعةٍ واحدة، وأنه نُقِلَ عن نسخة باريس، الْمُشار إليها سابقًا، أو عن نسخةٍ نقِلت عن هذه، لوجود بعض الاختلافات في كتابة بعض المفردات بين النسختيْن[207]. وقد أشرنا إليها في تحقيقنا برمز: ح.

ب) المخطوطات التي لم يستعملها ألفرد بيل في تحقيق " بغية الرواد "

يوجد، في المكتبات العامَّة، ست نسخ من " بغية الرواد "، لم يستعملها ألفرد بيل في تحقيقه للكتاب، وهي التالية:

---

(1) من بين الدراسات القليلة التي خصصت ليحيى بن خلدون، ينبغي ذكر الأبحاث التالية:
J، J، L. Bargès, Complément de l'histoire des Béni Zeiyan, rois de Tlemcen, pp. 205 - 17 ; A. Bel, Introd. à l'Histoire des Béni 'Abd el - Wad, rois de Tlemcen, pp. V - VI ; A. Bel, art., dans E. I. 2, III, pp. 855 - 56.

(2) لم يصل إلينا من الأخبار عن يَحْيَى ابن خلدون إلا ما ذكره لسان الدين ابن الخطيب في "الإحاطة"، وعبد الرحمن ابن خلدون في " التعريف ".

(3) عن أجداد بني خلدون، انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 3 – 8؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 460.

(4) أبو مسلم عمر بن محمد بن بقي بن عبد الله بن بكر بن خالد بن عثمان بن خالد بن عثمان بن خلدون، المتوفى سنة 447 هـ. انظر: ابن حزم المصدر السابق، ص 460؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، بيروت، 1965، ص 485؛ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 3 – 4؛ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، رقم 742، ص 439.

(5) انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 11.

(6) ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن أحد أجداده، يعرف بابن المحتسب كان قد أهدى جارية من سبي الجلالقة إلى الأمير أبي زكرياء الحفصي، أيام ولايته على إشبيلية، " وأنه اتخذها أم ولد، وكان له منها ابنه أبو زكرياء، ولي عهده، الهالك في إمارته، وأخواه عمر وأبو بكر،

Scanned by CamScanner

وكانت تلقب أم الخلفاء، وهي التي أسست مدرسة حمام الهواء بتونس ". راجع: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 8 - 9؛ نفس المؤلف، العبر، ج 6، ص 644.

(7) انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف، ص 11.

(8) راجع مقال ليفي بروفنسال التالي:

E. Lévi - Provençal, Le traité d'adab al - kâtib d'Abû Bakr b. Haldûn, dans Arabica, II, 1955, pp. 280 - 88.

(9) انظر: عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 12.

(10) انظر: ابن قنفذ، الفارسية، ص 138 - 139.

(11) انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر المذكور، ص 12. عن سبب إبعاد أبي فارس، راجع: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 684 - 685.

(12) انظر، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 139 - 140؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 687.

(13) انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 21.

(14) انظر: نفسه، ص 12؛ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 689 - 692.

(15) انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف، ص 12؛ ابن قنفذ، الفارسية، ص 143.

(16) انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 695؛ ابن قنفذ، م. س.، ص 145.

(17) ويذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن جده هذا عيّن حاجبًا للأمير أبي حفص بعد وفاة الحاجب الفازازي. انظر: التعريف، ص 13.

(18) عن الأمير أبي صعيدة، انظر: العبر، ج 6، ص 710 - 732.

(19) التعريف بابن خلدون، ص 13.

(20) ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن أبا يحيى الحفصي عرض على محمد ابن خلدون منصب الحجابة مرارًا، فامتنع. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 14.

(21) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي، المتوفى سنة 740 هـ. أسّس أبوه وعمه الحسن زاوية بتونس. انظر: ابن خلدون، التعريف، ص 14؛ ابن قنفذ، م. س.، ص 140؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 41 - 42؛ ابن بطوطة، رحلة، ص 6.

(22) التعريف بابن خلدون، ص 14 - 17.

(23) لم يذكر يحيى ابن خلدون، من بين أساتذته، إلا أربعة، وهم أبو علي الزواوي وأبو عبد الله الشريف والآبلي وأبو البركات البلفيقي. انظر: بغية الرواد، فيما يلي، ص 131، 148، وج 2، ص 118.

(24) محمد بن خلدون هو أخو عبد الرحمن ويحيى الأكبُر. لم يشتهر بين العلماء، والظاهر أنه توفي بعد موت أبيه بقليل. انظر: ابن خلدون، التعريف، ص 19، 32، 56.

(25) أبو عبد الله محمد بن سعد بن برّال القرشي، أصله من ناحية بلنسية بالأندلس. كان متضلعًا

Scanned by CamScanner

في القراءات. أخذ هذا العلم عن أبي العباس أحمد بن محمد البطرني. انظر: ابن خلدون، التعريف، ص 15؛ ابن تغري بردي، المنهل الشافي، ذكره محمد عبد الله عنان في كتاب " ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري "، ص 212؛ المقري، نفح الطيب، ج 8، ص 218.

(26) انظر: ابن خلدون، التعريف، ص 17. المقري، م. س.، ج 8، ص 278.

(27) أبو عبد الله بن العربي الحصائري، كان أستاذًا مشهورًا في النحو. مالك. انظر: التعريف، ص 17.

(28) أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي. انظر: التعريف، ص 17.

(29) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن القصّار، المتوفى سنة 800 هـ، كان متضلعًا في النحو، وله شرح على بردة البوصيري. انظر: التعريف، ص 17؛ الوزير السرّاج، الحلل السندسية، ج 1، قسم 3، ص 663.

(30) راجع: التعريف بابن خلدون، ص 17 - 18؛ ابن تغري بردي، م. س. ص 212.

(31) هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم الوادي آشي. ولد بتونس سنة 673 هـ. وتوفي فيها بالطاعون سنة 749 هـ. انظر: التعريف، ص 19؛ ابن فرحون، الديباج، ص 311 هامش1.

(32) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المنستيري الهواري التونسي، المتوفى سنة 749 هـ. كان يدرّس موطأ الإمام مالك ومختصر ابن الحاجب. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 19؛ ابن فرحون، م. س.، ص 336 - 337؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 161 - 163.

(33) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 19.

(34) راجع: التعريف بابن خلدون، ص 19؛ السخاوي، م. س.، ج 4، ص 145.

(35) لقد وجّه عبد الرحمن ابن خلدون نقدًا يمتاز بالوضوح والدقة لنظام التعليم المتبَع في عصره عبر المغرب الإسلامي. فذكر أن المتعلم كان مطالبًا باستحضار العديد من التآليف ومراعاة طرقها المختلفة، مما يؤدي إلى حفظ الكثير من الكتب المدونة وما كتب عليها من الشروح والحواشي والمختصرات. ولاشك أن هذا كله يشكل مادة غزيرة، يصعب حفظ جميعها ويتعذر إعطاؤها حقها من التفكير والتعمّق والتبصّر (راجع: المقدمة، ج 4، ص 1350 - 1351). ولذا فإنه يقترح أن يكون التعليم تدريجيًا " شيئًا فشيئا وقليلاً قليلاً " وأن يقع في ثلاث مراحل. أولاها تُمَثِّل المستوى الابتدائي، وهي عبارة عن التعرّف على الفن المَدروس بصفة إجمالية ومبسّطة، يراعى فيها مدى قوة عقل الطالب واستعداده لقبول ما يَرد عليه. وبذلك يكون مهيّأ " لفهم الفن وتحصيل مسائله "، و" يحصل له مَلكة في ذلك العلم "، تساعده على مواصلة دراسته بمزيد من التعمّق، في

Scanned by CamScanner

المرحلتين الثانية والثالثة. وعلى المُعَلم أن يجتنب إدخال الغموض في ذهن الطالب بخلط المسائل المندرجة في الكتاب المدروس بغيرها أو بتعليم علمين في آن واحد (المقدمة، ج 4، ص 1353 - 1358). هذا، وقد تناول عبد الرحمن بن خلدون الحديث عن ترتيب العلوم، وما ينبغي مراعاته من الاعتبارات التربوية في ذلك. فلم يتأخرْ عن إعلان مخالفته للرأي السائد بالمغرب في عصره، الذي كان ينحصر في الابتداء بحفظ القرآن وترك العلوم الأخرى، من لغة وأدب وفقه وحديث، إلى مرحلة ثانية تلي حفظ القرآن، وتقع غالبًا عندما يتجاوز الطالب سنَّ الطفولة.. وينتج عن هذا التعليم القصور عن مَلكة اللسان العربي، وقلة التصرف في الكلام. وقد أعرب عبد الرحمن بن خلدون عن إعجابه بآراء القاضي أبي بكر بن العربي في المجال التربوي. وتنحصر في تقديم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، ليتمكن الطالب من إجادة اللغة التي هي وسيلة لاكتساب العلوم. ويلي ذلك علم الحساب، " فيتمرّن فيه حتى يرى القوانين ". ثم ينتقل إلى درس القرآن، فيسهل عليه فهمه لما ناله قبل ذلك من التعليم (المقدمة، ج 4، ص 1359 - 1363). ثم إن عبد الرحمن ابن خلدون يحذر المعلمين من استعمال الشدة والعنف في التربية، لما ينجم عن ذلك من نتائج مضرَّة بالطالب، وخصوصًا من الناحية الأخلاقية (المقدمة، ج 4، ص 1363 - 1364) ويرى أن تآليف المختصرات في شتى العلوم مخِلٌّ بالتعليم. " وذلك لأن فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاء الغايات من التعليم عليه وهو لم يستعدَّ لقبولها بعد ". ثم إنه ينكر السرقة في التأليف، معلنا أن الإنتاج المفيد هو الذي يمتاز بالإبداع أو التصحيح أوالإثراء، لا " بانتحال ما تقدم لغيره من التأليف، أن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيس، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه " (المقدمة، ج 4، ص 1345 - 1352). وأخيرًا يشير عبد الرحمن بن خلدون إلى فوائد الرحلة لطلب العلم، ولقاء العلماء، وما ينتج عن ذلك من " مزيد كمال في التعليم " (المقدمة، ج 4، ص 1365).

(36) انظر: M. Talbi, art. Ibn Khaldun,. dans E. I. 2, III, p.849.

(37) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 19 - 20، 31 - 32؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج 1، رقم 578، ص 218 - 219؛ نفس المؤلف، جذوة الاقتباس، ص 142 - 143؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 243 - 244؛ نفح الطيب، ج 7، ص 164؛ الناصري، الاستقصا، ج 3، ص 171؛ الوزير السراج، م، س.، ص 670 - 671.

(38) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 45 - 46؛ الناصري، م. س.، ج 3، ص 171.

(39) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 46؛ يحيى ابن خلدون، م. س.، ج 1، فيما يلي، ص 171، هامش 5؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 115؛ نفح الطيب، ج 7، ص 159؛ الوزير السراج، م. س.، ص 693 - 694؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج 1، ص 219.

(40) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 20، 38 - 41؛ العبر، ج 7، ص 515 - 517؛ جذوة

Scanned by CamScanner

الاقتباس، ص 279 – 280؛ نفح الطيب، ج 7، ص 163 – 164، 384 – 391؛ عبد الرحمن بـدوي، مـؤلفات ابـن خلـدون، ص 256 وهـامش1؛ الكتانـي، فهـرس الفهـارس، ج 1، ص 358 – 360.

(41) انظر: ابن حجر، م. س.، ج 1، ص 13؛ التعريف بابن خلدون، ص 38 وهامش 4.

(42) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي (627 – 708 هـ)، مؤلف كتاب صلة الصلة، في التراجم، وقد نشر القسم الأخير منه المستشرق ليفي بروفنسال بالرباط، سنة 1938. انظر ترجمته في مقدمة نشرة صلة الصلة، ص 5؛ التعريف بابن خلدون، ص 39.

(43) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي، المتوفى سنة 708 هـ. انظر: لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 30، 40؛ نفس المؤلف، الإحاطة، ج 2، ص 278 – 304؛ المقري، نفح الطيب، ج 8، ص 40 – 44.

(44) أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد السبتي محب الدين بن رشيد الفهري الأندلسي (657 – 721)، صاحب الرحلة المشهورة، وعنوانها ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة. انظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج 1، رقم 524، ص 201.

(45) هو أبو عبد الله محمد ابن خميس التلمساني، قتل مع ابن الحكيم بغرناطة، سنة 708 هـ. انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 149، هامش 2.

(46) راجع: التعريف بابن خلدون، ص 40 – 41.

(47) نفسه، ص 22 – 23، 42 – 44؛ المقري، نفح الطيب، ج 8، ص 214 – 219.

(48) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي المعروف بابن أبي يحيى، انظر: التعريف بابن خلـدون، ص 41؛ المقـري، نفـح الطـيب، ج 7، ص 306 – 307؛ ابـن فـرحون، الديـباج المذهب، ص 89 – 90؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 217.

(49) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 41 – 42.

(50) انظر: مؤلف مجهول، زهر البستان، ورقة 50 أ – ب.

(51) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 43 – 44.

(52) لقد ألف كتابًا في السياسة. انظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 468.

(53) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 22 – 23.

(54) راجع: نفسه، ص 48 – 49؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 68.

(55) التعريف بابن خلدون، ص 48.

(56) عن الآبلي، انظر: التعريف بابن خلدون، ص 21 – 22، 33 – 38؛ يحيى بن خلدون، بغية الـرواد، ج 1، فـيما يلـي، ص 165؛ ابـن مـرزوق، المـسند، تحقيق ماريـا خيـسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص 266؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 167 – 171؛ ابن مريم، البستان، ص 214 – 219؛ الوزيـر الـسراج، م. س.، ج 1، قـسم 3، ص 616 – 621؛ الحفـناوي، م.

Scanned by CamScanner

س.، ج 1، ص 89 – 100؛ ابن إبراهيم المراكشي، أعلام الأعلام ج 3، ص 273 – 279؛
N. Nassar, Le maitre d'Ibn Khaldun, Al - Abili, dans Studia Islamica, XX, 1964, pp. 103 - 115.

(57) عن أبي الحسن التنسي، انظر: المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 167؛ يحيى بن خلدون، م. س.، ج 1، فيما يلي، ص 124.

(58) انظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 130 – 131.

(59) عن ابن دقيق العيد، تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي القشيري، انظر: الصفدي، م. س.، ج 4، ص 193 – 209؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام، ص 157 – 170؛ علي صافي حسين، ابن دقيق العيد، دار المعارف، 1960.

(60) وفيما يخص هذه الرحلة، ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن الآبلي أصيب بِمَرَض، فحاول علاجه بالكافور، فاختلط عقله، وبقي على تلك الحال أثناء إقامته بالمشرق. ثم عاد إلى رشده لَمَّا عاد إلى المغرب. عن هذا الخبر، وما يثيره من تشكك، انظر:
N. Nassar, op، cit., p. 108.

(61) انظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 191.

(62) عن أبي العباس ابن البناء، أحمد بن محمد المراكشي، راجع: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 65 – 68؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 74 – 78؛ الوزير السراج، م. س.، ج 1، ص 636 – 640؛ ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 1، ص 375 – 384؛ الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 213 – 214؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 1، ص 213؛ محمد سويسي، مقدمة تحقيق تلخيص أعمال الحساب لابن البناء، تونس، 1969، ص 3 – 5؛ محمد الفاسي، ابن البناء العددي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 6، سنة 1958، ص 1 – 10؛
H، P، J. Renaud, Ibn al - Banna ' de Marrakech, sufi et mathématicien, dans Hesperis, XXV, 1938, 1° trim., pp. 13 - 42. Le même, Le Calendrier d'Ibn al - Banna' de Marrakech, texte arabe et trad. frse de la Risala fi'l - anwa', 1948; M. Ben Cheneb art. dans E. I. 2, t. III, pp. 753 - 54., Paris.

(63) انظر، مثلاً، بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 120 – 121.

(64) انظر: N. Nassar, op. cit., pp. 110 - 114.

(65) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 15؛ عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري، ص 19 – 20.

(66) انظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 824 – 828؛ ابن قنفذ، الفارسية، ص 173.

(67) انظر: نفسه، ص 55 – 56.

(68) وكان هذا الأخير يقيم آنذاك بفاس. انظر: نفسه، ص 38، 58 – 59.

(69) وكان عبد الرحمن بن خلدون، في أوائل سنة 754 هـ، قد بلغ البطحاء، متوجهًا نحو تلمسان، حيث كان مقيمًا أبو عنان المريني، ولقي هناك الحاجب أبا عبد الله محمد بن أبي

Scanned by CamScanner

عمرو، الذي كان آتيًا من تلمسان بجيش مريني، قاصدا بجاية لتهدئة الأوضاع بها، وكانت وقعت فيها بعض الاضطرابات. فصحبه إلى بِجاية، ثم انضمَّ إلى وفود إفريقية الْمُتوجِّهة إلى بلاط السلطان المريني بتلمسان، فعاد معها إلى بجاية حيث قضى شتاء سنة 754 هـ. انظر: التعريف، ص 57 – 58.

(70) انظر: نفسه، ص 58 – 66.

(71) كان هذا الوفد مرسلا من قِبَل سلطان غرناطة لمرافقة أبي عبد الله المقري، وللشفاعة له عند أبي عنان. وكان أبو عبد الله المقري قد غادر مدينة فاس قبل ذلك، والتجأ إلى بلاط بني الأحمر، فارًّا من أبي عنان. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 60 – 61؛ لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 153 – 157.

(72) انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 118؛ عن البلفيقي، أبي البركات محمد بن إبراهيم السلمي، المتوفى سنة 773 هـ، راجع: التعريف بابن خلدون، ص 61؛ لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص 127 – 134؛ الإحاطة، ج 2، ص 101 – 121؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 391 – 408؛ ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 3، ص 325 – 350؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 164 – 167؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص 106 – 107.

(73) انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 167.

(74) ابن مريم، البستان، ص 173.

(75) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار، المتوفى سنة 749 هـ. راجع: التعريف بابن خلدون، ص 47؛ ابن مريم، م. س.، ص 153 – 154؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 129؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 160 – 162؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 553، 562 – 563. ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 3، ص 263 – 265.

(76) انظر، فيما قبل، ص 22 – 25.

(77) عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني، المتوفَّى سنة 771 هـ، انظر: بروكلمان، .G، A، L.، ج 2، ص 310 – 318. يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 167. التعريف بابن خلدون، ص 62 – 64. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 91. ابن مريم، م. س.، ص 164 – 184؛ الحفناوي، م. س.، ج 1، ص 106- 123، وج 2، ص 343؛ جلول البدوي، الشريف أبو عبد الله التلمساني، مجلة الأصالة، الجزائر، ص 48 – 55.
Bargès Complément..., pp. 80 - 93 et 163 - 95 ; Brockelmann, G، A، L., II, pp. 310, 318.

(78) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 53 – 54؛
M. Benchekroun, Le milieu marocain et ses aspects culturels, pp. 37 - 38.

(79) انظر: ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 636 – 642؛ الناصري، م. س.، ج 4، ص 8 – 12؛ المقري، نفح، ج 9، ص 99 – 108.

Scanned by CamScanner

(80) انظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 2، ص 56.

(81) انظر، فيما قبل، ص 20 – 21.

(82) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 95 – 96.

(83) نفسه، ص 70.

(84) راجع: العبر، ج 6، ص 851 – 852، وج 7، ص 647.

(85) وقد سبق لعبد الرحمن ابن خلدون أن اتهِمَ أيام أبي عنان، سنة 757 هـ.، بالتواطؤ مع أبي عبد الله الحفصي على استرجاع إمارة بجاية، ومحاولة اغتنام فرصة مرض أبي عنان لتحقيق هذا المشروع، فسُجنَ ومكث في السجن إلى وفاة أبي عنان. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 67، 95 – 96.

(86) التعريف بابن خلدون، ص 97. ويلاحظ، في هذا الصدد، أن عبد الرحمن ابن خلدون لم يُشِرْ إلى هذا الاتفاق في كتاب العبر. انظر: العبر، ج 6، ص 851 – 855.

(87) بغية الرواد، ج 2، ص 123.

(88) ومما يؤيد ذلك ما حدث، بعد ذلك، من تخلي يحيى ابن خلدون عن الحجابة لفائدة أخيه، عندما أقبل هذا الأخير إلى بجاية، قادمًا من الأندلس. انظر: فيما بعد، ص 28 – 30.

(89) وذلك أيام استيلاء السلطان عبد العزيز المريني على تلمسان، حينما كانت الجيوش المرينية تطارد أبا حمّو في الهضاب العليا وفي الصحراء. انظر، فيما بعد، ص 36 و37، الهامش 1.

(90) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 227 – 229.

(91) وقد يكون هذا السبب الرئيسي الذي جعل عبد الرحمن ابن خلدون يفضِّل المكوث بفاس، والاقتصار على إرسال أخيه صحبة الأمير أبي عبد الله. وقد لبث عبد الرحمن ما يزيد على سنتين بفاس، بعد ذلك. ولذا، فالغالب على الظن أنه كان يعتقد أن محاولة استيلاء أبي عبد الله الحفصي على بجاية مما يستبعد نجاحه، وأنه ربما سينال ما كان يؤمله من المناصب السّامية بفاس، إذا ما تغيرت الأوضاع السياسية مثلا، أو بغرناطة، إذا ما عاد السلطان الغني بالله ووزيره لسان الدين إلى الحكم، وكانا آنذاك مقيمين بالمغرب الأقصى. وفعلاً، فإن الغني بالله استرجع عرشه في أوائل سنة 763 هـ ثم التحق به وزيره لسان الدين في جمادى الأخيرة 763 هـ. أما عبد الرحمن ابن خلدون، فإنه رحل إلى الأندلس في ربيع الأول

764 هـ، حيث استقبل بحفاوة. إلا أن علاقاته بلسان الدين عرفت بعد ذلك شيئًا من الفتور، لأسباب غامضة، مما أدى بابن خلدون إلى مغادرة الأندلس والاتجاه إلى بجاية. انظر: التعريف بابن خلدون ص 80 – 93؛ الإحاطة، ج 2، ص 14 – 19.

(92) انظر: بغية الرواد ج 2، ص 88 – 89؛ زهر البستان: ورقة 86 أ – 87 أ.

Scanned by CamScanner

(93) انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 88 - 89، 93.

(94) وكان أبو زيان هذا قد استطاع أن يفلت من أسر بني مرين بفاس، وأن يلتحق بالمغرب الأوسط، ثم التجأ إلى بجاية. راجع: العبر، ج 7، ص 264؛ بغية الرواد، ج 2، ص 94.

(95) انظر: زهر البستان، ورقة 92 ظ - 93 ظ؛ بغية الرواد، ج 2، ص 95.

(96) عن الصلح الذي انعقد بين الأمير أبي عبد الله والسلطان أبي إسحاق، الذي انتقل إلى تونس إثر ذلك، انظر: عبد الرحمن بن خلدون، التعريف، ص 97؛ العبر، ج 6، ص 853 - 854.

(97) وفي هذه الأثناء، مُنِيَ أبو حمّو بهزيمة شنعاء، قرب البطحاء (25 ذي الحجة 765 هـ). انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 103 - 104؛ العبر، ج 6، ص 854 - 855؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حَمُّو موسى الزياني، حياته وآثاره، ص 108 - 113.

(98) وعندئذ فكر أبو عبد الله في التحالف مع أبي حمو موسى الزياني، فتخلى له عن تدلس، وعقد معه الصلح، وصاهره في ابنته. عن هذه الفترة، راجع: بغية الرواد، ج 2، ص 112، 117؛ العبر، ج 6، ص 858 - 860؛ التعريف بابن خلدون، ص 98 - 99؛ الزركشي، م. س.، ص 89؛ عبد الحميد حاجيات، عبد الرحمن بن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، عدد 19، ص 191 - 203.

(99) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 99 - 100؛ العبر، ج 6، ص 859.

(100) كانت سياسة أبي حمو، بعد وفاة صهره الأمير أبي عبد الله الحفصي، تهدف إلى التوسع من الناحية الشرقية. إلا أنها فشلت، وذلك بهزيمة أبي حَمُّو قرب بجاية، في ذي الحجة 767 هـ ومن أهم نتائج هذه الهزيمة عودة أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد الثاني إلى منافسة أبي حمو، واستيلاؤه على أغلب نواحي المنطقة الشرقية. ولم يتمكن أبو حمّو من إيقاف هذا الزحف إلا بمشقة كبرى، في أواخر سنة 768 هـ. عن هذه الحوادث، انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 127 - 139؛ العبر، ج 6، ص 860 - 862، وج 7، ص 269 - 271؛ التعريف بابن خلدون، ص 100 - 102؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 114 - 121.

(101) ويلاحظ أن عبد الرحمن ابن خلدون لم يتحدث عن الرسول الذي بعثه أبو حمو الثاني، كما أنه لم يقل شيئًا عن الدور الذي قام به أخوه في هذه الاتصالات مع عرب رياح. وقد ذكر أن هؤلاء بعثوا رهائن إلى أبي حمو الثاني، معربين بذلك عن تأييدهم له؛ لكنه لم يذكر هل رافقهم أخوه إلى تلمسان. انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 200 - 201؛ العبر، ج 7، ص 272 - 273.

(102) انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 201.

(103) التعريف بابن خلدون، ص 102 - 103.

Scanned by CamScanner

(104) وقد يكون سكوت يحيى عن ذكر أخيه ناتجًا عن مَيْله إلى إغفال كل ما من شأنه أن يغضب أبا حمو، أو يذكره بما لا يرضى عنه من الأعمال. وذلك أن عبد الرحمن كان قد سبق له أثناء استيلاء عبد العزيز المريني على المغرب الأوسط (772 - 774 هـ) أن اتصل بالدواودة من قِبَل السلطان المريني، لتحريضهم على التخلي عن أبي حمو، والعدول عن خدمته. ثم كان من عبد الرحمن أيضًا، أن وعد أبا حمو بالقيام بِمُهِمَّة الاتصال بالدواودة، سنة 776 هـ، ولكنه ما بلغ أحياء سويد حتى استجار بِهم، واستقرَّ بقلعة بني سلامَة، حيث انقطع لتأليف المقدمة، وتناسى المهمة التي كلفه بها أبو حمو. فمن الطبيعي أن يُعرض يحيى، وهو يؤلف كتابًا ليهديه إلى أبي حمو عن ذكر أخيه. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 135 - 138؛ العبر، ج 7، ص 276 - 277.

(105) هو عمر بن محمد بن مجن، أرسله أبو حمو إلى الدواودة، في شهر ربيع الأول 769 هـ، وهو بمليانة. انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 140.

(106) وذلك أن يحيى وصل إلى بلاط أبي حمو الثاني، في أول رجب 769 هـ، بينما كتب الخطاب الذي أرسله أبو حمو إلى عبد الرحمن في 17 رجب من نفس السنة، أي بعد وصول يحيى بسبعة عشر يومًا. انظر: التعريف بابن خلدون.، ص 102؛ بغية الرواد، ج 2، ص 140.

(107) ولذا، فلسنا نأخذ بما ورد في " التعريف بابن خلدون "، حول دور يحيى كنائب لأخيه في خدمة أبي حمو الثاني. بل نرى أن هذا الأخير استدعى يحيى قبل أن يقرِّرَ استدعاء عبد الرحمن.

(108) والجدير بالملاحظة أن أبا حمو الثاني نفسه كان أديبًا وشاعرًا. عن إنتاج أبي حمو الأدبي، انظر: أبو حمو العبد الوادي، واسطة السلوك، تونس، 1279 هـ؛ مؤلف مجهول، زهر البستان، ورقة 7ب، 10 أ - 12ب، 18ب، 58 أ - 60 ب، 84 أ - 85 أ؛ بغية الرواد، ج 2، ص 22 - 27، 31 - 32، 47 - 49، 61 - 63، 66 - 69، 70 - 72، 75 - 77، 89 - 90، 97 - 98، 106 - 108، 109 - 112، 113 - 116، 130 - 131، 144 - 145، 155 - 156، 178 - 181؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 164 - 168؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، ص 185 - 389.

(109) عن أبي علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، المتوفى بعد سنة 770 هـ. انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 190 - 191؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 345 - 347؛ ابن مريم، م. س.، ص 294 - 295.

(110) ذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن أبا حمو الثاني تلقى أبا عبد الله الشريف " براحتيه، وأصهر له في ابنته فزوجها إياه، وبنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه، وأقام الشريف يُدَرِّسُ العلم إلى أن هلك سنة إحدى وسبعين " (التعريف بابن خلدون، ص 64).

Scanned by CamScanner

راجع أيضًا: بغية الرواد، ج 2، ص 75، 96؛ التنسي، م. س.، ص 179.

(111) نذكر، مثلاً، حركة أبي حَمُّو وأنصاره الدواودة إلى ناحية تيطرّي، لِمُناهضة أبي زيان وحلفائه من سُوَيْد. وفي هذه الحركة انهزم أبو حَمُّو وأنصاره شرَّ هزيمة. وقد حضر يَحْيَى ابن خلدون هذه المَعْركة، ومكث بِجانب أبي حَمُّو بعد الهَزيمة، عندما فُلَّتْ جُموعه وتفرقت في مُخْتَلف الأنحاء. راجع: بغية الرواد، ج 2، ص 141 - 143؛ العبر، ج 7، ص 273.

(112) انظر: العبر، ج 7، ص 275؛ بغية الرواد، ج 2، ص 162.

(113) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 132؛ يحيى ابن خلدون، م. س.، ج 2، ص 162.

(114) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 133 - 134.

(115) عن هذه الحوادث، راجع: بغية الرواد، ج 2، ص 163 - 164؛ العبر، ج 7، ص 274 - 277؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 122 - 128.

(116) بغية الرواد، ج 2، ص 164.

(117) ذكر يحيى ابن خلدون أن ثلاثة من المُقرَّبين، هم محمد بن عمر البريطل، وسعيد بن تصاليت، ووادفل بن عَبُّو، عاملوا أبا حمو هذه المعاملة الدنيئة. وفي ذلك يقول: " ثم لم يكفهم أن كفروا نعمه.. حتى ارتكبوا الضلال المُبين بسعيهم في فساده قولاً وعملاً، ومَشْيهم بينه وبين عَربه بالنميمة والزور، فباؤوا بالإثم الأكبر، واستوجبوا القتل ". انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 184.

(118) ذكر عبد الرحمن بن خلدون أنه قام بالمهمة التي كلفه بها عبد العزيز المريني أحسن قيام، وأن مساعيه مكنت الوزير المريني أبا بكر بن غازي، الذي كان يطارد أبا حمو بجيش قوي، من مفاجأته قرب الدوسن، والاستيلاء على معسكره وذخائره. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 135 - 137؛ كتاب العبر، ج 7، ص 277.

(119) وكان الغني بالله ابن الأحمر قد طلب من عبد العزيز المريني، بتحريض من ابن زمرك وغيره، أن يرسل إليه لسان الدين ابن الخطيب، فلم يسعفه السلطان المريني في الطلب، ورفض تسليم ضيفه. انظر: العبر، ج 7، ص 696 - 697، 701.

(120) وكان أبو بكر بن غازي بن الكاس قد وضع على العرش المريني طفلاً يبلغ عمره خمسة أعوام، هو أبو زيان السعيد بن عبد العزيز، ليستحوذ على الحكم. راجع: العبر، ج 7، ص 697 - 698.

(121) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 285 - 286.

(122) وذلك في جمادى الثانية سنة 774 هـ، انظر: التعريف بابن خلدون، ص 217 - 218.

(123) راجع: العبر، ج 7، ص 702 - 704.

Scanned by CamScanner

(124) وذلك في أوائل شوال سنة 775 هـ انظر: التعريف بابن خلدون، ص 312 – 322؛ كتاب العبر، ج 7، ص 704 – 706.

(125) في آخر سنة 775 هـ، غادر أبو حمو الثاني تلمسان، متوجهًا إلى ناحية شلف، لإخضاع قبيلة مغراوة. وهناك بلغته رسالة من ابن الخطيب، يستغيث به، مرفوقة بقصيدة من نظم يحيى ابن خلدون، تتضمن شوقه وتقديره للسلطان الزياني. انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 192 – 200.

(126) انظر: التعريف بابن خلدون، ص 227.

(127) ويضاف إلى ذلك مساعي عبد الرحمن بن خلدون، الذي يذكر أنه طلب من شيخ قبيلة سُوَيْد في المغرب الأقصى، ونزمار بن عريف، والقائد ابن ماساي، أن يتدخَّلا في الأمر، ولكن بدون جدوى. انظر: التعريف بابن خلدون، ص 227.

(128) انظر: العبر:ج 7، ص 707 – 709؛ بغية الرواد، ج 2، ص 201 – 206.

(129) راجع: التعريف بابن خلدون، ص 224 – 227.

(130) ولد أبو تاشفين سنة 752 هـ وعيّن وليًا للعهد إثر رجوع أبي حمّو الثاني إلى عاصمته، بعد وفاة عبد العزيز المريني. وكان مشهورًا بالشجاعة، بينما كان أبوه أميل إلى النشاط الثقافي والدعة؛ انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 14، 164، 174، 187 – 192، 210.

(131) ومما سَاعد على ذلك ما حققه الأمير وقبيلة سُوَيْد من انتصارات في المنطقة الشرقية، خلال السنوات الثلاث بعد عودة أبي حمو إلى تلمسان، إثر وفاة عبد العزيز المريني، وأهمّها تخضّ ثورة مغراوة في ناحية شلف بمساعدة بني عامر. وقد باءت بالفشل أمام هجمات أبي تاشفين وسويد على المنطقة. راجع: بغية الرواد، ج 2، ص 185 – 192، 206؛ كتاب العبر، ج 7، ص 282.

(132) انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 210.

(133) وذلك أن أبا حمُّو الثاني عيّن ابنيه المنتصر وأبا زيَّان، آنذاك، والييْن على مليانة والمدية، الأمر الذي أثار غضب الأمير أبي تاشفين، وقد يكون لذلك علاقة بالحادث المذكور أعلاه.

(134) وربما كان يحيى بن خلدون قد شرع في تأليف كتاب " بغية الرواد " أثناء إقامته بفاس. غير أنه كان عليه أن يضيف إلى ذلك كثيرًا من التفاصيل، وأحداث ما بعد وفاة عبد العزيز المريني.

(135) لقد اشتد الصراع، خلال سنتي 777 – 778 هـ بين قبيلة سُوَيْد، الموالية منذ زمان قليل، لأبي حمو الثاني، وبين بني عامر، الذين أصبحوا يناهضونه مع بعض قبائل المناطق

Scanned by CamScanner

الشرقية، ويؤيدون منافسه أبا زيان ابن السلطان أبي سعيد الثاني. وانتهت المعارك التي نشبت آنذاك بين الفريقين بهزيمة كبرى على بني عامر، الذين لم يبق لهم نفوذ في الدولة الزيانية، وذلك في رمضان سنة 778 هـ انظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 284 – 286.

(136) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 291 – 292.

(137) راجع: العبر، ج 7، ص 291.

(138) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 292.

(139) نفسه، ص 292.

(140) انظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 210 – 211.

(141) انظر: العبر، ج 7، ص 292 – 293؛ E. I. 2, III, A. Bel, art. Ibn Khaldoun (Yahya), pp. 855 - 56.

(142) عن يحيى ابن خلدون الشاعر، انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 88، 149 – 153، 258 – 261، 199 – 200، 214 – 217؛ زهر البستان، ورقة 86 ب – 87 أ؛ المقري، نفح الطيب، ج 9، ص 212 – 215، 218 – 219، 340 – 341؛ نفس المؤلف، أزهار الرياض، ج 1، ص 239 – 242، 246 – 247. Bargès, Complément..., pp. 150 - 152 et 207.

(143) عن مهام الكاتب في البلاط، راجع: أبو حمو العبد الوادي، واسطة السلوك، ص 81 – 82.

(144) عن الفنون الأدبية التي كان يمارسها الكتّاب في ذلك العصر، بالإضافة إلى التاريخ، راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 110 – 365.

(145) ينتهي الجزء الثاني من " بغية الرواد " إلى آخر سنة 776 هـ؛ غير أن بعض المخطوطات تشتمل على ملحق يتضمن ذكر حوادث أوائل سنة 777 هـ، في بعض الصفحات. وقد يكون هذا الملحق من وضع كاتب غير يحيى ابن خلدون. راجع: بغية الرواد، ج 2، ص 328 – 332.

(146) انظر: مقدمة كتاب "بغية الرواد"، فيما يلي، ص 116 – 117.

(147) من البديهي أن القسم الأخير من الكتاب، الذي يتناول عهد السلطان أبي حمو الثاني، وبالأخص حوادث سنة 776 هـ قد ألف، بدون شك، أثناء الإقامة الثانية والأخيرة في بلاط أبي حَمُو الثاني، أي بعد فاتح ربيع الأول سنة 776 هـ.

(148) من هذه القرائن أن يحيى ابن خلدون يذكر تاريخ وفاة أبي عبد الله الشريف (4 ذي الحجة 771 هـ)، كما أنه يشير إلى أن أبا عبد الله ابن مرزوق الخطيب، المتوفى سنة 781 هـ، كان يوجد بمصر في عهد تأليفه للكتاب، ومن المعلوم أن ابن مرزوق الخطيب رحل إلى مصر

Scanned by CamScanner

في ربيع الأول 773 هـ. راجع: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 161، 167؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 309 - 338؛ التعريف بابن خلدون، ص 50 - 56؛ ابن مريم، م. س.، ص 184 - 190.

(149) راجع نص الرسالة التي بعثها ابن الخطيب إلى يحيى بن خلدون بمناسبة تعيينه في منصب كاتب لأبي حمو الثاني، في كتاب " نفح الطيب " للمقري، ج 9، ص 99 - 103. عن الرسائل التي بعثها ابن الخطيب لعبد الرحمن ابن خلدون، انظر: التعريف بابن خلدون، ص 112 - 130، 137 - 139، 224 - 231؛ المقري، نفح الطيب، ج 9، ص 93 - 99.

(150) انظر، فيما قبل، ص 48.

(151) عن تأثير لسان الدين ابن الخطيب في تكوين يحيى بن خلدون الأدبي والتاريخي، انظر، فيما قبل، ص 48 - 51.

(152) راجع، فيما قبل، ص 52 - 53، والهامش 1.

(153) راجع، فيما قبل، ص 40 - 42.

(154) ورد في وسط الجزء الثاني من " بغية الرواد " ذكر رسالة لابن الخطيب، مما يرجح جعل تاريخ كتابة ذلك القسم من الكتاب بعد وفاة ابن الخطيب حيث وردت عبارة "رحمه الله" بعد ذكر اسمه. انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 120.

(155) ورد ذكر العنوان ثلاث مرات في كتاب " بغية الرواد "، الأولى في المقدمة، والثانية في آخر الجزء الأول، والثالثة في آخر الجزء الثاني. عن الرموز التي استعملناها للدلالة على النسخ المخطوطة التي رجعنا إليها، انظر، فيما يلي، ص 71 - 72.

(156) من المحتمل جدا أن يكون يحيى ابن خلدون قد تأثر، في وضع هذا العنوان الأول، بعنوان أحد تآليف لسان الدين، وهو "ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب ".

(157) يوجد تكرار في المعنى في كلمتي " النجعة " و" الرواد ". فكلاهما يدلان على البحث عن المرعى، بينما لا يوجد هذا التكرار في عنوان: بغية الرواد ". ومن بين مشاهير المؤلفين المغاربة، الذين غيروا عناوين كتبهم، يُمكن ذكر أبي العباس المقري، الذي عوّض عنوان " عرف الطيب "، الذي اختاره أولا لكتابه، بعنوان " نفح الطيب ". راجع: المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 117.

(158) حول هذه الأحاديث، واختلاف المحدثين في نصّها، انظر: فيما يلي، ص 53 - 54.

(159) هؤلاء الشعراء هم: أبو عبد الله ابن خميس، المتوفى سنة 708 هـ، وأبو عبد الله الثغري، وأبو عبد الله التلالسي، وهاذان الأخيران كانا معاصرين للمؤلف، وكانا من مشاهير شعراء بلاط السلطان أبي حمو الثاني. انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 126 - 130،

Scanned by CamScanner

المقري، نفح الطيب، ج 9، ص 327 - 335، 336 - 340؛ نفس المؤلف، أزهار الرياض، ج 2، ص 322 - 340؛ ابن مريم، م. س.، ص 222 - 223؛ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 124 - 142، 177 - 191؛

Abbé Bargès, Complément.., pp. 22, 24, 218 - 20.

(160) ويخص المؤلف من بين بني عبد الواد فصيلة بني القاسم، التي ينتمي إليها أمراء بني عبد الواد. أما باقي القبيلة، فقد اجتمع رأي النساية على أنهم من زناتة. ويرى يحيى ابن خلدون أن زناتة من أصل عربي نزاري. وقد أخذ التنسي بالآراء التي ذهب إليها يحيى بن خلدون، وخصَّص فصولا عديدة للحديث عن إدريس الأكبر وأجداده. انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي ص 192 - 196؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 109 - 110.

(161) لم يختص بنو عبد الواد وعلماء بلاطهم بهذه الرغبة في إلحاق نسب قبيلة بربرية، أو فصيلة منها، بالنسب العلوي الشريف أو العربي. فقد سبقهم، في ذلك، الموحدون، حيث إن المهدي ابن تومرت ادّعى أنه من نسل علي بن أبي طالب. وكذلك الأسرة المومنية التي زعم البعض أنها تنتمي إلى قيس عيلان. ولا شك أن هذه المزاعم تَمُتُّ أساسًا إلى اعتبارات سياسية. فالانتماء إلى الأسرة الشريفة يُضفي على الأسرة أو القبيلة مسحة من النبل والحرمة، تؤهلها للسموّ إلى الإمارة أو السلطنة، أو الخلافة، كما كان الأمر بالنسبة إلى الخلفاء الموحدين. عن الأدلة التي أوردها يحيى ابن خلدون لتأييد صحة انتماء الزيانيين إلى النسب العلوي الشريف، راجع: بغية الرواد، فيما يلي، ص 207 - 215.

(162) وهم أبو زيان وأبو حمو الأول وأبو تاشفين الأول.

(163) ويختتم هذا الباب بقصيدة أبي حمو الشهيرة في وصف حركته إلى تلمسان. ويلاحظ أن يحيى ابن خلدون لا يورد في هذا الباب أخبارًا كثيرة عن حياة أبي حمو الثاني وأبيه، قبل سنة 760 هـ، بل يكتفي بذكر الأخبار التي وردت في كتاب أبي حمو: واسطة السلوك في سياسة الملوك، ص 12 - 19.

(164) عن ابن ظفر الصقلي، انظر مثلا، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 1، رقم 48، ص 141 - 142.

(165) وكذلك الأمر بالنسبة لعدد كبير من تراجم العلماء والأولياء المعاصرين للمؤلف، في الفصل الثاني من الباب الأول من القسم الأول. راجع: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 134 - 189.

(166) راجع: ابن الزيات، ا لتشوف إلى معرفة رجال التصوف، ص 1 - 2. عن هذا الحديث وما وقع من اختلاف في روايته وأهم المصادر التي روته، انظر، فيما يلي، ص 119، 120.

(167) يلاحظ، في هذا الصدد، أن يحيى ابن خلدون لم يعتمد على الإدريسي. وعلى كل، فإن

Scanned by CamScanner

وصف تلمسان، عند الإدريسي، لا يفيد كثيرًا حول موقع المدينة وحياتها الاقتصادية، ولا يقول شيئًا عن مساجدها وآثارها. راجع: الإدريسي، وصف إفريقية والصحراء الشمالية، ص 54 – 55.

(168) نذكر، مثلاً، التراجم رقم 29، 95 (عن التكملة)، 8، 28 (عن الذيل والتكملة)، 1، 22، 24، 99 (عن التشوف).

(169) يلاحظ أن المؤلف لا يشير إلى رأي ابن حزم في الموضوع، بينما يعتمد عليه أخوه عبد الرحمن، كما أنه لا يولي أيّ اهتمام لأقوال النسابة البربر، مثل ابن حمادو البرنسي، وصاحب كتاب " مفاخر البربر ".

(170) ويبدو أن صاحب كتاب " مفاخر البربر " قد مال إلى هذا الرأي الأخير. انظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 1، 49، 65. راجع أيضًا: الإدريسي، م. س.، ص 35؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، تحقيق الحاج صادق، ص 39 والهامشين 64 – 65.

(171) ينفي ابن حزم النسب العربي للبربر، ويعتقد أن ما قيل حول بر بن قيس عيلان ليس إلا أسطورة. ولعل هذا الموقف ذاته يفسر إهمال يحيى ابن خلدون لذكر ابن حزم، والتعرض لرأيه، وذلك أن غرضه إثبات النسب العربي للأمراء العبد الواديين. راجع أيضا: مفاخر البربر، ص 76.

(172) حول تراجم العلماء المذكورين في موضوع أصل البربر، انظر، فيما بعد، ص 201 – 203. أما مالك بن المرحل فهو مشهور كشاعر. راجع عنه، فيما يلي، ص 203.

(173) ومن المؤسف أن هاذين الكتابين مفقودان. وهما، من دون شك، أقدم من " بغية الرواد "، إذ أن ابن الأصفر أبا عثمان سعيد بن عيسى توفي سنة 460 هـ، بينما كانت وفاة ابن هدية أيام السلطان أبي تاشفين الأول. وقد ورد ذكر الكتابين في الإحاطة لابن الخطيب، ج 1، ص 64. انظر أيضا: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 289.

(174) ولم يصلنا، من هذا الكتاب إلا الجزء الثاني منه حول تاريخ الدولة الزيانية خلال السنوات الخمس الأولى من عهد أبي حمو الثاني، وهو من تأليف كاتب مجهول، يبدو أنه كان معاصرًا لهذه الفترة. وقد ورد ذكره في كتاب " نظم الدر والعقيان " لأبي عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 47 – 48.

(175) لم يرد، مثلاً، في بغية الرواد، ذكر بعض آثار تلمسان المشهورة، الراجعة إلى عهد أبي تاشفين الأول، كالمدرسة التاشفينية، والصهريج الكبير الواقع إزاء باب كشّوطة، وشجرة الفضة، وقد ذكرها أبو عبد الله التنسي في " نظم الدر والعقيان ". راجع: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 140 – 141.

Scanned by CamScanner

(176) عن نظرية العلماء المسلمين في التاريخ، راجع:
H. A. R. Gibb, art. Tarikh, dans E. I. Suppl., p. 250.

(177) بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 115 – 116.

(178) بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 116 – 117.

(179) لقد انتشر تأليف التواريخ المحلية والسلطانية في الإسلام انتشارًا كبيرًا، وخصوصًا في القرنين السابع والثامن للهجرة. ويفسر المستشرق جيب هذه الظاهرة بانقسام العالم الإسلامي في المشرق والمغرب وقيام كثير من الدول التي تسعى قبل كل شيء إلى الحفاظ عن كيانِها، وتحذر من محاولات التوسع التي تأتي من الدول المجاورة لَها. عن التواريخ السلطانية المحلية عند العرب، انظر: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 256.

(180) يرى عبد الرحمن بن خلدون، فيما يتعلق بالغرض من التاريخ، أنه " خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عُمْران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العُمْران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلب للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة من الأحوال " (المقدمة، ج 1، ص 409). راجع في هذا الموضوع:
M. Talbi, Ibn Haldun et le sens de l'histoire, dans Studia Islamica, XXVI, 1967, pp. 74 - 75 ; B. Tlili, La notion de Umran dans la pensée tunisienne précoloniale, dans Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 12, 2° sem. 1972, pp. 134 - 41.

(181) انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 89 – 90.

(182) ذكر عبد الواحد المراكشي أن سبب نكبة ابن رشد عدم امتثاله للتقاليد، وتقصيره في مدح يعقوب المنصور المُوَحِّدِيّ، حيث إنه عندما ذكر الزرافة في شرحه لكتاب الحيوان لأرسططاليس، قال:

" وقد رأيتها عند ملك البربر، يريد الخليفة الموحدي " (المعجب، ص 305 – 307).

(183) انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 103 – 104، 127 – 128، 164 – 165، 173 – 174.

(184) من بين الهزائم التي مني بها يغمراسن في حربه ضد بني مرين، معركة إيسلي (سنة 647 هـ)، وأبي سليط (سنة 655 هـ)، وكلدامان (سنة 657 هـ)، وتلاغ (سنة 666 هـ)، ووادي إيسلي (سنة 670 هـ). انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 182 – 183؛ العبر، ج 7، ص 171، 174، 176 – 178، 365 – 381.

(185) حول التواريخ السلطانية. راجع: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 256.

(186) وفي هذا المجال، يبدو أن كتاب " بغية الرواد " يختلف شيئًا ما عن " المغرب في حلى

Scanned by CamScanner

المغرب " لابن سعيد، و" الإحاطة " لابن الخطيب، لِما فيهما من مزيد من التعَمُّق في معالجة الموضوع الْمطروق، ويقترب كثيرًا من كتاب " اللمحة البدرية " لابن الخطيب، في تاريخ دولة بني الأحمر.

(187) انظر، مثلاً: عبد الواحد المراكشي، م. س.، ص 5 – 16، 346 – 376؛ لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 12 – 30.

(188) يعني قبيلة بني عبد الواد.

(189) يعني المكان (تلمسان) والزمان (الظروف التاريخية التي أدت إلى تأسيس دولة بني عبد الواد).

(190) بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 120.

(191) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 410.

(192) وقد يكون هذا راجعًا إلى تأثير تكوين يحيى ابن خلدون الفقهي، الذي لا يقبل الحكم الفردي ونقد النصوص الداخلي، ولا يرتضي إلَّا النقد الخارجي، أي النظر في صحة الإسناد.

(193) انظر: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 258.

(194) انظر: H. A. R. Gibb, op. cit., p. 258.

(195) انظر: F. Krenkow, art. Sadj', dans E. I., IV, p. 45 b.

(196) لا شك أن يحيى بن خلدون تأثر بمعظم إنتاج الأدباء السابقين والمعاصرين له، مثل أدب المقامات، وأدب سياسة الملوك، وخصوصًا كتاب " سلوان المطاع " لابن ظفر الصقلي، والمراسلات الدبلوماسية. راجع نماذج من ذلك في: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص 79 – 115.

(197) يمكن اعتبار أن كتاب " ريحانة الكتَّاب " لابن الخطيب، قد أفاد كثيرًا يحيى ابن خلدون في انتهاج طريق الكتَّاب المعاصرين له، وكذلك كتاب " الإحاطة " لابن الخطيب أيضًا. وقد أشاد هذا الأخير بمواهب يحيى ابن خلدون الأدبية في الرسالة التي بعثها إليه، بمناسبة تعيينه كاتبًا لأبي حمو الثاني. راجع: المقري، نفح الطيب، ج 9، ص 99 – 103.

(198) عن أسلوب يحيى بن خلدون، انظر: Bargès, Complément..., pp. 150 - 52 ; A. Bel, art. Ibn Khaldoun (Yahya), dans E. I. 2, III, p. 856.

(199) يمكن المقارنة بين كتاب " بغية الرواد " والإنتاج الْمُعاصر له، مثل " واسطة السلوك في سياسة الملوك " للسلطان أبي حَمُّو موسى الثاني، وكتاب " زهر البستان " لمؤلف مجهول. وفي هاذين الكتابين، يعمّ السجع الكتاب من أوله إلى آخره.

(200) عن شعر يحيى ابن خلدون، انظر، فيما قبل، ص 58 وهامش 1.

Scanned by CamScanner

(201) نشر الجزء الأول من الترجمة الفرنسية بالعنوان الفرنسي التالي: Histoire des Béni Abdel - Wâd, rois de Tlemcen, jusqu'au règne d'Abou Hammoû II, par Abou Zakariya Yah'ia Ibn Khaldoûn, éditée d'après cinq manuscrits arabes, traduite en français et annotée par Alfred Bel, Alger, Fontana, 1903.

(202) للمزيد من التفصيل حول هذا المخطوط، انظر: Fagnan, Catalogue des manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Alger, p. 450 ; Bargès, Complément…,p. 510 ; A. Bel, op. cit., Introduction, pp. XIII - XIV.

(203) عن وصف هذه النسخة، انظر: A. Bel, op. cit., Introd., pp. XIV - XV.

(204) انظر: نفس المرجع، ص XVI.

(205) انظر: بغية الرواد، ج 1، فيما يلي، ص 122.

(206) انظر: Blochet, Catalogue des Manuscrits arabes des Nouvelles acquisitions, Paris, Leroux, 1925, p. 50.

(207) رغم الجهود التي بذلناها للاتصال بورثة أصحاب المخطوطات الخاصة المذكورة، لم نتمكن من الاطلاع عليها. وبما أن مخطوط الجزائر السابق الذكر قد ضاع، فلم يتسنّ إلا استعمال مخطوط باريس المذكور، من بين المخطوطات التي استعملها ألفرد بيل. وفيما يخصُّ النسخ الأربع الأخرى، فقد اعتمدنا على ما أثبته ألفرد بيل في تحقيقه لهذا الكتاب.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

قال الشيخ الفقيه الرئيس الكاتب أبو زكريا
يحيى بن محمد بن محمد بن خلدون رضي الله
تعالى عنه ورحمه وغفر له بمنه وكرمه

الحمد لله الذي خلق الدول الحسية في بطون الأعصار، وأمدها على استمرارها
في معمور الأمصار، ثم كفلها من السياسات بالاختيار، والسياسة
الشرائع رائقة الظهار واكتنفها آيات الليل والنهار ومنحها الرضيع
والبليغة والطفل والشاب والكهل والهرم الصار ثم نصر خبرا تتلوه
السنة بالأسطار، إن في هذا لعبرة وذكرى لأولي الأبصار، والحمد لله الذي
مهد المسالك الأفلاك مستقيمة الأدوار وخالية من أربابها بالشموس
والأقمار، ثم زينها بمصابيح الكواكب من الأنوار، ورجم بشهب رماحها
شياطين الكفار، وأذهب بها الغيث في مغارها بين الأشجار، ذلك هو
تقدير العزيز الجبار، والحمد لله الذي صرف الأيام دولا بين الناس مع تيسات الأقدار
وانطق لسان البراعة بما يبهر من عواذل الأخبار وأبقى بها مثلات السالفين من
مقاصل الأذكار، وأودع ركبان قصصها بطون الأسطار، ليكون آثارها
للخالفين موضع اعتبار، ثم خص المصطفى من عباده بالنبي وحفظ الدار لآله
الأطهار وأصحابه الأنصار، نحمده على فضله اللائم وسوابغ الاستتار
ونشكره شكر معترف بالابتداء الغر حمدا وشكرا

زيرا امير ابو زكريا بن السلطان ابي يحيى الحفصي من الغرب راجيا منه ابو ... اعانته على التقويض
السلطان ابي عبد الله مدعي الخليفة واستنفاذ بجاية من يد مغتصبها فانزل الحية المرتب
وملتا البه في دار ابو سا راغب مطاعه فاجاب نصره الله داعيه ووسعه زكي ... ولمائة
عليه لبوس الملا واباح اليه الى الفلح بما شئت من مراكب فارهة وعود حالية
وفضة مغرفة وبين موزونة ومعدودة وسوغه الطبل والبنود ومجبى مدينة تونس
لنفسه حتى يفتح الله عليه بجاية وامر جيوشه المظفرة بنصرها ان ينهضوا
من غير احرم لمضاهرته وكان انصرافه عن الباب العالي يوم الاحد الموفي عشرين
لربيع الفصل الخ السبب الذي مساعيه وارجى في الكمال موازنه وفي يوم الجمعة سادس
عشر ذي الحجة المبارك عسكر نصره الله تعالى باعالي المنية من ظاهر الحضرة وانهض
حلة المولى ولي على اباتا شعير اعزه الله مبشرا بالنصر العساكر الشرقية والنصا
ويتصل بهما للقاء ركاب الخلافة العلية عقب نهوضه لتمهيد ارجاء قطره
والوقوف على حدوده ومصارخة الامير ابراهيم المذكور وانقضت السنة
والبقاء لله وحده وهو نعم المولى ونعم النصير والافوه الاه تم السفر
الاول من كتاب بغية الرواد في اخبار الملوك من بني عبد الواد
بحمد الله وحسن عونه صباح يوم الاربعاء المبارك الخامس عشر من شهر جمادى
الاولى سنة سبع وخمسين والف على يد العبد الفقير الراجي عفو ربه القدير
وصفه عمار تكب من التعصب وان يختم له بالحسنات على كلمة التوحيد
بجاه المشفع في القريب والبعيد وان يغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم

نقرا كل يوم مما عسى وقع عشرة احزاب اجعل كل حزب في ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد
وسلم تسليما وعلى آله وصحبه

الحمد لله الذي جعل الدول أجنة وحظوظ الأعصار، ووزع أفضل أعراض مصالحه في [illegible]
محوت في الأمصار ونشر [illegible] السابقة في الأقطار والسعيد [illegible] الشرائع [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] في الأمصار [illegible] [illegible] [illegible] وذلك الحكم [illegible] في الأمصار وقد
كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ولما كان من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] أمير المؤمنين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مولانا [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] مولانا أمير المؤمنين [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ثم بويع [illegible] ثم بويع ابن محمد [illegible] ثم بعده [illegible]

[illegible]

انتهى ما وجد مقيدا بخط ابن الكتاب والحمد لله رب العالمين

[illegible] والحمد لله [illegible]

[illegible]

انتهى والحمد لله [illegible]

[illegible]

[illegible] رحمه الله عليه [illegible]

انتهى والحمد لله وحده [illegible]

[illegible]

[illegible] عبد العزيز [illegible]

[illegible]

انتهى وتم والحمد لله على التمام وشرفه

والحمد لله رب العالمين [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما [illegible]

قال الشيخ الفقيه الرئيس الفاضل ابو زكريا يحيى
ابن محمد بن محمد بن خلدون رضي الله عنه

الحمد لله [illegible]

[illegible]

... القسم الثالث ...

... الباب الاول ... الباب الثاني ... الباب الثالث ...

... القسم الاول ...

[illegible]

والجيش تخلو من حلق باعتزت ، والقرب منها فاحم الاذناب
فقت الانام وحاجبات بكم ، امرا تهامر للرويحر اب
لا زلت صدر البرية كلها ، حتى القيامة يا منار العاب

واستهلت هذه السنة اجمل الله خيرها على كافة تسروة الكابيها بعض الناس بعضا الى ذات اعصار اهلت زرع ما بيتها وحرا نها والله لحكم لا معقب لحكمه فانتدب امير المسلمين ابو حمو الخليفة اعلى الله مقامه فقصر نصره الله يصحب جماعة حضرته الكريمة كل يوم على ضعفائها ... حتى سبع ثم عشرين بحضور الرسول الجيش وعين من رجال الصيحة الحجاب يتقسم ذلك حيطة عن اليسير وانما شرهم ابو الله مستجيل خاشعا لخالق الخلق ومعلى الخير زاده وموبل العصر باليسر الله الا هو ثم انتقض نظر الامام ان سهم اجمع بمارسا انات يالبهم فيها وزنهم نظر وعشا نشأه السنة وربيعها الى ان عاهم خصب البادية وذا ... ما شبهها الى لا محال البتة فكان لا تحصى البرايا حالا واثرا من الصالحات خالدا لم يتصر مثله لملك سواه والله تعالى على صدر الكمال والامداد الى سبيل الحج حلو الله سلكه وضاعف اجره وزرعه في عليين رحمه فبها مع امير ابن الله بعض اهل الزرع والباحة بيعه للناس وعرا لحظ وصرف اثرا حقه الجماعة رفقا بالناس وحفظا للنظام حياتهم ... كلمة واجل اسرته منه وكرمه وشا ... على بابه العلي الامير ابراهيم ابن الامير ابي زكرياء ابن السلطان ... من المغرب راجيا منه ايده الله اعانته على الثورة باخيه السلطان ابي عبد الله محمد الخليفة اعلى الله امره واستفاد عنايته من مقتضيا فاتل اخيه المذكور وماتا المه في ذلك بوسا بل في مضاعفة فاجاب نصره الله داعيه ورشحه رتب الامارة واضفى عليه لبوس الملك وابان لديه النعم فانشت من مراكب فارهة وعده حالية وقمص معرضه وبرود مزرونه ومعروده وصرعه القبلوا البسر ومجلس مزينة ثم اسس لنفقته حتى يفتح الله عليه بلوى وامر جيوشه المظفرة بقطرها الى ينصا وعن اخرهم لمظاهرته وكان انصرافه عن الباب العلي يوم الاحد المرجى عشر يرليوا الفعدة احم الله جرالخرسا عيه وارج من الكمال مواربه وحريرم الجمعة سادس عشر ذي الحجة المبارك عسكر نصره الله تعالى باجال المبسر رفاه حضرته العلية والمصول المولى الامير الاعلى ابو تاشفين اعزه الله مشرقا لسهم العساكر الشريفة بالبطحاء وتصدر بها للفداء وكان الخلافة العلية عنوهم لتمهير ارجاء نظري والوقوف على حروده ومصارحة الامير ابراهيم المذكور وانقضت السنة والبقاء لله

تم السفر الاول من كتاب بغية الرواد في اخبار الملوك من بني عبد الواد وما حاز مولانا
الخليفة ابو حمو من الشرف الرابي الاطواد يوم السبت سابع صفر المبارك
عام الف ومائة وثمانية وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها
الف الف صلاة والف الف تحيه على يد احقر العباد
الى رحمة الكريم الجواد محمد بن محمد بن عبد الله محمد
المهري لطف الله به وقد نسخته من
نسخة عتيقة من وقعة لخزانة
السلطان ابي حمو.
والغالب انها
بخط المؤلف
والله اعلم

[illegible]

ونصـ [illegible]

[illegible]

ولمـا [illegible]

[illegible]

[illegible] ركبها [illegible]

[illegible]

[illegible] Rerum Africae in tres partes divisa [illegible] [illegible] Carmina [illegible] [illegible] in principio [illegible]

فمن تقف أنا [illegible] [illegible]

ثم نطلع الله [illegible] [illegible] ملك [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] باعـ[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ذكر [illegible] المحو

ثم [illegible] الله [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

وقف [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

عمل المحقق في الكتاب

1. المخطوط المحفوظ الآن في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2117 (الرقم القديم: 207). ويبدو أن هذه النسخة هي التي استعملها ألفرد بيل في تحقيقه للجزء الثاني، ولم يتمكن من استخدامها في تحقيق الجزء الأول. وكان قد عثر عليها محمد بن أبي شنب بالجزائر، وأطلع ألفرد بيل عليها دون شك، إذ يوجد تطابق تامّ بين هذه النسخة والمخطوط المحفوظ في المكتبة الوطنية بالجزائر، في كل ما ورد من وصف في مقدمة ألفرد بيل لتحقيقه للجزء الثاني[1]. فعدد الورقات 86 ورقة، وتاريخ النسخ في 17 رمضان 1300/ 22 يولية 1883، وفي الآخر ملحق يتضمَّن عرضًا موجزًا لحوادث أوائل سنة 777 للهجرة[2]. وقد أشرنا إليها في تحقيقنا هذا برمز: ز.

2. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الذي يحمل رقم 5752 (القسم العربي)، ويشتمل على 86 ورقة، من فئة 330 × 225 مم. وقد كتبت هذه النسخة بخط مغربي أنيق، وهي قليلة الأخطاء، وتمَّ نسخها في 7 صفر 1128/ 7 فبراير 1715، على يد محمد بن محمد بن عبد الله (بن؟) محمد المهدي، الذي ذكر، في أسفل الورقة رقم 84 ب، أنه نقلها " عن نسخة عتيقة مرفوعة لخزانة السلطان أبي حمُّو، والغالب أنها بخط المؤلف ". وتنتهي بنفس العرض الموجز لحوادث أوائل سنة 777/ 1376، الذي سبقت الإشارة إليه في صدد ذكر المخطوطين المشار إليهما برمزَيْ: ط، ز. ثم أضاف الناسخ إلى ذلك ملحقًا موجزًا يتضمن ذكر الأحداث التي أدّت إلى مقتل أبي حمُّو الثاني، وبعض الأخبار الهامَّة من تاريخ تلمسان في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد[3]. والجدير بالملاحظة أن هذه النسخة تشبه مخطوط باريس المشار إليه برمز: ب، إلّا أنها ليست مبتورة الورقات الأولى. وقد ملكها الأب بارجيس، الذي رقم الورقات، وأضاف فهرسًا لمحتويات الكتاب في آخر النسخة،

Scanned by CamScanner

وكانت هذه تحمل رقم 723 في خزانته. وقد أشرنا إليها في تحقيقنا هذا برمز: ر.

3. مخطوط مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس، رقم 406. ويشتمل على 205 ورقة، عدد سطورها 19 سطرًا، ومقاسها 145 × 110 مم. وقد تمَّ نسخه يوم الأربعاء 15 جمادى الأولى سنة 1057/ 18 يونيو 1647، إلَّا أن اسم الناسخ لم يرد ذكره فيه. وقد كتبت هذه النسخة بِخَطٍّ مغربي واضح، ثم إنَّها قليلة النقص والأخطاء. وممَّا يزيد من قيمتها أنها تشكل، مع مخطوط ب، أقدم مخطوط مؤرَّخ لكتاب " بغية الرواد ". وهي تنتمي إلى مجموعة ق، ب، ح، ر، التي سبق ذكرها، وقد أشرنا إليها برمز: ل.

4. مخطوط مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس رقم 407، وكان يوجد ضمن مكتبة الأب بارجيس تحت رقم 713. وقد نَسَخه يوحنا وارسي للأب بارجيس سنة 1257 / 1841 – 1842، ونقله عن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 5752 (القسم العربي) المشار إليه في تحقيقنا برمز: ر. ولم نرَ ضرورة استعمال هذه النسخة، لرجوعنا إلى الأصل الذي نقِلت عنه.

5. مخطوط مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس، الذي يحمل رقم 408، وكان أيضًا يوجد ضمن مكتبة الأب بارجيس تحت رقم 722[4]. وهذه النسخة تشتمل على 41 ورقة، وعدد السطور في كل ورقة 30 سطرًا، ومقاسها 215 × 158 مم. وقد تمَّ نسخها في رجب 1269/ أبريل – مايو 1853، على يد أبي زيان بن جلول بن عبد القادر بن محمد بن أحمد. وقد نقل في ورقتي الوقاية الأولى والأخيرة من المخطوط أشعارًا وأخبارًا تاريخية ليست ذات أهمِّيَّة. وكتبت هذه النسخة بخط مغربي رديء. ثم إنَّها، زيادة على ما لوحظ من نقص في مخطوط الجزائر المشار إليه سابقًا برمز: ز، مخرومة، حيث سقط منها قسم كبير، من بداية عهد يغمراسن إلى آخر سنة 765/ 1364، أيام السلطان أبي حمُّو الثاني، ويبلغ هذا الخرم حوالي نصف الكتاب. وقد أشرنا إلى هذا المخطوط في تحقيقنا برمز: ش.

6. مخطوط الأسكريال، الذي يحمل رقم 1650 في الفهرس الذي نشره

Scanned by CamScanner

كسيري، ورقم 1655 في نشرة ديرنبور وليفي بروفنسال[5]. كُتِبَت هذه النسخة بخط مغربي جميل، وتشتمل على 186 ورقة، وعدد سطور كل ورقة 21 سطرًا، ومقاسها 290 × 210 مم. ومن المؤسف أنها مبتورة الأول والآخر، ويبلغ البتر ورقة أو ورقتيْن في كِلا الطرَفيْن. وتبتدئ بالعبارات التالية: " المفترض البدار، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد ... ". وقد كتِبَ في أعلى الورقة فوق السطر الأول، بيَدٍ غير يدِ الناسخ، السطر التالي: " شكرَ معترفٍ بآلائه الغزار، حمدًا وشكرًا يتصلان اتصالاً (يتأزر) بستار، وهما لنعمه (سمة) تمداح(ه) "[6].

والجدير بالملاحظة أن هذا السطر الأخير يكتسي أهمية كبرى بالنسبة لتحقيق "بغية الرواد"، لأنه يمكّننا من الوصول إلى نصٍّ كامل لمقدمة الكتاب. وذلك أن النصف الثاني من هذا السطر، والكلمتين الأوليَيْن من مستهلِّ الورقة الأولى من المخطوط، لا توجد في سائر النسَخ الأخرى.

وتنتهي نسخة الأسكريال هذه بالبيت السابع من آخر قصيدة شعرية في الكتاب، وهو:

رفعا سماء المُلك فوق بسيطةٍ   لِترى السياسة رَحْبَة الأكنافِ[7]

فمِقدار البتر في آخر الكتاب لا يتجاوز ثلاثَ أو أربعَ ورقات. وفيما يخص تسمِيَة الكتاب، فقد سبقت الإشارة إلى أن العنوان في آخر المقدمة من هذه النسخة هو " نجعة الروّاد "، بينما هو في آخر الجزء الأول " بغية الروّاد "[8].

هذا، ويُحْتمَلُ جدا أن هذه النسخة، التي نجهل اسم ناسخها وتاريخ نسْخِها، قد تكون أقدم نسَخ " بغية الرواد " التي بين أيدينا؛ وذلك لأنها أكملها نصًّا، ولأنها ليس فيها نقص، ما عدا بتر الورقات الأولى والأخيرة من الكتاب، وثلاث تراجم قصيرة لعلماء تلمسان[9].

غير أن هذه النسخة لا تخلو من حذفٍ لبعض المفردات أو العبارات، ممّا يدلُّ على أنها ليست النسخة الأصلية، التي كتبها المؤلف. وعلى كل، فيمكن القول بأنها قديمة جدًّا، وأنه من المُحْتمَل أن تكون قد نقِلت عن مخطوط ينتمي مباشرة إلى

النسخة الأصلية، إذ يبدو أنها لم ينلها ما نال غيرَها من تحريف راجع إلى جهل النسّاخ أو إهمالهم[10].

وإذا قارنّا بين نصّ نسخة الأسكريال هذه، وبين النسخ الأخرى لكتاب " بغية الروّاد "، ظهر لنا أن مخطوط الأسكريال لا ينتسب إلى أيّة مجموعة من المجموعتيْن اللتيْن سبق تمييزهما فيما قبل[11]. وقد أشرنا إليه في تحقيقنا برمز: س.

8. خطة تحقيق كتاب " بغية الرواد "

أ) نشرة ألفرد بيل

يرجع إلى المستشرق ألفرد بيل فضل تعريف كتاب " بغية الرواد " إلى المؤرخين وجمهور الْمُثقفين الذين وجدوا فيه فوائد عديدة من حيث مضمونه التاريخي، وكذلك من حيث الاطلاع على الحياة الفكرية بالمغرب في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وخصوصًا في المجال الأدبي.

غير أن النسَخ المخطوطة، التي اعتمدَ عليها في تحقيقه للكتاب، حديثة وكثيرة الأخطاء والبتر، ما عدا مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 5031، ولم يتمكن ألفرد بيل من استعمال مخطوطات مكتبة الأب بارجيس الثلاثة، التي سبق وصفها[12]. كما أنه لم يستعمل مخطوط الأسكريال، الذي هو، في رأينا، ضروري للقيام بتحقيق جِدِّيٍ وكامل لكتاب " بغية الرواد ".

ثم إن ألفرد بيل قام بتحقيقه هذا في بداية اهتمامه بالدراسات الإسلامية، أي في مرحلةٍ لم يبلغ تكوينه فيها مستوى كافِيًا للإحاطة بأسرار اللغة العربية وإجادتِها. ولا شك أن مثل هذا العمل يتطلب معرفة عميقة للغة ولبلاغة العرب، ولم تتوفر آنذاك عند ألفرد بيل. ورغم ما امتاز به من ذكاء وجدٍّ وسعة اطلاع، فإن نشرته جاءت سقيمة، لاتخلو كل صفحةٍ منها من أخطاء لغوية أو كتابية أو نحوية. وقد اتخذ مخطوط القاضي شعيب، الذي أشرنا إليه في تحقيقنا برمز:ق، أساسًا لتحقيقه مع أن هذه النسخة أكثر أغلاطًا من مخطوط باريس رقم 5031، ومن مَخطوط الباشعدل مُحمد بن أحْمَد الحصّار، المذكورَيْن سابقًا[13]. وكان في الإمكن تصحيح

Scanned by CamScanner

الكثير من الأخطاء بالاعتماد على هاتين النسختين الأخيرتين[14].

ب). اختيار النسخة الأساسية

يظهر ممّا ذكِر سابقًا في وصف مخطوطات كتاب "بغية الروّاد "، التي أمكن الاطلاع عليها[15]، أن نسخة الأسكريال هي الوحيدة التي ليست مصابة بنقص ملحوظ، ما عدا البتر القليل في أولها وآخرها، وأنها أكمل النسخ، وأقربها إلى نسخة المؤلف المفقودة. أمّا المخطوطات الأخرى، فيبدو أنها تشكل مجموعتيْن متميِّزتيْن:

1. فالمجموعة الأولى تضمُّ النسخ المُشار إليها برموز: ق، ب، ح، ر، ل. وهي قريبة من نسخة الأسكريال، إلَّا أنَّ فيها بعض الثغرات. وتتضمَّن هذه المجموعة سائر القصائد الشعرية، إلَّا مقطوعة واحدة[16]. ثم إن بعض الفقرات والجمل ناقصة في هذه النسَخ، الأمر الذي يرجِّح الاعتقاد بأنها تنتمي إلى أصل واحد، غير النسخة الأم.

2. أمَّا المجموعة الثانية فهي تضمُّ المخطوطات المشار إليها برموز: ج، ط، ز، ش، وكلها تنقصها قصائد شعرية عديدة. غير أنها تتضمَّن بعض الفقرات الساقطة في المجموعة الأولى. فهذه النسَخ تنتمي أيضًا إلى أصل واحد، وتمتاز بزيادة مفردات أو عبارات، أضِيفت إلى النص الأصلي؛ وقد يكون ذلك لقصْد المزيد من الوضوح. ويُسْتبْعَدُ نِسْبَة هذه الزيادات، التي لا توجد في المجموعة الأولى ولا في مخطوط الأسكريال، إلى المؤلف، لضعْفِها اللغوي، ولثقلها من ناحية الأسلوب[17].

وعليه، فيُستنتج مِمَّا سبق أنَّ كلاً من الْمَجْموعة الأولى والثانية ونسخة الأسكريال تنتمي إلى ثلاث أمَّهات أصليَّة متغايرة، وأنَّ أصحَّ هذه الأمَّهات وأوثقها هو الأصل الذي تنتمي إليه نسخة الأسكريال. ولذا اعتبرناها النسخة الأصلية لتحقيقنا هذا. أما بالنسبة للورقات المبتورة منها، في أول الكتاب وآخره، وبعض الفقرات من المقدمة التي لا توجد إلَّا في المخطوطيْن ر، ل، فإننا اتخذنا مخطوط ر نسخة أساسية (لورقات 1 أ، 83 أ - ب، 84 أ - ب)، وقد فضلناها على نسخة ل،

Scanned by CamScanner

رغم أن هذه الأخيرة أقدم بحوالي ثمانين سنة، لأنها أضبط منها وأقل أخطاء.

ج) تحقيق النص

وفيما يخص تحقيق النص، فلم نرَ ضرورة إضافة الزيادات التي وردت في النسخ الأخرى، ولاسيما زيادات المجموعة الثانية (ج، ط، ز، ش) إلى نص نسخة الأسكريال (النسخة الأساسية)، كلما كانت هذه الزيادات لا تأتي بأية فائدة لتفهم النص وإيضاح المعنى. غير أننا التزمنا إضافة الزيادات، التي يتطلبها السِّياق، إلى النسخة الأساسية، وجعلناها بين مَعْقوفتَيْن.

أما الهوامش، فإنها تتضمَّن ذكر الاختلافات بين النسخ، وما طرأ عليها من نقص أو زيادة؛ ونظرًا إلى تراكم الأغلاط في معظم النسَخ، فقد اضطررنا إلى الاقتصار على ذكر الاختلافات التي ليست من باب الأغلاط الكتابية أو النحوية أو اللغوية، كما أننا توخينا تخفيف هذه الهوامش باتخاذ الرموز الاصطلاحية التالية:

1. رمز+ للدلالة على زيادة في النسَخ غير النسخة الأساسية؛

2. رمز – للدلالة على نقص في النسخ المذكورة؛

3. المعقوفتان [...] للدلالة على النقص الواقع في النسخة الأساسية، والذي لا يستقيم المعنى في النص إلَّا بإثباته؛

4. النجمتان * ... * للدلالة على الجمل والفقرات الناقصة في نشرة ألفرد بيل، والتي لم ترد إلا في النسَخ س، ر، ل؛

5. القوسان (...) للدلالة على زيادة كلمة أو عبارة لم ترد في جميع النسَخ، واقتضى إدراجَها في النص ضرورةُ السِّياق أو تيسيرُ تفهّم النص.

هذا، وقد اعتمدنا على هوامش نشرة ألفرد بيل لإثبات اختلافات النسخ التي استعملها ولم نتمكن من الحصول عليها (ج، ط، ق، ح)، إلّا أن نشرته هذه، في كثير من الأحيان، تتضمَّن اختلافات عن نسختنا الأساسية، من دون أن ترد إشارة إلى أي اختلاف بين تلك النسخ، فرمزنا عندئذٍ إلى نشرة ألفرد بيل برمز: ع. وعليه، فالرموز المستعملة للإشارة إلى النسخ

Scanned by CamScanner

المخطوطة وإلى النشرة المطبوعة تكون كالتالي:

- مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر رقم 1619) ضائع): ج
- مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر رقم 2117: ز
- مخطوط الباشعدل شعيب بن طالب: ط
- مخطوط القاضي شعيب: ق
- مخطوط الباشعدل الحصَّار: ح
- مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 5031: ب
- مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 5752: ر
- مخطوط مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس رقم 406: ل
- مخطوط مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس رقم 408: ش
- مخطوط الأسكريال: س
- نشرة ألفرد بيل المطبوعة: ع

وقد أضفنا إلى هوامش تحقيق النص هوامشَ أخرى تتضمَّن معلومات حول أعلام الأشخاص والأمكنة والمؤلفات الواردة في الكتاب، وكل ما يتطلب مزيدًا من الإيضاح والتدقيق. واقتصرنا غالبًا على ما لم يَرد في نشرة ألفرد بيل من المعلومات الإضافية، التي تمَكنَ التِقاطها من المطبوعات العديدة التي صدرت منذ ذلك العهد.

وفيما يخصّ تصحيح الأغلاط التي تتضمَّنها النسخة الأساسية، فإننا لجأنا إلى كل الوسائل المتوفرة لدينا، وذلك بالرجوع إلى النسَخ الأخرى، مع إثبات ما ورد في النسخة الأساسية في الهوامش. كما رجعنا أيضًا إلى المصادر التي اعتمد عليها يحيى ابن خلدون في تأليفه لتصحيح الأغلاط الواردة في جميع النسَخ[18]. وكذلك استعملنا مصادر أخرى أحدث من "بغية الرواد"، مثل " نظم الدر والعقيان " للتنسي، و" نفح الطيب " للمقري، و" تعريف الخلف " للحفناوي، التي نقلت فقرات وقصائد عن " بغية الرواد "، فوجدنا فيها بعض الاختلافات المفيدة. وأخيرًا، وبصفةٍ استثنائية، اخترنا أنسب العبارات أو المفردات، من ناحيتَي الأسلوب والمعنى، كلما

Scanned by CamScanner

اقتضى الأمر ذلك، إذ أنَّ هدفنا من تحقيقنا هذا هو أن نقدم للقارئ كتابًا مُنقَّحًا، مستقيم التعبير، كامل النص. وأملنا أننا، بعملنا هذا، نكون قد ساهمنا في خدمة تاريخ الجزائر، وفي إزاحة الستار عن بعض جوانب شخصية يحيى ابن خلدون.

---

(1) عن وصف نسخة الجزائر التي استعملها ألفرد بيل في تحقيق الجزء الثاني من " بغية الرواد "، انظر: بغية الرواد، ج 2، تصدير (بالفرنسية)، ص II، هامش 1.

(2) عن هذا الملحق، الذي يوجد أيضا في نسختي ط، ر، انظر، فيما قبل، ص 68.

(3) حول وصف هذا المخطوط، راجع أيضًا: Blochet, op. cit., p. 107.

(4) عن هذه المخطوطات الثلاثة التي كانت في مكتبة الأب بارجيس، والمحفوظة في باريس، انظر: A، Bel, op. cit., Introd., p. XIV, note 1; Catalogue des livres orientaux de l'Abbé Bargès, Paris, 1896, pp. 65 - 66.

(5) انظر: H. Derembourg et Lévi - Provençal, Les Manuscrits arabes de l'Escurial, t. III, pp. 189 - 90.

(6) ما جُعِلَ بين قوسَيْن لا يمكن تبيُّنه بوضوح في المخطوط. وقد راعينا، في إثبات ذلك، سياق الكلام، وما أمكن تبينه من الحروف.

(7) انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 214، البيت السابع من القصيدة.

(8) انظر، فيما قبل، ص 64.

(9) وهي التراجم رقم 75، 102، 103، فيما يلي، ص 170، 186، 187.

(10) يبدو أن كثرة أخطاء النساخ قد أدت إلى غموض كثير في معنى بعض الجمل، وخصوصًا التي استعمِلت فيها المحسنات البديعية والسجع، مما أدى، ربما، إلى حذفها، في بعض الأحيان.

(11) عن هذه المقارنة، انظر، فيما بعد، ص 90، 91.

(12) انظر، فيما قبل، ص 85 – 87.

(13) انظر، فيما قبل، ص 83 – 84.

(14) ذكر ألفرد بيل، في مقدمة الجزء الأول من الكتاب (ص XVIII)، أن نسخة القاضي شعيب، التي اتخذها أساسًا لتحقيقه، أجود النسخ التي استعملها، ولسنا نوافقه على هذا. ويمكن الوقوف على ذلك بإجراء مقارنة بين هذه النسخة ونسختي ب، ح، اعتمادًا على الهوامش التي تشير إلى الاختلافات بين النسخ في النص.

(15) انظر، فيما قبل، ص 82 – 88.

Scanned by CamScanner

(16) وهي مقطوعة صغيرة، تشتمل على ثمانية أبيات، لمهيار الديلمي، لم ترد إلا في نسخة الأسكريال، ولم تثبتها نشرة ألفرد بيل، في ج ا، ص 103.

(17) ومما يؤيد هذا الرأي أن هذه النسخ هي أكثر النسخ أخطاء ونقصًا.

(18) من بين تلك المصادر، نخص بالذكر كتاب " التشوُف " لابن الزيات التادلي، و" التكملة " لابن الأبار، و" الذيل والتكملة " لابن عبد الملك المراكشي، التي مكنتنا من تصحيح أخطاء عديدة في بعض تراجم العلماء والصلحاء.

Scanned by CamScanner

9. قائمة المصادر والمراجع

أ) المصادر والمراجع العربية

1) المخطوطات

1. التادلي أبو العباس، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، الخزانة العامة بالرباط، رقم د 625.

2. أبو حمّو موسى العبد الوادي، واسطة السلوك في سياسة الملوك، المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 1374.

3. ابن الخطيب لسان الدين، ريحانة الكتاب، المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 2010.

4. ابن صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، الخزانة العامة بالرباط، رقم: ك 1292.

5. مؤلف مجهول الاسم، زهر البستان في دولة بني زيان، السفر الثاني، مكتبة جامعة مانشستر، (إنجلترا)، رقم 283، القسم العربي.

2) المصادر المطبوعة

1. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر كوديرا، جزآن، مدريد، 1883.

2. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (ملحق)، نشر ابن أبي شنب وألفرد بيل، الجزائر، 1920.

3. ابن الأبار، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تحقيق حسين مؤنس، جزآن، القاهرة، 1963.

4. ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، كوديرا، مدريد، 1886.

5. ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حَلَّ مراكش وأغمات من الأعلام، 8

Scanned by CamScanner

ج، فاس، 1936 - 1938.

6. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 14 ج، القاهرة، 1303 هـ.

7. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج في تطريز الديباج، طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون، القاهرة، 1351 هـ.

8. ابن الأحمر، مستودع العلامة، تحقيق محمد طاهر التونسي وابن تاويت، تطوان، 1964.

9. ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1962.

10. الإدريسي، المغرب العربي، من كتاب "نزهة المشتاق"، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

11. إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، جزآن، استانبول، 1951.

12. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، 1965.

13. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، جزآن، القاهرة، 1966.

14. البغدادي، مراصد الاطلاع، 3 ج، القاهرة، 1954 - 1955.

15. البكري، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب، من كتاب "المسالك والممالك"، نشر دو سلان، ط.2، الجزائر، 1913.

16. البيذق، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ط.2، 1986.

17. التنسي أبو عبد الله، تاريخ دولة الأدارسة، من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1984.

18. التنسي أبو عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد، الجزائر، 1985.

19. التيجاني، رحلة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1958.

20. الجاحظ، البيان والتبيين، نشر السندوبي، القاهرة، 1926.

Scanned by CamScanner

21. ابن جبير الكناني، رحلة، بغداد، 1937.

22. حاجي خليفة، كشف الظنون، جزآن، ط. 3، طهران، 1387 هـ.

23. ابـن حجـر العـسقلاني، الـدرر الكامـنة فـي أعـيان المائـة الثامـنة، 4 ج، حيدراباد، 1348 - 1350 هـ.

24. ابن حزم الأندلسي، جَمْهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962.

25. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، جزآن، الجزائر، 1906.

26. ابن حماد أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، الجزائر، 1984.

27. أبو حمّو موسى العبد الوادي، واسطة السلوك في سياسة المُلوك، تونس، 1279 هـ.

28. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، 1966.

29. ابـن حـوقل، كـتاب المـسالك والممالـك، نـشر دي غـوية، جـزآن، لـيدن، 1873.

30. ابن الخطيب لسان الدين، رقم الحلل في نظم الدول، تونس، 1316 هـ.

31. ابـن الخطـيب لـسان الـدين، اللمحة البـدرية فـي الدولـة النـصرية، القاهـرة، 1347 هـ.

32. ابـن الخطـيب لـسان الـدين، نفاضـة الجـراب فـي علالـة الاغـتراب، تحقـيق العبادي، القاهرة، بدون تاريخ.

33. ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، 2ج، القاهرة، 1319.

34. ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، نشر ليفي بروفنسال، الرباط، 1934.

35. ابن خلدون عبد الرحمن، المُقدمة، تَحقيق علي عبد الواحد وافي، 4 ج، القاهرة، 1964 - 1968.

Scanned by CamScanner

36. ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر، 7 ج، بيروت، 1957.
37. ابن خلدون عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق ابن تاويت، القاهرة، 1951.
38. ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر ألفرد بيل، جزآن، الجزائر، 1904 - 1913.
39. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 6 ج، القاهرة، 1948.
40. ابن خير الإشبيلي، فهرسة، نشر كوديرا، جزآن، مدريد، 1894 - 1895.
41. الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج 1، القاهرة، 1968.
42. الدرجيني أبو العباس، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، جزآن، الجزائر، 1974.
43. ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس، 1967.
44. الرصاع أبو عبد الله، فهرسة، تحقيق محمد العنابي، تونس، 1967.
45. ابن الزبير، صلة الصلة (القسم الأخير)، نشر ليفي بروفنسال، الرباط، باريس، 1938.
46. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، فاس، 1303 هـ.
47. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس، 1966.
48. الزهري، كتاب الجعرافية، نشر محمد الحاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي بدمشق، سنة 1968، ص 7 - 312.
49. ابن الزيات التادلي، التشوف إلى معرفة رجال التصوف، نشر أ. فور، الرباط، 1968.
50. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 12 ج، القاهرة، 1353 هـ.

Scanned by CamScanner

51. السِّلفي، أخبار وتراجم أندلسية (من كتاب "معجم السفر")، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1963.

52. السيوطي، حسن المحاضرة، جزآن، القاهرة، 1321 هـ.

53. الشريف التلمساني أبو عبد الله، مفتاح الوصول في علم الأصول، الدار البيضاء، بدون تاريخ.

54. ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الكعاك، تونس، 1936.

55. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 1 – 4، طهران، 1961، ج 5 – 8، بيروت، 1969 – 1972.

56. الضبي، بغية المُلتمس في تاريخ رجال الأندلس، القاهرة، 1967.

57. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، القاهرة، 1961.

58. العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق ابن جدو، قسنطينة، 1964.

59. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، سفر1، جزء 3، تحقيق محمد بن شريفة؛ سفر 4 – 6، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1964 – 1973.

60. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الأول، جزآن، نشر ليفي بروفنسال وكولان، ليدن، 1948 – 1951؛ القسم الثاني، جزء 3، نشر ليفي بروفنسال، باريس، 1930؛ القسم الثالث، جزء 4 (المرابطون)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1967؛ جزء 5 (الموحدون)، تحقيق ميرندا وابن تاويت والكتاني، تطوان، 1953 – 1954.

61. عياض السبتي، ترتيب المدارك، 5 ج، بيروت، 1967.

62. الغبريني، عنوان الدراية، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1910.

63. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة، 1951.

Scanned by CamScanner

64. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966.
65. ابن فضل الله العُمَرِيّ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تحت عنوان: وصف إفريقية والأندلس في أواسط القرن الثامن للهجرة، تونس، 1341 هـ.
66. ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، نشر علوش، جزآن، الرباط، 1934 - 1936.
67. ابن القاضي، جذوة الاقتباس فيمن حَلَّ من الأعلام مدينة فاس، فاس، 1309 هـ.
68. ابن القطان، نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، تطوان، بدون تاريخ.
69. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 14 ج، القاهرة، 1913 - 1920.
70. ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تونس، 1968.
71. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، الرباط، 1965.
72. ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، 1971.
73. الكتاني أبو عبد الله، سلوة الأنفاس، 3 ج، فاس، 1318 هـ.
74. الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس، جزآن، فاس، 1346 - 1347 هـ.
75. الكتبي، فوات الوفيات، جزآن، القاهرة، 1289 هـ.
76. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة، 1949.
77. ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1908.
78. المسعودي، مروج الذهب، 4 ج، القاهرة، 1958.
79. المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق الصاوي، القاهرة، 1938.

Scanned by CamScanner

80. المقدسي، أحسن التقاسيم، نشر دي غوية، ليدن، 1877.

81. المقري أبوالعباس، نفح الطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 10 ج، القاهرة، 1949.

82. مؤلف مجهول الاسم، الذخيرة السنية، نشر محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1921.

83. مؤلف مجهول الاسم، مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، الرباط، 1934.

84. مؤلف مجهول الاسم، الحلل الموشية، نشر علوش، الرباط، 1936.

85. مؤلف مجهول الاسم، كتاب الاستبصار، نشر فون كريمر، فينا، 1852.

86. ابن ناجي التنوخي، معالِم الإيمان في معرفة أهل القيروان، 4ج، تونس، 1320.

87. الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، 9 ج، الدار البيضاء، 1954 – 1956.

88. النباهي، المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر ليفي بروفنسال تحت عنوان "تاريخ قضاة الأندلس"، القاهرة، 1948.

89. النويري، نهاية الأرب، ج 1 – 18، القاهرة، 1923؛ ج 19، القاهرة، 1975.

90. الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، قسم 1، 4 ج، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، 1970.

91. الونشريسي، المعيار المغرب، 12 ج، فاس، 1314 – 1315 هـ.

92. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 8 ج، القاهرة، 1906.

93. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 20 ج، القاهرة، 1936 – 1938.

94. اليعقوبي، كتاب البلدان، نشر دي غوية، بريل، 1892.

3. المراجع العربية

1. إحسان عباس، أخبار وتراجم أندلسية، بيروت، 1963.

2. أرسلان شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، 3ج، ج 1

Scanned by CamScanner

- 2، فاس، 1936، ج 3، القاهرة، 1939.

3. بدوي أحمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام، القاهرة، بدون تاريخ.

4. بدوي عبد الرحمن، مؤلفات ابن خلدون، القاهرة، 1962.

5. حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الجزائر، ط 1، 1974؛ ط 2، 1983.

6. ابن خميس، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، جمع وتقديم عبد الوهاب ابن منصور، تلمسان، 1365 هـ.

7. الزركلي، الأعلام، 10 ج، القاهرة، 1954 - 1959.

8. ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، جزآن، القاهرة، 1953.

9. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، جزآن، الدار البيضاء، 1960.

10. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جزآن، بيروت، 1979.

11. الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، 1969.

12. عبد الغني حسن، علم التاريخ عند العرب، القاهرة، 1961.

13. عنان محمد عبد الله، عصر المرابطين والموحدين، جزآن، القاهرة، 1964 - 1965.

14. عنان محمد عبد الله، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1938.

15. عنان محمد عبد الله، لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1968.

16. كحالة عمر رضى، معجم المؤلفين، 15 ج، دمشق، 1957 - 1961.

4. المقالات

1. بوعياد محمود، من آثارنا المغمورة بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 13، سنة 1973، ص 213 - 222.

Scanned by CamScanner

2. حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 26، سنة 1975، ص 136 - 156.

3. حاجيات عبد الحميد، مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، عدد 7، يناير 1982، ص 34 - 73.

4. حاجيات عبد الحميد، ابن خلدون المؤرخ، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد 7، سنة 1993، ص 27 - 35.

5. حاجيات عبد الحميد، ملاحظات حول منهجية الدراسات التاريخية للمغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، عدد 1، سنة 2002، ص 83 - 99.

6. ابن الخوجة محمد الحبيب، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية في القرن 7 هـ 13 م، مجلة: Les Cahiers de Tunisie, 1° et 2° trim. 1970, pp. 129 - 137. .7 الفاسي محمد، ابن خلدون والسياسة، أعمال مهرجان ابن خلدون، كلية الآداب بالرباط، مايو 1962، الدار البيضاء، 1968، ص 67 - 77.

7. مؤنس حسين، الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1959 - 1960.

9. مؤنس حسين، الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، الشريف الإدريسي قمة علم الجغرافيا عند المسلمين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1961 - 1962، ص 257 - 372.

ب) المراجع باللغات الأجنبية

1. Bargès J، J. L., Aperçu sur l'Eglise d'Afrique en général, et en particulier sur l'Eglise épiscopale de Tlemcen, Paris, 1848.

2. Bargès J، J. L., Histoire des Béni Zeiyan, rois de Tlemcen, trad. part. du Nazm ad - durr wa'l - 'iqyan d'at - Tanasi, 1 vol. Paris, 1852.

3. Bargès J، J. L., Mémoire sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan, sous le règne des Béni Zeiyan, Paris, 1853.

4. Bargès J، J. L., Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859.

5. Bargès J. J. L., Vie du célèbre marabout Cidi Bou Medien, Paris,

Scanned by CamScanner

1884.

6. Bargès J‹ J. L., Complément de l'Histoire des Béni Zeiyan, rois de Tlemcen, 1 vol., Paris, 1887.

7. Basset H., Ibn Tûmart chef d'état, Congrès intern. des religions, 1924, II, pp. 438 - 439.

8. Bel A., Les Benou Ghanya, derniers représentants de l'Empire almoravide et leur lutte contre l'Empire almohade, Publ. Fac. Lettres Alger, XXVII, 1 vol., Paris, Leroux, 1903.

9. Bel A., Histoire des Béni 'Abd - el - wâd, rois de Tlemcen, éd. et trad. de la Bûgyat al - Ruwwâd, en collab. avec G. Bouali, 3 vol., Alger, Fontana, 1904 - 13.

10. Bel A., Inscriptions arabes de Fès, 1 vol., Paris, 1919.

11. Bel A., Sidi Bou Medyan et son maître ed - Daqqâq à Fès, Mél. R. Basset, I, pp. 31 - 68, Paris, 1923.

12. Bel A., L'Islam mystique, dans Revue Afric., 1927, pp. 329 - 72 et 1928, pp. 65 - 111.

13. Bel A., Le Sûfisme en Occident musulman au XII° et XIII° siècle de J. C., dans Annales de l'Inst. d'Et. Or. Alger, I, 1934 - 35, pp. 145 - 61.

14. Bel A., La Religion musulmane en Berbérie, I, Paris, 1938.

15. Bel A., art. Ibn Khaldoun Yahyâ, dans E‹ I. 2, III, pp. 855 - 56.

16. Bel A., art. Tlemcen dans E‹ I., IV, pp. 843 - 47.

17. Bencheneb M., Etude sur les personnages mentionnés dans l'Idjaza du Cheikh Abd - el - Qadir el - Fäsi, dans Actes du XIV° Congrès intern. des Or., IV, pp. 168 - 560, Paris, 1907.

18. Bourouiba R., L'art religieux musulman en Algérie, 1 vol., Alger, SNED, 1973.

19. Brockelmann C., Geschichte der Arabishen litteratur, 2 vol., Weimar, 1898 - 1902, 2° éd. avec 3 Sup., Leyde, 1937 - 42.

20. Brosselard Ch., Inscriptions arabes de Tlemcen, dans Revue Africaine, III à VI, 1858 - 61.

21. Brosselard Ch., Mémoire épigraphique et historique sur les tombeaux des émirs Béni Zeiyan et de Boabdil… découverts à Tlemcen. dans Journal Asiatique, 1876, VII, pp. 5 - 197.

22. Brunschvig R., Quelques remarques historiques sur les médersas de Tunisie, dans Revue tunisienne, 1931.

23. Brunschvig R., Un aspect de la littérature historico - géographique de l'Islam, dans Mél. Gaudefroy - Demombynes, Le Caire, 1935 - 45.

24. Brunschvig R., La Berbérie orientale sous les Hafsides des

Scanned by CamScanner

origines à la fin du XV° siècle, 2 vol., Paris, Maisonneuve, 1940 - 47.

25. Brunschvig R., Ibn 'Abd al - Hakam et la conquête de l'Afrique du Nord par les Arabes, dans les Annales de l'Inst. d'Et. Or. Alger, VI, 1947 - 48, pp. 108 - 35.

26. Brunschvig R., art. Tunis, dans E، I., IV, p. 882.

27. Brunschvig R. et Pérès H., Ibn Khaldoun, sa vie et son œuvre, dans Bul. d'Et. Ar., 1943, pp. 55 - 60 et 145 - 60.

28. Canard M., Les géographes arabes des XI° et XII° siècles en Occident, dans Annales de l'Inst. d'Et. Or. Alger, XVIII - XIX, 1960 - 61, pp. 1 - 72.

29. Cattenoz H. G., Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne, 3° éd., Rabat, s. d.

30. Coudray, Les étrangers à Tlemcen, dans l'Algérie nouvelle, 2° année, 1897, Alger.

31. Coudray, Relations commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan, dans Bull. de la Soc. de Géog. d'Alger, 2° année, 1897.

32. Delpech A., Résumé du Bostane, dans Revue Africaine, 1883 - 84.

33. Djaït H., La wilaya d'Ifriqiya au II° / VIII° siècle: étude institutionnelle, dans Studia Islamica, XXVII, 1967, pp. 77 - 121 et XXVIII, 1968, pp. 79 - 107.

34. Dozy R., Histoire des Béni Ziyan, trad. de la Rawdat al - Nisrin d'Ibn al - Ahmar (2° partie), dans Journal Asiatique, Mai 1844, pp. 368 - 416.

35. Dufourcq Ch. - E., L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII° et XIV° siècles, 1 vol., Paris, P، U، F., 1965.

36. Dufourcq Ch. - E., Le sultanat de Tlemcen vers 1382 - 85 d'après un document inédit, dans Rev. d'Hist. et de Civil. du Maghreb, n° 6 - 7, juil. 1969, pp. 27 - 31.

37. Eustache D., art. Idrisides, dans E، I., 2, III, pp. 1061 - 63.

38. Fagnan E., Extraits inédits relatifs au Maghreb, 1 vol., Alger, 1924.

39. Faure A., Le Tasawwuf et l'école ascétique marocaine des XI°, XII° et XIII° siècles de l'ère chrétienne, dans Mél. L. Massignon, II, Damas, 1957, pp. 119 - 31.

40. Gautier E، F., L'islamisation de l'Afrique du Nord, Les siècles obscurs du Maghreb, Paris, Payot, 1927 ; 2° éd., Le passé de l'Afrique du Nord, Les siècles obscurs, Paris, 1937.

41. Gibb H، A، R., art. Tarikh, dans E، I., Sup., pp. 250 - 63.

42. Goldziher I., Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le

Scanned by CamScanner

Nord de l'Afrique au XI° siècle, préf. à la trad. du Livre d'Ibn Toumert par Gaudefroy - Demombynes M., Alger, 1903.

43. Golvin L., Le Maghrib central à l'époque des Zirides, Recherches d'archéologie et d'histoire, Paris, 1957.

44. Golvin L., La Mosquée ..., Publ. de l'Inst. d'Et. Sup. Isl., XV, Alger, 1965.

45. Golvin L., Quelques réflexions sur la grande mosquée de Tlemcen, dans Rev. de l'Occid. Mus. et de la Méd., n° 1, 1° sem. 1966, pp. 81 - 90.

46. Hadj - Sadok M., Description du Maghreb et de l'Europe au III° / IX° siècle, Extraits du Kitab al - Masalik wa'l - mamalik d'Ibn Khurradadhbih, du Kitab al - buldan d'Ibn al - Faqih et du Kitab al - A'laq an - nafisa d'Ibn Rusteh. texte arabe et trad. frse, Bibl. ar. frse, VI, Alger, Carbonel, 1949.

47. Heyd W., Histoire du commerce du Levant au Moyen Age, tr. Raynaud F., 2 vol., Leipzig, 1936.

48. Hopkins J، F، P., The Almohade hierarchy, dans Bull. the School Or. and Afr. Studies, 16, 1954, pp. 93 - 112.

49. Huici Miranda A., La leyenda y la historia en los origenes del imperio almohade, dans Al - Andalus, XIV, 2.

50. Huici Miranda A., La invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca (al - Zallaqa, 479 / 1086), dans Hespéris, XL, 1953, pp. 17 - 76.

51. Huici Miranda A., La campana de Alarcos (591 / 1195), dans Rev. del Inst. des estudios isl. en Madrid, II, fasc. 1 - 2, pp. 1 - 72.

52. Huici Miranda A., El reinado del califa almohade al - Rasid, dans Hespéris, 1954.

53. Huici Miranda A., Historia politica del imperio almohade, I, Tetouan, 1956.

54. Idris H، R., La Berbérie orientale sous les Zirides (X° - XII° siècles), Publ. de l'Inst. d'Etudes Orientales, Fac. Lettres d'Alger, XXII, 2 vol., Paris, A. Maisonneuve, 1962.

55. Idris H، R., Contribution à l'histoire de l'Ifriqiya, dans Rev. des Et. Isl., 1935, pp. 105 - 78, 273 - 305, et 1936, pp. 45 - 104.

56. Idris H، R., Contribution à l'histoire de la vie religieuse en Ifriqiya ziride (X° - XI° siècles), dans Mél. Louis Massignon, II, Damas, 1957, pp. 327 - 59.

57. Idris H، R., Problématique de l'épopée sanhagienne en Berbérie orientale (X° - XII° siècles), dans Annales de l'Inst. d'ét. or., Alger, XVII, 1959, pp. 243 - 55.

Scanned by CamScanner

58. Idris H‹ R., Examen critique des récits d'al - Maliki et d'Ibn 'Idari sur la conquête de l'Ifriqiya, dans Arabica, XI, 1964, pp. 5 - 18.

59. Le récit d'al - Maliki ou la conquête de l'Ifriqiya, trad. annotée et examen critique, dans Revue des Et. Isl., XXXVII, 1969, fasc. 1, pp. 117 - 49.

60. Idris H‹ R., art. Hafsides, dans E‹ I. 2, III, pp. 68 - 72.

61. Issawy Ch., An Arab philosophy of history, 1 vol., 1950.

62. Julien Ch. - A., Histoire de l'Afrique du Nord, t. II, Paris, 1931, 2° éd. revue et mise à jour par R. Le Tourneau, Paris, Payot, 1964.

63. Laoust H., Ibn Katir historien, dans Arabica, II, 1955, pp. 42 - 48.

64. Latham J‹ D., Towards a study of andalusian immigration and its place in tunisian history, dans Cahiers de Tunisie, 3° et 4° trim. 1957, pp. 203 - 52.

65. Le Tourneau R., Fès avant le protectorat, Publ. de l'Inst. des Hautes ét. mar., XLV, Casablanca, 1949.

66. Le Tourneau R., L'Occident musulman du milieu du VII° siècle à la fin du XV° siècle, dans An. de l'Inst. d'ét. or. Alger, XVI, 1958, pp. 147 - 76.

67. Le Tourneau R., Ibn Khaldun laudateur et contempteur des Arabes, dans Rev. de l'Occ. mus. et de la Méd., 2, 2° trim. 1966, pp. 155 - 68.

68. Le Tourneau R., The Almohad movement in North Africa in the twelfth and thirteenth centuries, Princeton studies on the Near East, New - Jersey (U‹ S‹ A.), Princeton University Press, 1969.

69. Le Tourneau R., Sur la disparition de la doctrine almohade, dans Studia Islamica, XXXII, 1970, pp. 193 - 201.

70. Léon l'Africain, Description de l'Afrique, tr. A. Epaulard, 2 vol., Paris, A. Maisonneuve, 1956.

71. Lévi - Provençal E., Documents inédits d'histoire almohade, 1 vol., Paris, Geuthner, 1928.

72. Lévi - Provençal E., Ibn Tumart et Abd al - Mu'min, Mémorial H. Basset, 1928, II, pp. 21 - 37.

73. Lévi - Provençal E., Un nouveau récit de la conquête de l'Afrique du Nord par les Arabes, dans Arabica, I, 1954, pp. 17 - 43.

74. Lévi - Provençal E., Le traité d'adab al - katib d'Abu Bakr Ibn Haldun, dans Arabica, II, 1955, pp. 280 - 88.

75. Lévi - Provençal E., Réflexions sur l'empire almoravide au début du XII° siècle, Cinquantenaire de la Faculté des Lettres d'Alger, Alger, Société Historique Algérienne, 1932, pp. 307 - 20.

Scanned by CamScanner

76. Lévi - Provençal, Un nouveau texte d'histoire mérinide: le Musnad d'Ibn Marzuk, dans Hespéris, V, 1925, pp. 1 - 82.

77. Mahdi M., Ibn Khaldun's Philosophy of history, London, 1957.

78. Maqbul Ahmad S., art. Djughrafiya, dans E‹ I., 2, pp. 590 - 602.

79. Marçais G., Les Arabes en Berbérie du XI° au XIV° siècles, Constantine - Paris, 1913.

80. Marçais G., Manuel d'art musulman, l'architecture, 2 vol., Paris, 1926 - 27.

81. Marçais G., Note sur l'épitaphe d'un savant tlemcénien, Abou Mousa fils de l'Imam, dans Rev. Afr., 1918, pp. 115 - 30.

82. Marçais G., Remarques sur les médersas funéraires en Berbérie, à propos de la Tachfiniya de Tlemcen, dans Mél. Gaudefroy - Demombynes, 1937, pp. 259 - 78.

83. Marçais G., Le Makhzen des Béni 'Abd el - wâd, dans Bull. Soc. Géog. Oran, 1940 ; reproduit dans Mél. G. Marçais, 1957, I, pp. 51 - 57.

84. Marçais G., Les idées d'Ibn Khaldoun sur l'histoire, dans Bull. d'ét. ar., 1941, pp. 3 - 5.

85. Marçais G., La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen - Age, 1 vol., Paris, Aubier, 1946.

86. Marçais G., Tlemcen (Coll. Les villes d'art célèbres), Paris, Laurens, 1950.

87. Marçais G., Sidi 'Uqba, Abu'l - Muhagir et Kusaïla, dans Cah. de Tunisie, I, 1953, pp. 11 - 17.

88. Marçais G., Tlemcen et le commerce eurafricain au Moyen - Age, dans Eurafrique, juil. 1953, Alger.

89. Marçais G., Sur la grande mosquée de Tlemcen, dans Annales de l'Inst. d'ét. or. Alger, VIII, 1949 - 50, pp. 266 - 77.

90. Marçais G., art. 'Abdal - Wadides, dans E‹ I. 2, I, pp. 95 - 97.

91. Marçais G. et W., Les monuments arabes de Tlemcen, 1 vol., Paris, 1903.

92. Marçais G. et Bouali Gh., Raoudat an - Nisrin (Le jardin des églantines), éd. et trad. de la 1° partie de l'ouvrage d'Ibn al - Ahmar, Publ. Fac. Lettres, Alger, LV, 1 vol., Paris, 1917.

93. Marçais W., Un siècle de recherches sur le passé de l'Algérie musulmane, dans Histoire et historiens de l'Algérie, Paris, 1931.

94. Marçais W., Comment l'Afrique du Nord a été arabisée, dans Annales de l'Inst. d'ét. or. Alger, VI, 1938, pp. 1 - 22 et XIV, 1956, pp.

Scanned by CamScanner

5 - 17.

95. Mas - Latrie (L. de), Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen - Age, 2 vol., Paris, 1866 - 72.

96. Mérad A., L'autobiographie d'Ibn Khaldoun, dans I، B، L، A., XIX, 1956, pp. 53 - 64.

97. Mérad A., 'Abd al - Mu'min à la conquête de l'Afrique du Nord (1130 - 1163), dans Annales de l'Inst. d'ét. or. Alger, 1957, XX, pp. 109 - 63.

98. Mérad A., Contribution à l'histoire de la dynastie mu'minide (1163 - 1223), dans Annales de l'Inst. d'ét. or. Alger, XX, 1962, pp. 501 - 79.

99. Méziane A. Ibn Khamis, poète tlemcénien du XIII° siècle, II° Congrès de la Féd. des Soc. sav. de l'Afrique du Nord, 1936, II (2), pp. 1057 - 65.

100. Nassar N., La pensée réaliste d'Ibn Khaldûn, 1 vol., Paris, P، U، F., 1967.

101. Pearson, Index Islamicus, 1 vol. + 2 suppl., Cambridge, Heffer, 1958 - 67.

102. Pellat Ch., Description de l'Occident musulman au IV° - X° siècle, éd. et trad. part. de Ahsan al - taqasim fi ma'rifat al - aqalim, par al - Muqaddasi, Bibl. ar. frse, IX, Alger, 1950.

103. Pons - Boigues F., Ensayo bio - bibliografico sobre los historiadores y geografos Arabico - Espagnoles, Madrid, 1889.

104. Rabi M، M., The politic theory of Ibn Khaldun, Brill, 1967.

105. Renaud H، P، J., Ibn al - Banna' de Marrakech, sufi et mathématicien (XIII° - XIV° siècles) dans Hespéris, XXV, 1938, 1° trim., pp. 13 - 42.

106. Renaud H، P، J., Un médecin du royaume de Grenade: Muhammad as - Saquri, dans Hespéris, XXXIII, 1946, 1° et 2° trim., pp. 31 - 64.

107. Sauvaget J., Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, éd. refondue et complétée par Claude Cahen, Paris, A. Maisonneuve, 1961.

108. Spuler B., Ibn Khaldoun the historian, dans A'mal mahragan Ibn Khaldun, Le Caire, 1962, pp. 349 - 56.

109. Talbi M., L'Emirat aghlabide, Histoire et politique, Paris, A. Maisonneuve, 1966.

110. Talbi M., art. Ibn Khaldun ('Abd al - Rahman), dans E، I., 2, III, pp. 849 - 53

Scanned by CamScanner

111. Talbi M., Ibn Khaldun et le sens de l'histoire, dans Studia Islamica, XXVI, 1967, pp. 73 - 148.

112. Talbi M., Ibn Khaldun et l'histoire, Tunis, 1973.

113. Talbi M., art. Ifriqiya, dans E. I. 2, III, pp. 1073 - 76.

114. Terrasse H., Un tournant de l'histoire musulmane: le XI^{e} siècle en Berbérie, d'après un livre récent, dans Hespéris, XXXIV, 1947, 3^{e} et 4^{e} trim., pp. 305 - 38.

115. Terrasse H., Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français, 2 vol., Casablanca, 1949 - 50.

116. Terrasse H., Conséquences d'une invasion berbère: le rôle des Almoravides dans l'histoire de l'Occident, dans Mél. d'hist. du Moyen - Age... dédiés à la mémoire de Louis Halphen, Paris, 1951, pp. 675 - 81.

117. Tlili B., La notion de 'Umran dans la pensée tunisienne précoloniale, dans Rev. de l'Occ. Mus. et de la Méd., 12, 2^{e} sem. 1972, pp. 131 - 51.

118. Zmerli S., La vie et les œuvres d'Ibn Haldoun, dans Revue Tunisienne, XVIII, 1911, pp. 532 - 36.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

بغية الرواد

في ذكر الملوك من بني عبد الواد

تأليف

أبي زكرياء يحيى ابن خلدون

تقديم وتحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات

الجزء الأول

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم.

قال الشيخ الفقيه الرئيس الأكمل أبو زكرياء يحيى بن محمد بن محمد ابن محمد بن خلدون رضي الله عنه[1]:

الحمد لله الذي خلق الدوَلَ أجِنَّة في بُطون الأعصار، وذرأ منها غُرَرًا مُسْتَهِلة في مُهود الأمْصار، ثم كفلها من السِّياسة بالأضآر، وألْبَسها أقْمِطة الشرائع رائعَة الظهار، وأكْنَفَها آياتِ الليل والنهار، فمنها الرَّضيع واليَفعة والطَّار، فالشابّ فالكهْل فالهرم فالهار[2]، ثم تصير خبرًا تتلوه ألسِنة الأسْطار، إنَّ في هذا لعِبْرَة وذِكرى لأولي الأبْصار.

* والحمد لله الذي فطر الممالك أفلاكًا مستقيمة الأدوار، حالِيَة من أربابِها بالشموس والأقمار، ثم زيَّنها بمصابيح المهاجرين والأنصار، ورجم بشهْب رماحها شياطينَ الكفار، وأذهب بَصر العَيْث في مغارها بِبُروق الشفار، ذلك هو تقدير العزيز الجبَّار. والحمد لله الذي صرف الأيامَ بين الناس دُوَلاً مُعَيَّنات الأقدار، وأنطق لسانَ اليراعة بما في أفئِدتِها من الأخبار، وأقام بِها مثلات السالِفين مَظاهر أذكار، وأوْدع ركاز قَصَصها بُطون الأسْفار، ليكون منارها للخالفين مَدْعَى اعْتبار، ثم خَصَّ الْمُتَّقين من عِباده بالزُّلْفَى وعُقْبى الدار، [لا إله إلا هو الواحد القهَّار]، نحمده على فضله السابغ الأسْتار[3]، ونشكُره شُكرَ مُعْترِفٍ بآلائه الغِزار، حَمْدًا وشُكرًا[4] يتصِلان اتِّصالاً يتأزَّرُ بستار، وهما لِنِعَمِه سِمَة تَمْداحِ(هِ)[5] المفترَض البدار[6].*

ونُصَلِّي على سيدنا ومولانا محمد مصطفاه المختار، ورسوله الآخذ بالحجز عن النار، أشْرَف العالَمين مُنْتَمى زاكي النِّجار، وأفْضَلهم خَلْقًا وخُلُقًا يَوْم الفخار، الذي أنزلَ عليه الفرقان آيات مُحْكمات الأمْر والنهْي والإعْذار والإنْذار، وقَصَّ عليه أحْسَن القَصَص بما أوْحَى إليه من حِكَمٍ ومَواعظ وخَبر واسْتِخْبار، وعلى آلِه

Scanned by CamScanner

وصَحْبه الخيرة الأبْرار، الذين أوْضَحوا المَراشد وخلَّدوا الآثار، ودوَّنوا الدواوين وأرَّخوا التواريخ ومصَّروا الأمصار، وأعملوا مَساعِيَ الانْتِهاء والائتِمار، ففازوا بالنعيم المقيم في دار القَرار، صلاةً تناسب ما له ولهم من شَرَف الأقْدار، وتترَى ما اختلف الجديدان وتَعاقب الأدْهار.

وبَعْدُ، فإنَّ النفوسَ الكِبار، والهِمَم الأحرار، لا تزال طامحة الأبصار، إلى أوْج الفخار، راغبة بخليقتها في إطالة الأعْمار، بما تخلده من الآثار، إذ باعُ الآثار في الحياة مَديد، وحديثُ المَرْء بعده خلقٌ كما علمْتَ جديد. ولَمَّا كان مولانا[7] السلطان الهمام، الجواد الضرغام، كبير الملوك، وناظِم السُّلوك، وناهِج سبيل الفخر المَسْلوك، ناصر المِلَّة، وواحِد الأئمَّة الجلَّة، والممتاز بشرف الصريمة والخلة[8]، خير مَنِ أنجبته أرحام اللاأعاصِرُ، والْتَفَّتْ عليه وَشائج الأواصر، وأفْضَل مَنْ عليه إذا عُدَّ الأئمَّةُ الأعْلام تُعْقَد الْخَناصر، أمير المسلمين[9] المتوكل على رَبِّ العالَمِين، أبو حَمُّو ابن مولانا الأمير الأعلى، بَذْر الْمَجادة الأجْلى، والخليق بصفات الكمال الأولى، أبي يعقوب ابن مَوْلانا الأمير العَلِيّ الكبير، الشهيد الشهير، أبي زيد ابن مولانا الأمير الأمْجَد، الأسْعَد الأصْعَد، الحافل الأوحد، أبي زكرياء[10] ابن مولانا أمير المسلمين، وخليفة رب العالمين، إمام المهتدين، وجمال الدنيا والدين، وقامع الفَجَرَة والملحِدين، المتوكل على الله الْمُقدَّس الْمَرْحوم، أبي يحيى يَغْمُراسَن بن زيان أعَزَّ الله نَصْره[11]، وأعلى قدره، وخَلَّدَ في صُحُف المعَالي، إن شاء الله، فخره، * مِمَّنْ لايُجارَى بِمَيادين الْمَجادة بَأْوُه، ولا يُبارى في التَّعالي إلى سَماوات العُلى شَأْوُه، حيازة يوم الرِّهان في الفخر بقصب السباق، وارتفاعًا في أفلاك الكمال على السَّبْع الطِّباق، فلا فضلَ إلَّا وله منه أوْفَرُ نَصيب، ولا شَرَف إلَّا وقد ضرب له فيه بسَهْم مُصيب، ولا سِلْم إلَّا وعَيْش مَواليه به خَصيب، ولا حَرْب إلَّا ولِبَأْسه فيه على مُعادِيه يَوْم عَصيب.

فكان*[12] ممَّا وقف ركابُ عنايته عليه، وهدى رائدُ الكمال سرحَ آماله إليه، تخليد ما لدولته من مَعالٍ، وبأس ونوالٍ، وأحاديث للفخر صِحاحٍ غوالٍ، وما جمعته

Scanned by CamScanner

سِيَرِه[13] الكريمة من حربٍ وسِلمٍ، وتفريقٍ ولَمٍّ، وحكمةٍ وحُكمٍ، وتدوين ما اشتملت عليه أيامه من أخلاق وجِدَّةٍ، وإيمان وردَّةٍ، وفرَجٍ من بعد شِدَّةٍ، ليكون ذلك أسْوَةً في الفخر اللباب، وعِظة وذِكرى لأولي الألباب.

وكنت ممَّن يأمره، أعلى [الله] مقامه، بذلك، * فأهاوي علمًا بما عندي من تصور الباع، وعدم الانطباع، وضعف المنقلة والاضطلاع *. ثم رأيتُ أنَّ امتثال أمره العزيز عليَّ فرضٌ، وأنَّ[14] طاعته من طاعة الله ورسوله بَغَضٌ[15]، فانتدبت لإملاء هذا الكتاب راكبًا فيه لرضاه الأخطار، ومُسَطرًا بِهذه القَوافي والأسجاع الأسطار، جالبًا منه إلى سوق الأدب سقطًا، ومُكْسِبًا نفسي بمجاراتها فرسان البيان غمطًا.

*وعَيْنُ الرِّضَى عن كلِّ عَيْبٍ كلِيلة ولكِنَّ عَيْنَ السُّخطِ تبْدِي المَسَاوِيَا

فدَحَوْتُ لدَيَّ أرضَ طرسه، واستخدمت بها القلم في طاعته على أم رأسه*، وشرعت في تصنيفه عولاً في سهام الخدم المفروضة، وعلاوةً على حمل يَراعتي الْمَبهوضة، بعد أن فَلَيْتُ الأوراق، وطُفْتُ بِها الشام والعِراق، وحاذَيْتُ الْمُعَمِّرين العراف، وافْتَرعتُ[16] بُرودَ رياضه النضرات الأعراف، ودعوت المحفوظ فأجاب، وزَخْزحتُ لنَيلَ الإحجام فانجاب. ثم بدأتُ[17]، والله المُرْشِد، بذِكر تالد قبيله الأعز وطِرافِه، فخبر السلاطين العلى أسلافِه، ثم أحاديث لياليه الكريمة وأيامه، ونقضه وإبرامه، وظعن ركابه العلي أو مُقامه.

ورَتَّبته على ثلاثة أقسام: القسم الأول في التعريف بكُنْه قبيل بني عبد الواد[18] وأوَّلِيَّته. وفيه ثلاثة أبواب: الباب الأول[19] في ذكر مَحلِّ اعتماره من أعزَّه الله تعالى من الأرض، ويشتمل على ثلاثة فصول: الأول في اسم المكان ووصفه، والثاني في تعداد مَن أنجبه واستقرَّ به من الصالحين والعلماء وغيرهم، والثالث في[20] تملكه من لدن الفتح الإسلامي. والباب الثاني في التعريف بجنس القبيل الأعز وفصله، ويشتمل على فصلين: الأول في ذكر البربر ومنتمى زناتة فيهم، والثاني في ذكر شُعَب بني عبد الواد وبطونهم. والباب الثالث في ذكر أوَّليتهم وترحيل أيامهم، ويشتمل على ثلاثة فصول: الأول في ابتداء أمرهم، والثاني في انتهاء الملك إليهم،

Scanned by CamScanner

والثالث فيمن ولي غير مُسْتَبِدٍّ منهم.

والقسم الثاني في ذكر الملوك الأُوَل من بني عبد الواد، وفيه ثلاثة أبواب: الباب الأول في ذكر دولة يغمراسن بن زيان ودول بني عثمان من ولده[21]، والباب الثاني في إحياء الدولة بعد عفائها، والباب الثالث في دولة أولاد عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان.

والقسم الثالث فيما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حَمُّو، أيده الله، من الشرف الشاهق الأطواد، وفيه ثلاثة أبواب:الباب الأول في ذكر سَجاياه الكريمة وسِيَره الحميدة، والباب الثاني في ذكر أوَّليته، أيده الله، ومَصير الأمْر إليه. والباب الثالث في ذكر ما حَوَته سَنِيُّ دولته الكريمة من حلّ وترحال، ونقض وإبرام.

وأسْمَيْته بغية[22] الروَّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حَمُّو من الشرف الشاهق الأطواد. ومن الله أسأل الإعانة والتسديد، والهداية إلى العمل الرشيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(1) الطرة ناقصة في ع؛ وفي ل +: ورحمه وغفر له بمنه وكرمه.

(2) هذه الجملة، ابتداء من " فمنها الرضيع ..." جاءت محرفة في ز، ش، ع، كما يلي: " فمنها الرضيع والطليق في الشباب والكهل المعار ".

(3) ل: على فضله الدائم وسوابغ الأستار.

(4) ابتداء من هنا، يوجد خرم يبلغ ورقة أو ورقتين في ل، ر.

(5) النص ابتداء من " شكر معترف"، كتب في سطر، في أعلى الورقة من س، بيد غير يد الناسخ.

(6) بهاتين الكلمتين " المفترض البدار "، تبدأ الورقة الأولى من س. وهذه الفقرة ساقطة في ع. والنص ابتداء من " يتصلان ... ": لم يرد إلا في س.

(7) ز، ش، ع +: الخليفة الإمام.

(8) ز، ش، ع: الغريبة والجلة. والصريمة هي: العزيمة.

(9) ش، ع: أمير المؤمنين (وكذلك، فيما بعد، كلما وردت في النص عبارة: أمير المسلمين).

(10) ز، ش، ع +: يحيى.

(11) ز، ش، ع: أعزه الله ونصره.

Scanned by CamScanner

(12) النص ما بين نجمتين، ابتداء من " ممن لا يجارى": ساقط في ع، ولا يوجد إلا في س.

(13) ز، ش، ع: سيرته (ويلاحظ أن المؤلف يستعمل كثيرًا هذه المفردة في صيغة الجمع).

(14) هنا ينتهي الخرم في ل.

(15) هنا ينتهي الخرم في ر.

(16) افترع يعني: اختار.

(17) ر، ل، ز، ش، ع: بدأته.

(18) في س: عبد الوادي (وكذلك، فيما بعد، في كثير من الأحيان)؛ وقد رأينا أن نثبت هذا العلم بدون ياء (عبد الواد) في جميع الأحوال، كما هو مستعمل عادة عند المؤرخين.

(19) ر، ل، ش، ع +: منه.

(20) ر، ل، ش، ع: فيمن.

(21) ز، ش، ع: من بعده.

(22) ر، ل، س: نجعة.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

القسم الأول
(في التعريف بكنه
قبيل بني عبد الواد وأوّليته)

إني ذاكر، أعزك الله، في هذا القسم، ما لا غِنى بنا عنه من التعريف بكنهِ قبيل بني عبد الواد وأوّلِيَّته. ولمَّا كان [كل] حادث مفتقِرًا بذاته إلى مكان سابق وزمان لاحق، وجب أن نفرد لذكره وذكر كل منهما[1]، بابًا[2] نفي فيه بغرضنا من خبره، حسب الوسع، إن شاء الله[3].

---

(1) ز، ش، ع: أن نفرد لكل منهما.

(2) يعني أن المؤلف يرى من الضروري أن يخصص بابًا لذكر الحادث الذي هو بصدد دراسته (وهو قبيلة بني عبد الواد)، وبابَيْن آخَرَيْن لذكر المكان الذي نشأت فيه دولتهم (تلمسان)، والزمان الذي انقضى منذ ظهورها على مسرح التاريخ.

(3) ر، ل +: تعالى، وبه التوفيق.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

الباب الأول منه
في ذكر محلّ اعتمار بني عبد الواد أعزهم الله من الأرض

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول في اسمه ووصفه

قلت: هو في الإقليم الرابع، أعدل الأرض مزاجًا، وأفضلها نتاجًا، ما بين إفريقية والسوس الأدنى من المغرب الأقصى، الذي أخرج فيه مسلم والدارقطني وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال طائفة من أمّتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة[1]، ضبطه بالميم[2] الهَرَوِيُّ[3] في معجمه[4]، وبَقِي بن مَخْلد[5] والدارقطني[6] في فوائده[7]. قال صاحب الأحكام في حدِّ المغرب الأقصى: هو إفريقية وبلاد تاهرت وما والاها إلى طنجة إلى السوس الأقصى.

وقال عُبَيْد الله[8]: ورد على عمرو بن العاصي بمصر اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً من أهل المغرب، فحلقوا الرؤوس واللِّحَى راغبين في الإسلام. فسألهم عن سبب حلاقهم. فقالوا: فاتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلقنا شعرًا أنْبَتَهُ الكفر حتى يخلفه الإسلام، فبارك عليهم عمرو بن العاصي وأرسلهم وترجمانًا إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. وأتوه، فاسْتغْزاهم، فانتمَوْا إلى بَرْبَر المغرب. وسألهم عن مساكنهم، فقالوا: البَوادِي. قال: ألا تخشَوْنَ؟ قالوا: نكرم الخيْلَ ونُبْعِد الْمَغار[9]. فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي مَنَّ عليَّ برؤية هؤلاء قبل الْمَمات. فسأله الجلساءُ عن أصل[10] ذلك. فقال: حضرتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة، فرأيت كثرة الكفار وقِلة المسلمين فبكيْتُ. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيُعِزُّ الله هذا الدين بأقوامٍ يأتونكم من المغرب لطلبه. ثم أكرمهم وصَرَفهم إلى عمرو ابن العاصي[11]، وأمره بضمِّهم إلى الجند[12].

وذكر أيضًا عُبَيْد الله قال: رأيت في كتاب عمرو بن علي الأندلسي أنَّ رجلاً من البربر أتى المدينة أيام وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنَ على فاطمة

Scanned by CamScanner

الزهراء رضي الله عنها، وانتمى إلى بربر المغرب الأقصى. فقالت له: أتكون فلانًا؟ فقال: وما يدريكِ بي؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ لي بالمدينة أنصارًا، ولولدي بالمغرب الأقصى أنصارًا. يا فاطمة، سيقتل[13] الحسن والحسَيْن ولا تجد ذريتهما أنصارًا إلّا بربر المغرب الأقصى، فيا شقاء من قاتلهم، ويا سعادة مَن أحبَّهم. يا فاطمة، قد جعل الله في قلوب البربر لذريتي رحمة، وسيكون قومٌ من البربر بالمغرب على اليقين، والدين الصحيح إلى يوم الدين.

ودارُ مُلكِهم فيه وسط بينَ الصحراء والتلِّ، تسَمَّى بلغة البربر تلمسن[14]، كلمة مركبة من تلم، ومعناه تجمع، وسن[15]، ومعناه اثنان، أي الصحراء والتل[16]، فيما ذكره شيخنا أبو عبد الله الآبلِي رحمه الله[17]، وكان حافظًا[18] بلسان القوم. ويقال: تلشان، وهو أيضًا مركب من تل، ومعناه لها، وشان، أي لها شأن.

مدينة عريقة في التمدُّن، لدنة الهواء، عذبة الماء، كريمة الْمَنْبَتِ، اقتعدت بسَفحِ جبلٍ، ودُوَيْنَ رأسِهِ، بسيطًا أطوَلَ من شرقٍ إلى غزبٍ، عَروسة فوقَ مِنَصَّة، والشماريخُ مشرفة عليها إشرافَ التاج على الجبين، تطِل منه على فحْصٍ أفْيَح مُعَدٍّ للفلح، تَشق ظهورَه الأسلحةُ، عن مِثل أسنمة المهارى، وتبقر عن بطونه عند تدميث الغمائم بطون العَذارَى.

بِها للمُلكِ قصورٌ زاهِرات[19] اشتملت على الْمَصانع الفائقة والصروح الشاهقة، والبساتين الرائقة، ممَّا زُخْرِفَتْ عُروشه، ونُمِّقت غروسُهُ، ونوسِبَت أطواله وعروضه، فأزْرَى بالخوَرْنَق، وأخجل الرُّصافَة وعَبَثَ بالسَّدير. وتحفُّ بخارجها الخمائل الألفاف والأدواحُ الأشِبَة والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعيُن، من الفواكه والرمَّان والتين والزيتون، إلى المتنزَّهات الرائعة، والملاعب الحالية، والمعاهد الكريمة. فما شئت من جَوٍّ صقيل، ومعرس للحسن ومقيل، ومالِكٍ للألباب وعقيل، وقال للبلابل وقيل[20]. وتنصَبُّ إليها من عل أنهارٌ من ماءٍ غير آسِن، تتجاذبه أيدِي المَذانب والأسراب المكفورة خلالها، ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات، فالقصور وعلية الدور والحمَّامات، فيفعم الصهاريج ويفهق

Scanned by CamScanner

الحياض، ويَسقِي ريعه خارجَها مغارسَ الشجر ومَنابت الحب. فهي التي سحرت الألبابَ رواء، وأصبَت النهى جمالاً، ووجد المادِحون فيها المقال، فأطالوا وأطابوا.

فمن ذلك قولُ شاعرها الفقيه[21] أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس[22] رحمه الله:

تِلِمْسانُ جادتكِ السَّحابُ الدوالِحُ ... وأرْسَتْ بواديكِ الرِّياحُ اللواقِحُ
وسَحَّ على ساحاتِ بابِ جيادِها ... مُلِثٌّ يُصافِي تربَها، ويُصافِحُ
يَطِيرُ فؤادي، كلما لاحَ لامِعُ ... ويَنهَلُّ دمعِي كلما ناحَ صادِحُ[23]
ففي كلِّ شفرٍ من جُفونِيَ، ماتِحُ ... وفي كلِّ شطرٍ من فؤادِيَ قادِحُ
فما الماءُ، إلَّا ما تسُحُّ مَدامعِي ... ولا النارُ إلَّا ما تَجُنُّ الجَوانِحُ
خليليَّ لا طَيْفٌ لعلوَة طارقٌ ... بليْلٍ ولا وَجْهٌ لِصُبْحِيَ لائِحُ
نظرْتُ فلا ضوءٌ من الصُّبح ظاهِرٌ ... لِعَيْنِي ولا نجْمٌ إلى الغرْبِ جانِحُ
بحَقكما كفَّا الْمَلامَ وسامِحا ... فما الخِلُّ كلُّ الخِلِّ إلَّا الْمُسامِحُ
ولا تعْذِلانِي واعْذِرانِي فقلما ... يَرُدُّ عِنانِي عن عُليَّةَ ناصِحُ
كتمْتُ هَواها، ثم بَرَّحَ بي الأسَى ... وكيف أطِيقُ الكتمَ والدمعُ فاضِحُ
لِساقِيَةِ الرُّومِيِّ، عِندِي مَزِيَّة ... وإنْ رَغمَتْ تلك الرَّواسِي[24] الرَّواشِحُ
فكم لي، عليها من غدوٍّ ورَوْحَةٍ ... تساعِدنِي فيها الْمُنى والْمَنائِحُ
فطَرْفٌ على تلك البساتين سابح ... وطِرْفٌ إلى تلك المَيادِينِ جامِحُ
تحار بها الأذهانُ، وَهْيَ ثواقِبُ ... وتَهْفو بها الأحْلامُ وَهْيَ رَواجِحُ
ظِباءٌ مَغانِيها عَواطِفُ ... وطَيْرُ مَحانِيها شوادٍ صَوادِحُ
تقتِّلهم فيها عُيونٌ، نواظِر ... وتبْكِيهِمُ منها، عُيونٌ نواضِحُ
على قرْيَةِ العُبَّادِ مِنِّي تحِيَّة ... كما فاحَ من مِسْكِ اللطيمَةِ فائِحُ
وجادَ ثَرَى تاجِ الْمَعارِفِ دِيمَة ... تغصُّ بها تلك الرُّبى، والأباطِحُ
إليها[25] شُعَيبُ بنُ الحُسَيْنِ قلوبُنا ... نوازِعُ لكِنْ الجُسومُ نوازِحُ

سَعَيْتَ فما قصَّرْتَ عن نَيْلِ غايَةٍ ... فسَعْيُكَ مَشكورٌ وتَجْرُك رابحُ
نَسِيتُ وما أنسَى[26] الوَرِيطَ ووقفةً ... أنافِحُ فيها رَوْضَه وأفاوِحُ
مُطِلاً على ذاك الغدِير، وقد بَدَتْ ... لإنسانِ عَيْنِي من صَفاه طفائحُ
أماؤك أمْ دمعِي، عَشِيَّة صَدَّقتْ ... عُلَيَّة ما قال العَذولُ[27] المُكاشِحُ
لئِنْ كنتَ مَلآنا، بدَمْعِيَ طافِحًا ... فإنِّيَ سَكرانٌ بحُبِّكَ طافِحُ
وإنْ كانَ مُهْري في تِلاعِك سابحًا ... فذاك غزالِي في عُبابك سابحُ
قراحٌ أتى يَنصَبُّ من رأس شاهِقٍ ... بمِثل جَلاه، تُستَحَثُّ القرائحُ
أرَقُّ من الشوْق الذي أنا كاتِم ... وأصفى من الدمعِ الذي أنا سافحُ
أما وهوى مَن لا أسَمِّيه إنني ... لعِرضي كما قال النصيحُ لَناصِحُ[28]
أبعدَ صِيامي، واعتِكافِي وخلوَتِي ... يُقالُ فلان ضيّقُ الصَّدر، بائحُ
لبغتُ، رشادِي فيه بالغيِّ ضِلَّة ... وكم صالحٍ مِثلِي غدا وَهْوَ طالِحُ
وأيُّ مقامٍ ليْسَ لي فيه حاسدٌ ... وأيُّ مَقالٍ، ليْسَ لي فيه مادِحُ
ألا قلْ لفرسان البلاغةِ، أسْرِجوا ... فقد جاءكم مني المُكافي المُكافِحُ
أيَخمُلُ ذِكري عِندَهم وَهْوَ نابِه ... ويُغمَصُ شبحِي[29] عندهم وهْوَ شابحُ[30]
بُدورٌ، إذا جَنَّ الظلامُ كوامِلُ ... وَأسْدٌ إذا لاحَ الصَّباحُ كوالِحُ
تركتكَ سُوقَ البَزِّ لا عن تهاوُنٍ ... وكيْفَ، وظبْيِي سانِحٌ فيكَ بارِحُ
وإني وقلبي في وَلائِكَ طامِع ... وناظِرُ وَهْمِي في سِماطِكَ طامحُ
أيا أهْلَ وُدِّي والمُشِيرُ[31] مُؤَمِّنٌ ... أتُقْضَى ديونِي، أمْ غريمِيَ فالِحُ
وهَلْ ذلك الظبْيُ النصَاحِيُّ للذي ... يُقَطِّعُ من قلبي، بعَيْنيهِ ناصِحُ
كنَيْتُ بها عنه حياءً وحِشمَةً ... وَوَجْهُ اعْتِذاري في القضِيَّةِ واضِحُ[32]

وللفقيه أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري[33] الأندلسي[34]، * أحد شهود الدَّخْل والخَرْج ببابه الكريم *، أسْماه الله وخلده[35]، قوله:

قُمْ فاجْتلِ، زمَنَ الرَّبيع المُقبل ... ترَ ما يَسُرُّ المُجْتنِي والمُجتلِي

Scanned by CamScanner

وانشقْ نسيمَ الرَّوْض مَطلولاً وما   أهْداك مِن عَرْفٍ وعُرْفٍ فاقبلِ
وانظرْ إلى زهْر الرياض كأنه   دُرَرٌ على لَبَّاتِ[36] ربَّاتِ الحُلِي
في دولةٍ فاضت يداها بالندى   وقضتْ بكلِّ مُنَى، لكلِّ مُؤمِّلِ
بَسطتْ بأرجاء البسيطة عَدْلَها   وسَطتْ بكلِّ مُعانِدٍ، لم يَعْدِلِ
سُلطانها المَوْلى أبو حَمُّو الرِّضَى   ذو المَنصِبِ السامِي، الرَّفيع المُعْتلِي
تاهَتْ تلمْسانُ بدَوْلتِهِ، على   كل البلاد بحُسْن منظرها الجَلِي
راقتْ مَحاسِنها، ورَقَّ نسيمُها   فحَلا بها شِعْري وطابَ تغزُّلِي
عَرِّجْ، بِمُنعَرَجاتِ بابِ جِيَادِها   وافتحْ به، بابَ الرَّجاء المُقْفَلِ
واغدُ إلى العُبَّادِ منها، غُدْوَةً   تُضْبِحْ هُمومُ النفس عنكَ بِمَعْزِل
وضريحِ تاجِ العارفين، شُعَيْبِها   زُرْهُ هناكَ فحَبَّذا ذاكَ الوَلِي
فمَزارُهُ، للدِّينِ والدُّنيا مَعًا   تُمْحَى ذُنوبُكَ أوْ كُروبُكَ تَنْجَلِي
وبِكَهْفِها الضحَّاكِ قِفْ مُتنَزِّهًا   تسْرَحْ جفونُكَ في الجَمال الأجْمَل
وتَمَشَّ في جَنباتِها ورياضِها   واجْنحْ إلى ذاكَ الجَناحِ المُخْضَل
تُسْلِيكَ في دَوْحاتِها، وتِلاعِها   نَغَمُ البَلابل، واطِّرادُ الجَدوَل
وبِرَبْوَةِ العُشاق سلوَة عاشِقٍ   فَتَنَتْهُ ألْحاظ الغزال، الأكحَل
بنواسِمٍ وبَواسِمٍ من زَهْرِها   تهْدِيكَ أنفاسًا كعَرْفِ المَندَلِ
فلو امْرُؤ القيْس بنُ حجْر رَآءَها   قِدمًا، تسَلَّى عن مَعاهِدِ مَأسَلِ
أوْ[37] حامَ حَوْلَ فِنائها وظِبائِها   ما كان مُحْتفِلاً بحَوْمَةِ حَوْمَلِ
فاذكرْ لها كَلَفِي بسِقْطِ لِوائِها   فهَوايَ عنها الدهْرَ ليس بمُنسَلِ
كم جادَ لِي فيها الزمانُ بِمَطْلَبٍ   جادَتْهُ أخلافُ الغَمامِ، المُسْبَلِ
واغمد إلى الصَّفْصِيفِ يومًا ثانيًا   وبه تسَلَّ، وعنه دَأْبًا[38] فاسْألِ
وادٍ تَراهُ منَ الأزاهِر حالِيًا   أحْسِنْ به عُطُلاً وغيرَ مُعَطَّلِ
يَنْسابُ كالأيْمِ انسِيابًا دائمًا   أوْ كالحُسَامِ جَلاه كفُّ الصَّيْقَلِ

Scanned by CamScanner

فزُلالُه في كلِّ فمٍ قد حلا – وجمالُه في كلِّ عينٍ قد حلي
واقصد بيومٍ ثالثٍ، فوّارةً – وبعذبِ منهلِها المباركِ، فانهلِ
تجري على دُرٍّ لُجَينًا سائلاً – أحلى وأعذبَ من رحيقٍ سلسلِ
واشرفْ على الشرفِ الذي بإزائها – لترى تِلِمْسانَ العليّةَ من علِ
تاجٌ، عليه من المحاسنِ بهجةٌ – أحسِنْ بتاجٍ، بالبهاءِ مكلَّلِ
وإذا العشيّةُ شمسُها مالتْ فمِلْ – نحوَ المصلّى ميلةَ المتمهّلِ
وبملعبِ الخيلِ الفسيحِ مجالُهُ – أجِلِ النواظرَ، في العتاقِ الحُفَّلِ
فلِحلبةِ الأفراس، كلَّ عشيّةٍ – لعِبٌ بذاكَ الملعبِ المتسهّلِ
فترى المجلّي والمصلّي خلفَهُ – وكلاهما، في جَرْيِهِ لا يأتلي
هذا يكرُّ وذا يفرُّ فينثني – عطفًا على الثاني عنانُ الأوّلِ
من كلِّ طِرْفٍ كلُّ طَرْفٍ يَستبي – قيدَ النواظرِ، فتنةِ المتأمّلِ[39]
وَرْدٍ كأنَّ أديمَهُ شفقُ الدجى – أوْ أشهبٍ كشهابِ رجمٍ مُرسَلِ
أوْ من كميتٍ، لا نظيرَ لِحُسنِهِ – سامٍ مُعِمٍّ في السّوابقِ مُخْوِلِ[40]
أوْ أحمرٍ، قاني الأديمِ كعسجدٍ – أوْ أشقرٍ يُزهي بعُرْفٍ أشعلِ
أوْ أدهمٍ كالليلِ إلّا غُرّةً – كالصُّبحِ بُورِكَ مِن أغرَّ مُحجَّلِ
جمعَ المحاسنَ في بديعِ شِيَاتِهِ – مهما ترقَّ العينُ فيه تسهّلِ[41]
عُقبانُ خيلٍ فوقها فرسانُها – كالأسدِ تنقضُّ انقضاضَ الأجدلِ
فرسانُ عبدِ الوادِ آسادُ الوغى – حامُو الذّمارِ أولو الفخارِ الأطولِ
فإذا دنتْ شمسُ الأصيلِ لغربها – فإلى تلمسانَ الأصيلةِ فادخلِ
مِن بابِ ملعبِها لبابِ حديدِها[42] – مُتنزّهًا في كلِّ حفلٍ أحفلِ
وتأنَّ، من بعدِ الدخولِ هُنيْهَةً – واعدلْ إلى قصرِ الإمامِ، الأعدلِ
فهْوَ المؤمّلُ والديارُ كِنايةٌ – والسّرُّ في السّكّانِ لا في المنزلِ
وإذا أميرَ المؤمنينَ، رأيتَهُ – فالثمْ ثرى ذاكَ البساطِ وقبّلِ

Scanned by CamScanner

حَسْبُ المَفاخِر ذلك الحَسَبُ الذي ... أَضْحَى لدَيْهِ المَجْدُ جدُّ مُؤثَّلِ
فالمَجْد لفظ في الحَقِيقةِ مُجْمَلٌ ... وحُلاهُ، تفصِيلٌ لِذاكَ المُجْمَلِ
بُشْرَى لعبدِ الوادِ بالمَلِكِ الذي ... خلصُوا به من كلِّ خَطبٍ مُعْضِلِ
بأعَزِّهِمْ جارًا وأمْنعِهِمْ حِمًى ... وأجَلِّهِمْ مَوْلًى وأعْظمِ مَوْئِلِ
بالعادِلِ المُسْتنصِرِ المَنصُورِ ... والمَأمُون والمَهْدِيّ، والْمُتَوَكِّلِ
وكفى الورى[43] سَعدًا أبو حَمُّو الذِي ... يَحْمِي حِماهم بالحُسَامِ الفيْصَلِ
وبِحُسْنِ نِيَّتِهِ لَهُمْ، وبِجِدِّهِ ... وبِسَعْدِهِ وبِسَعْيِهِ المُتقبَّلِ
ذو الْهِمَّةِ العُلْيَا، التِي آثارُها ... حَلَّتْ به، فوقَ السِّماكِ الأعْزَلِ
بَحْرُ الندى الأحْلى وفخرُ الْمُنتدى ... وسَنا الدجَى الأجْلى وزَيْنُ الْمَحْفلِ
يَنهَلُّ منه لنا الْجَدَا وبه الدجَى ... تُجْلى بِمُشْرِقِ وَجْهِهِ، الْمُتَهَلِّلِ
هَنِّئْ به زَمَنَ الرَّبيعِ، وقلْ له ... بُشْرَى بأمْلح مَنْ حَلاكَ وأجْمَلِ
وعلى عُلاهُ مِن صَنِيعَةِ فضْلِهِ ... تزْدادُ نافِحَةِ السَّلامِ الأكمَلِ[44]

وللشيخ[45] الطبيب أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة التلالِسِي، أحَدِ أطِبَّاء الحَضْرَةِ العَلِيَّة:

سَقى الله مِن صَوْبِ الحَيا هاطِلاً وَبْلَا ... رُبوعَ تِلِمْسانَ التي قدرُها اسْتَعْلى
رُبوعٌ بِها كانَ الشبابُ مُصاحِبِي ... جَرَرْتُ إلى اللذاتِ في دارها الذيْلَا
فكَمْ نِلتُ فيها، مِن أمانٍ قَصِيَّةٍ ... وكمْ مَنحَ الدهْرُ الضَّنِينُ بها النيْلا[46]
وكمْ غازلتِنِي الغِيدُ فيها، تدَلُّلاً[47] ... وكلُّ عَذولٍ، لا أطِيعُ له قوْلا
وكمْ ليْلةٍ بتنا على رَغمِ حاسِدٍ ... نديرُ كؤوسَ الوَصْلِ إذ بالصَّفا تُمْلَا
وكمْ ليْلةٍ بتنا بصَفصِيفِها الذِي ... تسامَى على الأنهار إذ عدم الْمِثْلَا
وكديَة عُشاقٍ، لَها الحُسْنُ منتهَى[48] ... يَعود المُسِنُّ[49] الشيْخُ، من حُسْنِها طِفلَا
نعَمْ وغدِيرُ الجَوْزَة السالِبُ الحِجَى ... نعمْتُ به طِفلاً وطِبْتُ[50] به كهْلَا
ومنه ومن عَيْنِ امّ يَحْيَى شرابُنا ... لأنهما في الطيب كالنِّيلِ بَلْ أحْلى

Scanned by CamScanner

وعُبَّادُها، ما القلبُ ناسٍ ذمامَه ... به رَوْضَة للخيرِ قد جعلتْ حلَّا
بها شيخنا المشهورُ في الأرضِ ذِكرُهُ ... أبو مَدْيَن، أهلاً به دائمًا أهلا
لَها بَهْجَة تُزْرِي على كلِّ بلدَةٍ ... بتاجٍ عليها[51] كالعَروسِ إذا تُجْلى
فيا جَنَّةَ الدنيا التي راقَ حُسْنها ... فحازَتْ على كلِّ البلادِ به الفضلَا
ولا عَجَبٌ أنْ كنتِ في الحُسْن هكذا ... وموسى الإمام المرتضى فِيكِ قدحَلَّا
ولاحَتْ لدينا، فيكِ منه مَحاسِن[52] ... كأنَّ سَناها حاجبُ الشمسِ أوْ أجْلَى
مُطاعٌ شجاعٌ في الوَغى ذو مَهابةٍ ... حُسامٌ على الباغين في الأرض قد سُلَّا
كريمٌ حَلِيمٌ، حاتِمِيٌّ نوالهُ ... سَعِيدٌ حَمِيدٌ يَصْدُقُ القوْلَ والفِعْلَا
له راحة كالغَيْثِ، يَنهَلُّ وَدْقها ... وصارِمُ نصْرٍ مُرْهَفُ الحَدِّ لَا فُلَّا
هو المَلِكُ الأرْقى هو المَلِكُ الرِّضَى ... هو المَلِك الأسنى هو المَلِك الأعْلى
ومَنْ هذه الأوْصافُ فيه تجَمَّعَتْ ... حقيقًا على كلِّ المَعَالي قد اسْتوْلى
إمَامٌ حَباهُ الله مُلكًا مُؤزَّرًا ... فلا مَلِكٌ إلَّا لِعِزَّتِهِ ذلَّا
مِنَ الزَّابِ، وافانا عَزيزًا مُظفرًا ... يَجُرُّ من النصْر الْمَنوطِ به، ذيْلا
بَدَتْ لِمَلِيكِ الغَرْبِ شِدَّةُ بَأسِهِ ... وإنعَامُهُ للمُعْتفِينَ وما أوْلَى
فبادَرَهُ بالصُّلحِ خوْفَ فَواتِهِ ... وسَالَمَهُ إذ كانَ ذاكَ به أوْلَى
فكان بحَمْدِ الله صُلحًا مُهَنَّأً ... به طابَتِ الدنيَا وجُزْنا به السُّبْلَا
له في الْمَعَالي رُتبَة، لا ينالها ... سِواهُ، وكُتْبٌ في فضَائِلِهِ تُتْلَى
لِطاعَتِهِ، كلُّ الأنامِ تبادَرُوا[53] ... فيا سَعْدَ مَنْ وافى، ويا وَيْحَ مَنْ وَلَّى
أحُسَّادَهُ مُوتوا فإنَّ قلوبَكمْ ... بِجَمْرِ الغَضَا، مِمَّا بِها أبَدًا تُصْلَى
لقد جَبَرَ الله البلادَ، بِمُلكِهِ ... به مُلِئتْ أمْنًا به مُلِئتْ عَدْلَا
فلا زالَ هذا المُلكُ فيهِ مُخَلدًا ... وصارِمَهُ الأمْضى وخادِمَه الأعْلى[54]

قلتُ: وأنا أنشِد ساكِنها قولَ ابن خَفاجَة لاستِحْقاقِها إياه عندي:

ما جَنَّةُ الخُلْدِ إلَّا في دِيارِكُمْ[55] ... وهَذِهِ كُنْتُ لو خُيِّرْتُ أخْتارُ[56]

Scanned by CamScanner

لا تـتقوا بعـدها أنْ تدخلـوا سَـقَرَا   فلـيْسَ تُـدْخَلُ، بعـد الجَـنَّةِ الـنارُ

وتوسَّطتْ قطرًا ذا كُوَرٍ عديدة، تغمُرُها أمْشاجُ البربر والعرب، مُريعة الجَنبات، مُنجبَة للحيوان والنبات، كـريمة الفلـح، زاكِيَة الإصـابَة. فـربَّما انـتهَتْ فـي الـزوْجِ الواحِد[57] بِمَلاتَه منها إلى أرْبَعِمِئةِ مُدٍّ كبير، وهـو سِتون بَرْشالة، زِنتها ثلاثة عَشَرَ رِطلاً، مـن البُـرِّ، سِـوى الـشعير والـباقِلاء، حـسْبَما تـضَمَّنَ ذلـك رَسْـمُ سـنة ثمانٍ وخمسين وسبعِمِئة.

ولها خمسة أبواب: قِبْلةً باب الجياد، وشرْقًا باب العقبَة، وشمالاً باب الحلوي [وباب] القرْمَدِين، وغـرْبًا بـاب كَشُّوطَة[58]. وهـي مؤتلِفة من مَدِينتَيْن ضـمَّهما الآنَ سُورٌ واحد، إحْداهما أوَّلِيَّة، يُقـالُ إنَّ بها جدارُ الخضر عليه السلام، وأنَّ سَحَرَتَها مِمَّنْ نادَى فِرْعَوْنُ القِبْط.

وأخبَرَنـي الـشيْخ أبـو الحـسن الْمَيُوزقِـيّ، مـن أعْـيان الـبلد، عـن الفقـيه أبـي عـبد الله محمـد ابـن الـشيخ الـصالح أبـي العـباس أحمـد ابـن مَـرْزوق[59] [التلمـساني]، قـال: حادثـتُ يـومًا فقـيهًا مُـشارًا إلـيه بالخيـر بالقاهـرة فـي شـأن الـبلاد، إلـى أن انتهـى [بنا] الحـديث إلـى تلمـسان. فاسْـتخْرَجَ المذكـورُ مـن داره ديـوانًا تواريخِـيا، يقـول فـيه بـأنَّ مديـنة عظـيمة بالمغرب الأقـصى، نـزلها نبيُّ الله سـليمان بـن داود علـيهما الـسلام، وأقـام بهـا شـهرًا. وحدثنـي أيـضًا، قـال: سـمعتُ مـن معمِّـري أشـياخِنا أن ممَّـن اجـتاز بهـا مـن صـحابة رسـول الله صـلى الله علـيه وسـلم المُنـذِر الإفريقـي[60] المذكـور فـي اسـتيعاب ابـن عـبد البَـرّ[61]. وتعْـرَفُ بأجادِيـر. قـال فـيها أبـو عُبَيْد فـي مَـسالِكِهِ[62]: " مدِيـنة فـي سَـفحِ جَـبَلٍ ذي جَـوْزٍ، أبْـوابُها خمـسة، ثلاثـة قِـبْلة، بـاب الحمـام وبـاب وَهْـب وبـاب الخـوخة، وواحِـد شـرْقًا، هـو بـابُ العَقـبَة، وواحِـد غـرْبًا، يُنـسَبُ إلـى أبـي قـرَّة. وبهـا آثـارٌ عادِيـة، وكـنائسُ حـتى الآن بالنـصارى مَغـمورة. وكثيـرًا مـا يـوجَد بهـا الـرِّكاز. ومـاؤهـا مَجْلـوبٌ مـن عَـيْن لـوْرِيط، علـى قـيْدِ سـتة[63] أمْـيال.

ويُجاوِرُها وادي اضطفصِيف[64] المُنْصَبُّ من شاهِقِها، عليه مَدارُ أرْحائها.

Scanned by CamScanner

هي قاعدة المغرب ودارُ مَمْلكةِ زَناتة ومَحَلُّ العُلماء والمحدِّثين والصلحاء، نزلها سليمان بن عبد الله بن حسن [بن الحسن] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومَلَكَها مِن ولدِهِ أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان"[65]، وذكرها صاحب "جغرافيا"[66]، فقال: دار مُلك قديمة البناء، طيِّبة الهواء، كثيرة الفواكه والزرع، ذات عيون غزيرة، وأعمال متعددة، باردة الْمَشْتَى لكثرة ثلجها، وأهلها موسومون بالخير من قبائل حاوَزَتْها[67]. انتهى كلامهما.

والأخرى[68] تُعْرَفُ بتاجْرَارت، بناها مَلِكُ لَمْتونة يوسف بنُ تاشفين في حدود اثنَيْن وستين وأربعمئة بمكان مَحَلَّته، ولذلك سُمِّيَتْ باسم تاجرارت، فإنه اسم المحلة بلسان زناتة. وابْتَدأ [بناءَ] سورها السيدُ موسى بن يوسف العَشرِي ابن عبد المؤمن بن علي سنة ست وستين (وخمسمئة). وكمَّله وحَصَّنه السيد أبو الحسن ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن في حدود إحدى وثمانين، عند استيلاء أولاد غانية على بجاية والجزائر والْمَدِيَّة، لتوقعِهِ الخوفَ منهم. ثم جلاهم من البلاد السيد أبو زيد بن يوسف العَشرِيّ بن عبد المؤمن بن علي، أرْسَله إليهم أخوه يعقوب المنصور.

وهي الآنَ أكبرُ وأشهر من الأولى، والجامعُ الأعظم وقصورُ المُلك ونفِيسُ العَقار بها، والناسُ إليها أمْيَلُ وبها أشَدُّ عِناية. ويَغمر كلتيْهِما [من البَشر] ناسٌ أخيار، أولو حَياء [ووَقار]، ووَفاء بالعهد، وعفافٍ ودين، واقتصاد في الْمَعاش والملباس والسكنى، على هَدْيِ السَّلَف الصالح رضي الله عنه، غالِبُ تكسُّبهم الفلاحة وحَوْكُ الصوف، يتغايَوْنَ في عَمَل أثوابه الرِّقاق، فتلقى الكِساءَ أو البرْنس عندهم من ثماني أواقٍ، والأحرامَ من خمْسٍ، بذلك عُرِفوا في القديم والحديث[69]، ومن لَدُنْهم يُجلَبُ إلى الأمصار شرقًا وغربًا[70]. ومع ذلك فهم معْدن العلماء الأعلام والأولياء المشاهير، نجابة في الدرس والعبادة، تشهد بذلك المزارات المحجوجة من الأقطار النائية، خارج بلدهم، فالأخبار المتواترة على لسان الخاص والعام.

Scanned by CamScanner

وها أنا أذكر هنا مَنْ أنجَبَته على الإطلاق، وإن اشتهر وارتقى الرُّتب العلية[71] ومات بِها أو بغيْرِها، ثم مَنْ أكرمَها الله به فنزلَها[72] وماتَ بِها، على نسَق، وإنْ كانوا لا يُحْصَوْنَ عددًا، تبرُّكًا بأسمائهم، حَسَبَ[73] الوَسْعِ وتشريفًا لهذا التأليف بأخبارهم، وبالله العَوْن.

---

(1) ورد هذا الحديث بهذه الرواية عند بعض المؤرخين المغاربة. راجع: عبد الواحد المراكشي، م. س.، ص 15، 188؛ ابن الزيات التادلي، م. س.، ص 1 – 2؛ ابن عذاري، م. س.، ج 1، ص 6 – 8؛ الدباغ، معالم الإيمان، ص 4؛ أبو حمو موسى العبد الوادي، م. س.، ص 166، س 15 – 17؛ ابن أبي دينار، م. س.، ص 20؛ أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص 62 – 64؛ المالكي، رياض النفوس، ترجمة إدريس (إلى الفرنسية) في مجلة Revue des Etudes Islamiques, XXXVII, 1969, fasc. 1, p. 119.

(2) يعني الميم من كلمة المغرب.

(3) ز، ش، ع: المروزي. والصحيح هو ما أثبتناه (الهروي)، اعتمادًا على المخطوطات س، ر، ل. والهروي هذا هو عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف الهروي، الذي عاش في القرن الخامس هـ، وهو من علماء الحديث. انظر: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج 1، ص 565.

(4) ز، ع – : في معجمه. ويشير المؤلف هنا إلى كتاب الهَرَوِيّ الذي يحمل عنوان " المعجم في مشتبه أسامي المحدثين ". انظر: فؤاد سزكين، م. س.، ص 565.

(5) هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي، المتوفى سنة 276 هـ انظر: سزكين، م. س.، ص 289 – 290؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 1، رقم 280، ص 116 – 119؛ الحميدي، جذوة المقتبس، رقم 331، ص 177 – 179؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، رقم 283، ص 91 – 93؛ الضبي، بغية الملتمس، رقم 584، ص 245 – 247؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 3، ص 201 – 202؛ الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 33؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 3، ص 53 – 54.

(6) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، المتوفى سنة 385 هـ. راجع: فؤاد سزكين، م. س.، ص 509 – 516؛ بروكلمان، م. س.، ج 3، ص 210 – 212؛ الزركلي، م. س.، ج 5، ص 130؛ كحالة، م. س.، ج 7، ص 157 – 158.

(7) أي كتاب الفوائد للدارقطني.

(8) لعل المؤلف يقصد عبيد الله الهروي المذكور سابقًا.

(9) س: المغاز. والمغار يعني: الغارة.

Scanned by CamScanner

(10) ر، ل: سبب.

(11) ر، ل، ز، ش، ع ؛: بمصر.

(12) ورد ذكر هذا الحديث في طبقات المشائخ بالمغرب لأبي العباس الدرجيني، ج 1، ص 17.

(13) هنا يبتدئ نص النسختين المبتورتين ب، ح.

(14) كذا في س وفي نفح الطيب. وفي ز، ش، ع: تلمسان؛ ح، ر، ل: تلمسين.

(15) ز، ش، ع: سان؛ ر، ل، ب، ح: سين.

(16) عن أصل كلمة تلمسان، انظر أيضًا: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 156 - 157.

(17) عن الأبلي، انظر، فيما قبل، ص 22 - 25.

(18) وفي ز، ش، ع: عارفًا.

(19) ز، ش، ع: زاهرة.

(20) هذه الفقرة ساقطة في ر، ل، ح، ق، ب.

(21) وفي ر، ل، ش، ع: الشيخ الصوفي الأعرف.

(22) عن الشاعر ابن خميس، انظر، فيما بعد، ص 150 - 155.

(23) سقطت بقية القصيدة في ز، ش، ج، ط، وكذلك القصيدتان التاليتان، وعوّض هذا النقص بالجملة التالية: اختصرنا ذكر الأشعار فإنها كثيرة.

(24) س: المراسي؛ ع: الروابي. والرواسي هي: الجبال الثوابت الرواسخ.

(25) ر، ل، ع: إليك.

(26) ع: وإن أنس لا أنسى.

(27) ر، ل، ع، نفح الطيب: علية فينا ما يقول.

(28) كذا في ر، ل، ع، نفح الطيب. وفي س: لا هوى كما قال النصيح المناصح.

(29) نفح الطيب: شجوي. والشبح يعني: الشخص.

(30) نفح الطيب: شائح. وشابح يعني: ظاهر.

(31) نفح الطيب: والعشير.

(32) وردت هذه القصيدة في نفح الطيب، ج 9، ص 338 - 340.

(33) ر، ل، ع: القيسي.

(34) عن الثغري انظر، فيما قبل، ص 65، هامش 2.

(35) ر، ل، ع: لطف الله به.

(36) س: لباب. واللبة هي: موضع القلادة من الصدر.

(37) وفي ر، ل، ع، نفح الطيب: لو.

(38) س: يومًا.

(39) وفي س: سام معم في السوابق مخول.

Scanned by CamScanner

(40) س: مهما ترق العين فيه تسهل.

(41) س: قيد النواظر فتنة المتأمل.

(42) كذا في ر، ل، ع، نفح الطيب؛ وفي س: لباب جيادها.

(43) ر، ل، ع، نفح الطيب: وكفاهم.

(44) وردت هذه القصيدة في نفح الطيب، ج 9، ص 332 - 335.

(45) ر، ل، ع: وللحاج.

(46) كذا في ر، ل، نفح الطيب؛ وفي س: مصعبة والدهر يمنحني النيلا.

(47) وفي ر، ل، ع، نفح الطيب: تلاعبا.

(48) ر، ل، ع، نفح الطيب: ينتهي.

(49) كذا في ر، ل، ع، نفح الطيب؛ وفي س: الهريم.

(50) وفي ر، ل، ع، نفح الطيب: وهمت.

(51) ع: علاها.

(52) كذا في ر، ل، ع، نفح الطيب؛ وفي س: به فيك قد لاحت لدينا محاسن.

(53) ر، ل، ع، نفح الطيب: تبادرت.

(54) وردت هذه القصيدة في نفح الطيب، ج 9، ص 336 - 337.

(55) كذا في جميع نسخ "بغية الرواد" وفي ديوان ابن خفاجة؛ وفي ع، نقلاً عن نفح الطيب: منازلكم.

(56) وفي الديوان: ولو تخيرت هذا كنت أختار.

(57) ر، ل، ع، نفح الطيب: الواحدة؛ والزوج يعني: المساحة التي يحرثها ثوران في يوم واحد.

(58) ز، ش: قشوط؛ ع: كشوط (وقد يدل هذا الاختلاف في الحرف الأول من الكلمة على أنه كان ينطق به جيمًا مصرية).

(59) عن أبي عبد الله ابن مرزوق الخطيب، انظر، فيما بعد، ص 160.

(60) عن المنذر الإفريقي، راجع: نفح الطيب، ج 1، ص 261، وج 4، ص 4 - 5.

(61) عن ابن عبد البر أبي يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، المتوفى سنة 463/1070، انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 677 - 679؛ المقري، نفح الطيب، ج 5، ص 172 - 173؛ Ch. Pellat, art. Ibn abd al - Barr, E. I. 2, III, pp. 695 - 696.

(62) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، المتوفى سنة 487 / 1094، مؤلف كتاب المسالك والممالك. انظر: ابن بشكوال، م. س.، ج 1، ص 287؛ أبو عبيد البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 17 - 74؛ E. Lévi - Provençal, art. Al - Bakri, E. I. 2, I, pp. 159 - 61.

(63) وفي ز، ش، ج، ط: خمسة.

Scanned by CamScanner

(64) في ر: صطفصيف؛ وفي ع: صطفطيف؛ وفي المسالك والممالك للبكري: سطفسيف؛ وفي ل: صفصيف؛ وفي ز، ش، ج، ط، ق: الصفصيف. والجدير بالملاحظة أن النطق المَحَلِّي هو: الصفصيف؛ ومما يؤيد ذلك ما ورد في قصيدة الثغري، فيما قبل، ص 127، س 13.

(65) قارن بين ما أورده يحيى بن خلدون عن البكري، وبين الأصل، نشرة دي سلان، ص 76 - 77.

(66) ش، ع: الجغرافية. و" جعرافيا " هو عنوان كتاب الزهري محمد بن أبي بكر، المتوفى بعد سنة 532 / 1137. وقد نشره حاج صادق في مَجلة الدراسات الشرقية، التي يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق، سنة 1968، ص 7 - 312. راجع: كحالة، م. س.، ج 9، ص 110؛ Brockelmann, G. A. L., I, p. 628, sup. I, p. 876.

(67) ر، ل، ز، ش، ع: جاورتها.

(68) ر، ل، ز، ش، ع: والثانية.

(69) ل، ز، ش، ع: والحادث.

(70) عن هذه الأخبار حول الحياة الاقتصادية، راجع: الزهري، كتاب الجعرافية، ص 194.

(71) ز، ش، ع: العالية.

(72) ز، ش، ع: فتنزل بها.

(73) ز، ش، ع: بحسب.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني
في تعداد مَنْ انجبته تلمسان او استقرّ بها
من العلماء والصالحين

فمِمَّنْ أنجَبَته:

(1. أبو زكريا بن يوغان)

الشيخ الولي أميرُها أبو زكريا يحيى بن يوغان الصنهاجي[1]، تاب على يد الشيخ أبي محمد عبد السلام التونسي، فأمره بقتل نفسِهِ على طريقة القوم، بأنْ يَحمِلَ الحطب على ظهره، ويَخطرَ به على مَواقف عِزِّهِ وجماهير خدَمِهِ، ففعل وباعه وجاء الشيخَ بثمَنِهِ. فقال له: أنت الآنَ أحَقُّ بالدعاء لي مني لكَ، لِخروجك من الدنيا عَمَّا لم أخرُجْ عنه. فترهَّب بعد ذلك، ولحِقَ بأولِياءِ الله المُستسقى بهم الغَيث. ثم ساحَ بعد موتِ شيخه بالبَرِّيَّةِ، يَرْعَى شارفيْن له ويَقتاتُ لبَنهما.

ثم رأى شيخه في عالم النوم فقال له: يا يحيى، هَجَرْتنا فلم تزرْنا. فأيْقن بقرب الأجَل وأنَّ الله تعالى قضاه له بتلمسان. فعادَ إليها ومات لانقِضاءِ شهرَيْن من رجوعِهِ، رَحْمَةُ الله عليه، سنة سبعٍ وثلاثين وخمسِمئة، فدُفِنَ إزاءَ شيخِهِ بالعُبّاد[2].

(2. أبو الحسن بن أبي قنون)

وأبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون[3]، روى عن أبي الحسن شرَيْح[4] وأبي عبد الله أحمد الخَوْلاني[5] وأبي علي الصَّدَفِيّ[6] وأبي عِمْران ابن أبي تلِيد[7]. ورَوَى عنه أبو الحسن بن محمد بن خيار[8] وأبو الخطاب بن الجُمَيل[9] وأبو طالب بن عقيل بن عطية[10] وأبو عبد الله بن عبد الحق وأبو محمد قاسم بن الحشا. وكان متبحِّرًا في الفقه، محققًا لأصوله. وله تواليف كثيرة أنبَلها المقتضَب الأشفى في اختصار المُستَصْفَى. وكان سَريَّ الهِمَّة، كثير المعروف، خيِّرًا فاضِلاً، وُلِيَ قضاءَ الجماعة[11] بعد أبي يوسف بن حجّاج، فعدل وأحسن السِّيرة. وتوفيَ سنة سبعٍ وخمسين وخمسِمئة.

Scanned by CamScanner

(3. أبو الحسن ابن عِمران)

وعلي بن عيسى بن عِمْران بن دافال الوَرْزَدَمِيشي[12]، منسوب إلى قبيلٍ تجاوزَ تازا؛ سكنَ مراكش. قال ابن الأنباري المكناسي فيه: رَوَى أبو الحسن عن أبيه، ورَوَى عنه أبو الربيع وأبو العباس بن علي السَّبْتي القنطري. وكان فقيهًا سَريًّا فاضِلاً. وُلِيَ القضاءَ بفاس وغيرها، ومات سنة أربع وتسعين وخمسمئة.

(4. أبو الحسن القلي)

وعلي بن يحيى بن سَعْد بن مسعود بن سَهْل الأنصاري، أبو الحسن القلّيّ، سكن إشبيليَة ومرَّاكش وغيرهما من بلاد العدوَتين. رَوَى عن أبي الحسَن ابن أبي قنون، وأبي عبد الله التُّجيبي[13]. وكان فقيهًا أديبًا، حسَن الخط مغربيّهِ ومَشرقيّهِ. وأقرَأ بجامع قرطبة زمانًا، وله مختصَر الإشرافِ ابن المنذِر[14]. أنشد له أبو علي التُّجِيبيّ:

ورائِعَـــةٍ للـــشَيْبِ راعَ طلـــوعُها فأنزلتها بالقَصِّ في الْمَنْزِل الأقْصَى

فـنادى لِـسانُ الحـال مَهْـلاً فإنهـا بَـريدٌ لِجَمْـعٍ خَلْفَهـا جاءَ لا يُحْصَى

(5. أبو موسى الأوْرَبي)

وأبو موسى عيسى بن حمَّاد بن محمد الأوربي. رَوَى بالأندلس عن أبي علي الصدفي. وكان من أهل الضبْطِ والإتقان، والزهد والدين الْمَتِين.

(6. أبو موسى ابن عِمْران)

وأبو موسى عيسى بن عِمْران بن دافال [المكناسي] الوردميشي[15]، سَكَن مراكش وغيرها. ورَوَى عن أبي علي الْحسن بن عبد الله ابن الخرَّاز[16] وغيره. ودخل إلى الأندلس طالبًا للعلم، فأخذ بالْمَريَّة عن أبي القاسم بن وَرْد[17] واختصَّ به. ولقِيَ بأغمات وريكة القاضي أبا محمد سِبْط ابن عبد البَرّ[18]، فسمع منه ومن أبي يوسف حجاج بن يوسف[19] بمراكش. رَوَى عنه أبو الخطاب ابن الجميل وأبو عبد الله بن علي ابن مروان، وأبو علي الحسن بن حجَّاج[20]. وكان من رجال الجلال فقيهًا حافظًا قائمًا على الفقه وأصوله، خطيبًا مِصْقعًا، مستبحرًا في الأدب.

Scanned by CamScanner

وله قصيدة شهيرة في الوصايا والحِكم. وُلِّيَ القضاءَ بإشبيلِيَة ثم بمراكش، فعَدَلَ وأحْسَن السيرة. وتوفيَ بِها لِخَمْس بَقِينَ من شعبان سنة ثَمان وسبعين وخمسمئة.

(7. أبو موسى ابن تامحَجلت)

وعيسى بن يوسف بن أبي بكر الصنهاجي أبو موسى ابن تامحجلت. رَوَى عن أبي عبد الله التجيبي وأبي عبد الله بن عبد الحق. وكان ذا حظ نبيهٍ في الرواية والأدب والكتابة وقرض الشعر، جيِّد الْخَطِّ ضابطًا. كتبَ عن أبي زيْد [بن يوجان[21] ثم ابنه محمد[22] ثم عن مَلِكِ الأندلس السلطان أبي عبد الله محمد] بن يوسف بن نصر. وتوفي بمراكش سنة إحدى وأربعين وستمئة.

(8. أبو عبد الله ابن الحَجَّام)

ومحمد بن أحمد بن محمد اللخمي، أبو عبد الله ابن الحجام[23]، لقبٌ لأبيه. مولده بتلمسان سنة ثمان وخمسين وخمسمئة. قرأ السبع على أبي العباس الأعرج، وأخذ العلم بفاس عن أبي الحجاج بن عبد الصمد بن نَمْوي[24] وأبي القاسم بن يوسف ابن زانيف[25]، واختصَّ بصحبة أبي زيد الفازازي[26]. رَوَى عنه ابنه أبو محمد[27] وأبو زكريا بن محمد بن طفَيْل. وكان فاضلاً صالِحًا زاهدًا ذا حَظٍّ في الأدب والشعر نبيل، واعظ أهل زمانه، حُسْنَ صَوْتٍ وغزارةَ حِفْظٍ، يحفظ من سَمْعَةٍ واحدةٍ كلَّ ما يطرق أذنه.

استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف العسري ابن عبد المومن بن علي إلى مراكش، فاستوطنها وحظِيَ عند ملوكها (الْمنصور) والناصر والمستنصر[28]. وكان يتصدق بما يحسنون به إليه، ويجهِّز منه ضعيفات البنات. وله في الوعظ كتاب أسماه حجة الحافظين ومحجة الواعظين، اختصره بعده أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طفيل في سِفرٍ واحد أسماه مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار. ومِمَّا يُؤثَر من نظمه في التصوف قوله:

غـريبُ الوصــف ذو عِلــمٍ غـريبِ ... عَلـيلُ القلـب مِـنْ حُـبِّ الحَبـيبِ
إذا مــا اللــيلُ أظلــمَ قــامَ يَبْكِـي ... ويَـشكو مـا يُكِـنُّ مـن الوَجـيبِ[29]

يُقطِّـــعُ لـــيْله فِكـــرًا وذِكـــرًا ويـــنطِقُ فـــيه بالعجَـــبِ العَجـــيبِ
بـــه، مِـــنْ حُـــبِّ سَـــيِّدِهِ غـــرامٌ يَجـــلُّ عـــن التطـــبُّبِ والطَّبـــيبِ
ومَـــنْ يَـــكُ هكـــذا عَـــبْدًا، مُحِـــبًّا يَطِـــيبُ تـــرابُهُ مـــن غيـــر طِـــيبِ

وكان كثيرًا ما تنفعل لوعظه القلوب. حكى الشيخ أبو القاسم البَلوي، قال: حضرته يَعِظ الناسَ فوق منبرٍ في الجامع الأعظم من إشبيلِيَة ويَنْدُبُهم لِفِداءِ أَسْرَى، فرأيتُ الثيابَ تنثالُ لديْهِ حتى لكادت تَحْجُبه عن الأبصار. وتوفيَ بَصِيرًا بمراكش يومَ الجمُعة لأرْبَعَ عشرَة ليلةٍ بَقِيَتْ من شعبان سنة أربع عشرة وستمئة.

(9. محمد بن إبراهيم الغسَّاني)

ومحمد بن إبراهيم الغسَّاني[30]. أخذ ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التُّجيبي وابن عبد الحق وغيرهما، وبسبتة عن أبي العباس أحمد العَزَفي[31]، وبإشبيلية عن أبي بكر بن طلحة[32] وأبي علي الشَّلوبين[33]، واستوطن أسَفي من بلاد المغرب. وكان ذا حظ حَسَن، عَدْلاً في رواية الحديث، ضابطًا للغة، ذاكرًا بالأدب والتاريخ، عالِمًا بالأنساب، مشاركًا في الفقه، ضاربًا في قرْض الشعر بحظ وافر، يحترف بالتجارة في حانوت بقَيْسَرِيَّة أسفي. وكان مع ذلك متين الدين، منقبضًا عن مخالطة الرؤساء. توفيَ يومَ الأربعاء لليلتَيْن بَقِيَتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمئة، فاتبعه الناس ثناء جميلاً، رحمة الله [تعالى] عليه.

(10. أبو العيش بن عبد الرحيم الخزْرَجي)

ومحمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الخزرجي، أبو العيش[34]، إشبيلي الأصل. رَوَى ببلدِهِ عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة[35] [وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي]، وأبي عبد الله بن عبد الحق، وأبي محمد بن حَوْط الله[36]. وكان رحمه الله أديبًا بارع الكتابة، شاعرًا مجيدًا، رائقَ الخط، ذا مُشاركات في فنون العلم، مؤلفًا متقِنًا، فسَّرَ الكتابَ العزيز، وشرَحَ الأسماء الحسنى، وصنَّف عقائدَ أصولية في الدين، وكتبًا في أصول الفقه. وله في التصوف نظم كثير، [في الزهد وسُبُل الخير والوعظ وتَنْزِيه الباري سبحانه وتعالى].

Scanned by CamScanner

فمنه قوله رحمه الله:

الله قلْ وذَرِ[37] الوجودَ وما حَوَى … إنْ كنتَ مُرْتادًا بُلوغَ كَمالِ
فالكلُّ دونَ اللهِ إنْ حَقَّقْتَهُ … عَدَمٌ، على التفصيلِ والإجمالِ
واعلمْ بأنكَ، والعَوالِمَ كلها … لولاه في مَحْوٍ، وفي اضمِحلالِ
فالعارفون فَنَوْا ولَمَّا يَشْهَدوا … شيئًا، سِوَى الْمُتَكبِّرِ الْمُتعالِ
ورأوْا سِواهُ على الحقيقةِ هالِكًا … في الحالِ، والماضي والاستِقبالِ
مَنْ لا وجودَ لذاتِهِ، مِنْ ذاتِهِ … فوجودُه لولاهُ، عَيْنُ[38] مُحالِ
فالْمَحْ بطَرْفِكَ أوْ بعَقلِكَ هلْ تَرَى … شيئًا سِوى فِعْلٍ مِنَ الأفعالِ
وانظرْ إلى أعْلى الوجودِ وسفلِهِ … نظَرًا تُؤيِّدُهُ بالاستِدلالِ
تجد الجميعَ، يُشيرُ نحوَ جلالِهِ … بلِسانِ حالٍ، أوْ لِسانِ مَقالِ
هوَ مُمْسِكُ الأشياءِ مِنْ عُلوٍ إلى … سُفلٍ ومُبْدِعُها مِن غيرِ مِثالِ
وَجَبَ الوجودُ لِذاتِهِ، وصِفاتِهِ … فرْدًا عنِ الأكفاءِ، والأمثالِ
فاسْكنْ إليه بهِمَّةٍ عُلوِيَّةٍ … مُتَنَزِّهًا عَمَّا سِوَى الفعَّالِ
يَبْقى وكلٌّ يَضْمَحِلُّ وُجودُهُ … ما واجِبٌ، كمُقيَّدٍ بزَوالِ
وهو الذي يُرْجَى ويُخْشَى لا تَلُذْ … بسِواهُ، في حالٍ مِنَ الأحوالِ
فالشَّرْعُ جاءَ بذا، وأنوارُ الهُدى … قد أيَّدَتْهُ، فعِشْ خَلِيَّ البالِ

وله يَصِفُ اعتِزالَه عن الخَلق وانقِطاعَه إلى الحَق:

قَنِعْتُ بما رُزِقتُ، فلستُ أسْعَى … لِدارِ أبي فلانٍ أوْ فلانِ
وآثرتُ المُقامَ، بكسْرِ بَيْتي … ولا أحَدٌ أراهُ ولا يَراني
ولا ألْفي[39] خليلاً غيرَ حَبْرٍ … مُعِينٍ في المعارِفِ أوْ مُعانِ
وقد أيْقَنْتُ أنَّ الرِّزقَ آتٍ … وإنْ لمْ آتِهِ سَعْيًا، أتاني
وقد حقَّقْتُهُ فهْمًا، وعِلْمًا … وقد شاهَدْتُهُ رأيَ العِيانِ
فلازِمْ ذا بإخلاصٍ تُمَكَّنْ … هُنا وهُناكَ، مِنْ أسْنَى مَكانِ

Scanned by CamScanner

وتوفي بتلمسان، ودفن خارج باب كشوطة منها عفا الله عنه[40].

(11. عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي)

وولده أبو زيد عبد الرحيم، عالم متفنن، ذو علم[41] بالوثائق، وخط بارع، خطيب الجامع الأعظم بتلمسان وإمامه رحمة الله عليه. قلتُ: هو جدُّ الفقيه أبي زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحيم هذا، صاحب الأشغال العلية الآن بباب مولانا أمير المسلمين أبي حَمُّو أيده الله، رجلٌ خيرٌ، فاضل، ذو معرفة بالفرائض، وبصر بالحساب والهندسة. حجَّ وخطب نائبًا بجامع فاس الجديد، فاستجيدَتْ خطبته.

(12. أبو عبد الله الخضّار)

ومحمد بن عبد الله الكتامي، أبو عبد الله الْخَضّار. مولده بتلمسان يومَ الاثنين منتصف ذي قِعْدةِ سنة تسع وستمئة، وسمِع بسبتة من الرئيس أبي القاسم العزفي سِيَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدُّرّ المنظوم[42]، من تأليفه، مَرَّاتٍ. ولقِيَ بالمشرق والأندلس والمغرب أعلامًا، أخذ عن جميعِهِم. وتوفيَ بسبتة بعد صلاة الصبح من يوم السبت آخر أيام شوّال سنة سبع وستين وستمئة.

(13. أبو الحسن الخضّار)

وأخوه الأستاذ الْمُجَوِّد أبو الحسن علي، من أهل القرآن والدين رحمة الله عليه[43].

(14. أبو علي ابن مَزوان)

ومروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني أبو علي، أخذ عن أبيه وغيره ببلده وبمراكش وغيرهما. وكان فقيهًا حافظًا للمَسائل، بصيرًا بالفُتْيا في النوازل، وُلِيَ قضاء تلمسان وسبتة وغرناطة ومرسية، وبها توفيَ عفا الله عنه[44].

(15. أبو عمران بن عمران)

وموسى بن عيسى بن عِمران بن دافال الوردميشي، أبو عِمران ابن عِمران[45]، من بيت جلالة وعلم وحسب شهير. رَوَى عن أبيه[46] وعن أبي علي حسن بن

Scanned by CamScanner

عبد الله ابن الخرّاز، وأبي القاسم القرشي[47]، وأبي محمد عبد الحق بن الخرّاط[48] ويحيى بن ياسين. وكان عالمًا عظيم الوقار، سَرِيَّ الهِمَّة، نافعًا للناس بماله وجاهه. قلده الناصر ابن المنصور ابن العسري ابن عبد المؤمن بن علي القضاء ببلده بعد أبي عبد الله بن الصيقل، وأقرَّه عليه بعده المستنصر لجزالته. ولم يزل حسَن السِّيرة إلى أن مات بمراكش سنة ثماني عشرة وستمئة.

(16. أبو الحسن ابن الصيقل)

ويحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد الْمَزِيِّ التلمساني[49]، أبو الحسن ابن الصيقل[50]. رَوَى عن أبي علي بن سُكَّرَة، وكان راوية للحديث عدلاً صالحًا رحمه الله.

(17. أبو إسحاق الطيَّار)

والشيخ أبو إسحاق الطيار[51]، من كبار الأولياء ومُعَلِّمِي كتاب الله عَزَّ وجلَّ. قيل إنه لم يضطجع أربعًا وعشرين سنة، يصوم فيها ويقوم. مات قبل كمال السبعمئة، وقبره بالعُبَّاد من خارج تلمسان مزارٌ شهيرٌ معروفٌ بإجابة الدعاء فيه رضي الله عنه.

(18. أبو محمد المجاصي)

والشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي[52] البَكَّاء، من أهل الحديث والدين[53] والورع، زاهد[54] كثير البكّاء حتى شهر به، لا يرفع طَرْفه إلى السماء، من خشيَةِ الله تعالى، ذو مواعِظ حسنة وتدريس للعلم وعبادة ومُكاشفات. بلغني أنه حَجَّ بِحمار لا يركبه إلَّا عند الإعْياءِ وَرَعًا، وأنَّ رجلاً من أهل تلمسان يُعْرَف بابن الغريب، مِمَّنْ جاوَرَ بالمدينة سِنِين ورأى قُبَيْلَ انصِرافِهِ، في مَنامِهِ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: أبْلِغ أبا محمد المجاصي السلام، وقلْ له إنا لنسْمَع تِلاوتك القرآن من قبرنا. وجُبرَ على [إمامة] الصلاة بالمسجد المُقابل لباب ايمن تِجَمّي، فكان ينتحِيه[55] من باب زيري، فلا ينظر إلى محرم أبدًا، وشقَّ ذلك عليه، فبُنِيَتْ له، لصق المسجد المذكور، دارٌ لسكناه.

Scanned by CamScanner

وحدثنا الثقات أن رجلاً دخل عليه المسجد، بعدَ أن أعشاه البكاء فلا يعرف الناس إلّا بالأصوات. فلمَّا سلم عليه وعرَّفه بنفسه، هَجَسَ في باطِن[56] الرجل إعابة وَسَخٍ رآه على رزة الشيخ[57]. فقال الشيخ مِنْ فوره: إن تلميذا لبعض المشائخ، نفعنا الله بهم، نظر إلى ثوب شيخه موسَّخًا فقال سبحان الله، وَلِيٌّ من أولِياء الله يكون ثوبه هكذا، وخرج. فاعْتَوَرَه[58] الحرسُ يقولون هو الفاعل، إلى أن أوْصلوه [إلى] صاحب الشرطة. فعرَّفه أنه إنما خرج من عند الشيخ، وتبرَّأ ممَّا قيل عنه فسرَّحه، فعاد من حينه إلى الشيخ، فقال له بدأة: اتفق لك الآنَ كذا وكذا؟ فقال: نعم. فقال له: إياك أن تصِفَ أولياءَ الله بالقذارة، فاستغفر. قال الراوي: فعلِمتُ أنها من مُكاشفات الشيخ.

وكان كثيرًا ما ينشِد قوله[59]:

هـمُ الـرجالُ وغـبْنٌ أنْ يُقـالَ لِمَـنْ ... لـم يتـصِفْ بِمَعانِـي وصْـفِهِم رَجُـلُ

وقوله:

تـريدين إدراكَ الْمَعانـي رَخِيـصَة ... ولا بـدَّ دونَ الـشهْدِ مِـنْ إبَـرِ الـنحْلِ

وقوله:

لـوْلا رجـالٌ، لهـم وِرْدٌ يقومـونا ... وآخـرونَ لهـم سَـرْد يـصومونا

لزُلـزلتْ أرْضُـكم مـن تحْتِكم سَحرًا ... لأنكـم قـوْمُ سُـوءٍ لا تـبالونا

وقبره رحمة الله عليه بعَيْن وانزوتَة من العُبَّاد.

(19. أبو يعقوب التيفريسِي)

والشيخ أبو يعقوب التيفريسي[60]، من الأولْياءِ الكِبار الزهاد في الدنيا، معروف الخير، مشهور الدين والصلاح، مكاشف عالِم، يُقرئ الإنسَ والجنَّ بمسجده، والناسُ يسمعون صَوْتَ الجانِّ. واستَبْعَدَ أحدُ طلبَتِهِ أنِ يكونَ الشيخ يرى صُوَرَ الجانِّ، فبينما مجلِسُهُ ذاتَ يوم غاصٌّ بالطلبَةِ لقِراءةِ العلم[61]، إذ دخل من بابه حنش عظيم، ففرَّ الحاضِرون منه. فقال الشيخ: دعوه دعوه. فقرب منه، وناوله مِنْ فيه براءَة. فاستدعى الشيخ القلمَ والدواة وكتب بأسفل البراءة، وردَّها إليه والناس

Scanned by CamScanner

ينظرون[62]، فانصَرَف خارجًا. فقال الشيخ: إنَّ هذا مِن إخوانِكم الجانِّ، بَعَثه إلينا أصحابُهُ من العِراق بهذا السؤال فأجَبْناه[63]. وكانَ خِطابُهُ بذلك للمستبعِد رؤيتهم، وأحاديث كراماته لا تحصى ولا تحصر. قبره، رحمة الله عليه، بباب وهب معروف بإجابة الدعاء عنده.

(20. أبو العلى المديوني)

والشيخ أبو العلى المديوني[64]، من كبار الصلحاء المخصوصين بالرُّقَى المبرئة لأولي العاهات. توفي رحمة الله عليه في حدود[65] خمس وثلاثين وسبعمئة، وقبره بمسجد الرحمة من العبَّاد معروف، رحمة الله عليه.

(21. أبو عثمان بن أبي إسحاق)

والشيخ الصوفي أبو عثمان سعيد بن أبي إسحاق، من أهل القرآن والفقه، ذو بركات معروفة، وآثارٍ في الدين والصلاح مشهورة، معدود من كبار الأولياء. قبره إزاء باب وهب معروف، رحمه الله.

(22. أبو علي الْحَبَّاك)

والشيخ أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحبَّاك[66]، متجرِّد عن الدنيا، مجاهد لِهَوى النفس. قال: كان ابتداء[67] أمري أن حضرتُ دفن ولي الله وقطب الصالحين أبي مَدين، فلم أرَ يومئذٍ أعزَّ من الفقراء ولا أذلَّ من الأغنِياء. فقلت: هذا في الدنيا، فكيف بهم في الأخرى. فأعطيْتُ فقيرًا ثيابي، ولبستُ مُرَقعَتَه، ودخلتُ داري فصاحت زَوْجَتي: واوَيْلاها[68]، فقلتُ لها: إنْ لم توافقيني على هذا، وإلَّا فعُدِّيني ميتًا. ثم تركتُ لها مَكْسَبي كلَّه وولدي وخرجتُ سائحًا. فبعد أربعةِ أعوام، رجعتُ إلى تلمسان، واجْتَزتُ بسُوَيْقة أجادير فلقِيَتْني زَوْجَتي، وخادِمُها تخمِل أحَدَ أولادي على كاهلها. فأخذتُ خبزة من خبَّاز، وناديتُ بها في السوق: مَنْ يشتري لي هذه؟ قصْدَ إياسِها مني. وسارقتها النظر، فإذا الدموعُ تنحدرُ على وجنتيْها، فرددتُ الخبزة لربِّها وذهبْتُ. شرَّقَ رحمه الله بقصد الحِجاز فغرِقَ[69]، في حدود الثلاث عشرة وستمئة.

Scanned by CamScanner

(23. أبو عَمْرو بن علي بن الحسن)

والشيخ أبو عمرو عثمان بن علي بن الحسن، تلمساني من أهل الدين والصلاح، وتلاوة القرآن يَختمه كلَّ ليلة. حجَّ على الصحراء وعاد. فلما كان على مسيرة يوم عن تلمسان، سمع هاتفًا يقول له: أدركْ أمَّك فقد ماتت، فأغذَّ السَّير وأدرك جنازتَها على شفير القبر. توفيَ رحمة الله عليه في رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة.

(24، أبو الربيع التلمساني)

أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني[70]. أخذ عنه أبو بكر بن خلف المعروف بالْموّاق[71]، وأبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالحصّار[72]. وكان زاهدًا وَرعًا، سكن سَلا يحترف بالنسخ[73] ولا يقبل فيه سوى قيمةِ[74] العدل. ورُويَ أن رجلاً قيل له في مَنامه بِها: صَلِّ عند السّاريَة الفلانية من الجامع الأعظم والرجل المصلي معك عندها من أهل الجنة. فلما أصبح صَلى عندها مع الفقيه أبي الربيع سليمان التلمساني هذا.

وحكى إبراهيم[75] بن أبي بكر العجمي[76] قال: مات والد زوجتي ببلاد السودان، وجاءتنا بفاس تركتُه. فألفينا بِها صرّة عليها مكتوب: الفقيه أبو الربيع التلمساني. فأخبرناه بذلك. فقال: إنما وجهْتُ معه أزدِيَة يبيعها. فقلنا: لعل ذلك ثَمَنُها. فقال: لو وجَدتُم ذلك في الكتابة لأخَذْتُها. فحاللتُه[77] الورثةُ بِها، فقال: إني لا آخذ الصدقة، اجعلوها في تركتكم وأنتم مني في حِلّ إنْ كانت لي، تورُّعًا منه رحمة الله عليه. وتوفيَ بسَلا سنة تسع وسبعين وخمسمئة.

(25. أبو إسحاق التلمساني)

والفقيه العالم الفرَضِيّ أبو إسحاق إبراهيم بن [أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري] التلمساني[78]، ناظم الأرجوزة الشهيرة في الفرائض عند بلوغه عشرين سنة من العمر. مُدرك محقق معروف الفضل والدين، رحمة الله عليه.

Scanned by CamScanner

(26. أبو عبد الله ابن خميس)

والفقيه النبيل أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس[79]، شاعر المائة السابعة، متصوِّف عارف متطوِّر [دبَّاج لا نظير له]. مات قتيلاً بغرناطة يوم نكبَةِ الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، طعنه الرئيس علي بن نصر، الشهير بالأبكم، برُمْح فأصْماهُ. فأحسَّ المذكورلحينه بطعنة أصابته من يد قدرة الله سبحانه بالمكان الذي طعن فيه ابن خميس، حُرِمَ لأجلها النومَ والأكل. ولم يزل يتأوّه ويقول: " ابن خميس طعنني "، إلى أن مات. وذلك من أكبر البراهين على عظم قدر ابن خميس رحمة الله عليه.

وكان[80]من أهل علم السِّيمِياء، وأخباره فيها مشهورة. فمِنْ أغْرَفِها ما حدثنيه غير واحد من الثِّقات أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن عمر بن خميس رحمه الله كان مسكنه بيت فندق فرشه سلايخ الضأن لا غير. واتفق أن دخل تلمسان صاحب له من غيرها. فدعاه للقِرَى بمحضر مَنْ يعرف حاله ورَثَّة مسكنه وفرشه، فاستغرب ذلك ولم يفارقه إلى وقت المبيت ورواح الضيف. فسايَرَهما المستغْرِبُ من حاله المذكور.

قال: فلما دخلنا الفندق رأيت به بابًا لم أعهده. ففتحه ابن خميس ودخل ودخلنا معه فإذا أسطوان دارٍ به خادم تحمل[81] شمعةً فتقدمَتْ بين يدينا إلى دار رحبة ومساكن حسنة. [فدخلنا منها إلى بيتٍ ذي فرش رفيهة. فلما استقرَّ بنا المجلس دعا بالطعام]، فجيء منه بكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعْيُن، فنلنا منه ما شئنا ونمنا، وأنا أقضي العجب مما رأيت. فلما أصبح خرج ابن خميس بضيفه وتركني نائمًا. فلم أنتبه، إذ طلع النهار، إلا وأنا مضطجع على هيدرة[82] بيته التي أعرف.

ومن مستجاد شعره رحمة الله عليه ورضوانه، قوله:

أنبْتُ، ولكنْ بَعْدَ أيِّ[83] عِتابِ ... وطول[84] لجاج ضاعَ فيه شَبابي
وما زلتُ والعليا تُعَنِّي غَريمَها ... أُعَلِّلُ نفسي، دائمًا بِمَتابِ

وهيهات من بعْد الشباب وشرْخِهِ — يَلذ طعامي أو يسوغُ شرابي
خُدِعْت بِهذا العيْش، قبلَ بلائِهِ — كما يُخْدَع الصَّادي بلمْع سَرابِ
تقول، هو الشهْد المَشُور جَهالة — وما هو إلا السّمُّ، شِيبَ بِصابِ
وما صحِبَ الدنيا كبَكر وتغلب — و لا ككُلَيْب رِيءَ فحْل ضِراب
إذا كعَّت الأبطالُ عنها تقدَّموا — أعاريب غُرًا، في مُتون عِرابِ
وإنْ نابَ خَطْبٌ أوْ تفاقمَ مُعْضِلٌ — تلقَّاه منهم كُلُّ أضْيَدَ نابِ
تراءَتْ لِجسَّاس مَخِيلة فرْصَةٍ — تأتَّتْ له في جيئةٍ وذهابِ
فجاء بِها، شنعاء[85] تُنذِر قوْمَها — بتشييدِ أزجام وهَدْمِ قِبابِ
وكان رُغاءُ الصقبِ في قوم صالحٍ — حديثًا، فأنساه حديثُ[86] سَرابِ
فما تسمَع الآذانُ في عَرَصاتِهِمْ — سوى نوْحِ ثكلى أو نُعابِ غُرابِ
وسَلْ عُرْوَة الرحالَ عن صِدْق بأسِهِ — وعن بيتِه في جعْفر بْن كِلابِ
وكانت على الأمْلاكِ، منه وفادة — إذا آبَ منها آبَ خيْرَ مَآبِ
يُجيرُ على الحيين، قيْسٍ وخندُفٍ — بفضل يَسارٍ أو بفضل[87] خِطابِ
زعامة مَرْجُوّ النوال، مؤمل — ودَعْوَة[88] مسْموع الدعاءِ مُجابِ
فمَن ذا يُزَجّيها حَواسر، ضُلعًا — بِما حملوها من مُنى ورغابِ
[إلى فدَكِ والموتُ أقرَبُ غايةٍ — وهذا المُنَى، يأتي بكل عجابِ
تبرض صَفْو العَيْش حتى استشفه — فداف له البراض قشبَ[89] خبابِ
فأصبح في تلك المَعاطِف نُهْزة — لنهْبِ ضِباعٍ أو لنَهْشِ ذِئابِ
وما سَهْمُه عند النضال بأهْزعٍ — ولا سيفُه، عند المَصاع بنابي][90]
ولكنها الدنيا تمُر[91] على الفتى — وإنْ كان منها، في أعَزّ نصابِ
وعادتها ألا توسّطَ عندها — فإما سماءٌ أو تخومُ ترابِ
فلا ترْجُ من دنياك ودًّا وإنْ يكنْ — فما هو إلا مثلُ ظِل سَحابِ
وما الحَزْمُ كل الحزمِ إلا اجْتِنابُها — فأشقى الوَرى مَنْ تصطفي وتحابي

Scanned by CamScanner

أبيت لها ما دام شخصيَ أنْ[92] ترى   تمرّ ببالي، أو تطوز جنابي
فكمْ عَطلتْ من أربُعٍ وملاعِبِ   وكم فرقتْ من أسْرةٍ وصحابِ
[وكم عفرَتْ من حاسِرٍ ومدججٍ   وكم أثكلتْ من مغصرٍ وكعابِ
مثالِبُ مِثلُ الرمْلِ لا تقل انها   تعَد فتحصيها غروبُ حِسابِ[93]
إليكم بني الدنيا نصيحة مُشفِق   عليكم، بصيرٍ بالأمور نقابِ
طويلِ مِراس الدهر جَذلٍ مُماحِكٍ   عريضِ مَجالِ الهَمّ حِلْسِ ركابِ
تأتتْ له الأهْواءُ أدهم، سابغًا   وغَضتْ به الأيام أشهبَ كابي][94]
ولا تحسبوا أني على الدهْر عاتِبٌ   فأعظمُ ما بي منه أيسَرُ ما بي
وما أسَفِي إلا شبابٌ خلعْته   وشيْبٌ أبَى إلا نصولَ خِضابِ
وعُمُرٌ مَضى، لَمْ أحْلُ منه بطائل   سِوى ما خلا من لوْعَةٍ وتصابِ
لياليَ، شيطاني على الغي قادِرٌ   وأعْذبُ ما عِندي، ألِيمُ عَذابي
عكسْنا قضايانا، على حُكم عادِنا   وما عَكسُنا عند النُهى، بصَوابِ
على المصطفى المختار أزكى تحية   فتلك التي أعْتَدُّ يوْمَ حِسابي
فذاك عتادي، أو ثناءٌ أصوغه   كدر[95] سَحابٍ أو كذر سخاب[96]

وقوله:

إنْ كنتَ تَجْهَلُ، أنني لا أرقدُ   فاسألْ يُخَبِّرْكَ السهى، والفرقدُ
وإنِ اتَّهمْتَهما، لبعض تَناسُبٍ   بيْني وبينهما فطيْفُكَ يَشهَدُ
ولقد أبيتُ الليلَ، لا أدْري به   نوْمًا كما باتَ السليمُ الأرْمَدُ
أرْعى كواكبَه وأرْقُبُ صُبْحَه   والصبْحُ أنأى من هوايَ وأبْعَدُ
فرْدًا أكابِدُ، لوْعَتي وظلامَه   حتى يقوم، لوزده المُتهجدُ
بانَ الخليط، وبانَ قلبي إثْرَه   سَحرًا كما زعَم الغراب الأسْود
وتبايَنتْ أغراضُنا وجسومُنا   فالجسْمُ يُتهِمُ والعزيمةُ تُنجِدُ
وكذاك ما صَحْبي الذين ألفتُهم   إلا سُراي، وعزمتي والفرقدُ

Scanned by CamScanner

ونهضتُ، لو وافى نهوضي قوة ... مني وساعَدَني الشبابُ المُسْعِدُ
لا تعجَبَنْ لعَزيمَتي، وتثبطِي ... فالشوْقُ يُنهِضُ والزَّمانة تقعِدُ
أوْدى صِبايَ وغاضَ ماءُ نعيمِه ... وذَوَى قَضِيبُ قِوامِيَ الْمُتأوّدُ
وأتى الْمَشِيبُ يَزورني مُتفقِّدًا ... والشيْبُ أبْغضُ زائرٍ يَتفقدُ
وَلّى الشبابُ وشرْخه لم يبْقَ لي ... بعدَ الشبابِ وشرْخِه ما أفقدُ
خَلَّتْ شواتي زبدة الشعْرِ التِي ... وَلَّتْ كما خَلَّى لبيدًا أرْبَدُ[97]
وتكاءَدَتني رَيْثةٌ لم أدْرِها ... في نَهْضتي ولكل شيءٍ موْعِدُ

وقوله:

نظرَتْ إليْكَ[98] بمِثلِ عَيْنيْ جُؤذر ... وتبَسَّمَتْ عن مِثلِ سِمْطَيْ جَوْهَرِ
عن ناصِعٍ كالدر أو كالبَرْقِ أوْ ... كالطلع أو كالأقحُوان مُؤشَرِ
تجْري عليها[99] من لَماها، نطفة ... بَلْ خمْرَة، لكنها لم تعْصَرِ
لو لم يكنْ خمْرًا سُلافًا، ريقها ... تزري وتلعَبُ بالنهَى لمْ تحْظرِ
وكذاك ساجي جَفْنِها لو لم يكنْ ... فيه مُهَندُ لحْظِها لم يُحْذرِ
لو عُجْتَ طرْفكَ في حَدِيقةِ خَدها ... وأمنتَ سَطوَة صُدْغِها، المُتنمرِ
لرَتعْتَ من ذاكَ الحِمَى، في جَنة ... وكرَعْتَ من ذاك اللمَى في كوْثرِ
طرَقتكَ وَهْنًا، والنجومُ كأنَّها ... حَصْباءُ دُرٍّ، في بِساطٍ أخضَرِ
والركبُ بيْن مصعدٍ، ومُصَوب ... والنوْمُ بيْنَ مُسَكنٍ ومُنَفِّرِ
بَيْضا إذا اعْتكرَتْ ذوائِبُ شعْرها ... سَفرَتْ، فأزْرَتْ بالصباحِ المُسْفر
طرَحَتْ غلائِلها[100] فقلتَ سَبيكة ... من فِضةٍ، أو دُمْيَة من مَرْمَرِ
مَنحَتكَ ما مَنعَتكَ يَقظانًا فلمْ ... تخْلِفْ مَواعِدَها، ولم تتغيَّرِ
وكأنما خافتْ بُغاة وُشاتِها ... فأتتكَ من أزدافِها، في عَسْكرِ
وبجزْع ذاكَ المُنحَنى، إدْمانة ... تغطو فتسْطو، بالهِزَبْرِ القسْوَرِ
وتَحِية جاءَتكَ، في طي الصَّبا ... أذكى وأعْطر، من شميم العَنْبرِ

Scanned by CamScanner

جرَتْ على واديكَ فضلَ ردائها ... فعرفتَ فيه عَرْفَ ذاك الإذخرِ
هاجتْ بلابلُ نازحٍ، عن إلفه ... مُتشوِّقٍ ذاكي الحشا مُتسعِّرِ
وإذا نسيتَ لياليَ العهدِ، التي ... سلفتْ لنا فتذكّريها، تذكّري
زُخْنا تُغنّينا ونرشُفُ ثغرَها ... والشمسُ تنظر مثلَ عينِ الأحْوَرِ
والروضُ بين مُفضّضٍ ومُعسْجدٍ ... والجوُّ بين مُمسَّكٍ، ومُعنْبَرِ

ولو اعتمَدنا نقلَ مختاره لضاقتْ به الأوراقُ وأخرجنا عن قصد التاريخ.

(27. أبو عبد الله بن عيسى)

والفقيه أبو عبد الله محمد بن عيسى[101] من أهل أجادير، رجل صالح عالم ورع، حج خمسًا وعشرين حجة، وكان ذا مكاشفات، يأتيه أمير المسلمين أبو يحيى يغمراسن رضوان الله عليه إلى محله التماسًا لدعائه، وعنايةً جُبِلَ عليها بالصالحين أمثاله، وقبره رحمه الله، خارج باب العقبة.

(28. أبو عبد الله بن عبد الحق)

وأبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري[102]، ويقال البطوي. روى ببلده عن أبيه أبي محمد[103] وتَفَقَّهَ به، وبعمران التليدي، وبأبي بكر بن عصفور، وبأبي بكر اللقتي[104]، وأبي الحسن جابر[بن محمد]، وأبي الحسن بن أبي قنُّون، وأبي علي الحسن بن الْخَزّاز. وصحِب الوليين الزاهدين أبا مدْين شعيب ابن الحسين، وأبا عبد الله محمد بن مَخْيُو[105] الهوّاريّ. ولقي كثيرًا من أهل العلم والدين والزهد والورع، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسبتة وإشبيلية.

فكان راوية فقيهًا حافظًا متكلمًا متقنًا في علوم جمّة، بارع الخط، جمّاعة للكتب الجليلة، وله مصنفات كثيرة أجلُّها "الْمُخْتار في الجمع بين الْمُنتقى والاستذكار"[106]. وكان رحمه الله حسن الخَلْق والخُلُق رائق الْملْبس مطعامًا، وجيهًا ببلده وغيره عند السلاطين والأمراء، ولي قضاء بلده مرّتين، فعدل وأجزل.

ومن نظمه هاذان البيتان في عدد أحاديث البخاري:

جميعُ أحاديثِ الصّحيح الّذي روى الْبخاريُّ خمسةٌ وسبعون في العدّ

Scanned by CamScanner

وسبعةُ آلافٍ تضافُ وما بَقِي إلى مِائتَيْن، عَدَّ ذاكَ أولو الْجِدِّ

مولده سنة سِت أوسَبْع وثلاثين وخمسمئة وتوفي بتلمسان سنة خمس وعشرين وستمئة، ابن تسع أو ثمان وثمانين سنة، رحمة الله عليه.

(29. أبو عبد الله ابن مروان)

وأبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني، وَهْراني الأصل، نشأ بتلمسان، شلوباني[107] الأول، أبو عبد الله ابن مَرْوان[108]. روى عن أبي موسى عيسى ابن عِمران. وروى عنه أبو جعفر بن ثعبان[109].

وكان فقيهًا مستبحرًا في حفظ المسائل، ماهرًا في النظر، حَسَنَ الخط، سَرِيَّ الهمَّة. ولي قضاء تلمسان، ثم استقدمه المنصور لقضاء الجماعة بمراكش عند حركته إلى قَفْصَة، فكان بها حميد السِّيَرِ، عادلاً في الأحكام. قيل: لم يُجَلِّدْ أحدًا بسَوْطٍ أيام قضائه، مع كونه شديد الهيبة، بصيرًا بالأحكام، حظِيًا عند المنصور. توفي[110] ليلة الأحد تاسع جمادى (الأولى) سنة إحدى وستمئة، واحتفل الناس في جنازته.

(30. أبو عبد الله الفازازي)

ومحمد بن يَخْلَفْتَن بن أحْمَد بن ينفليت الفازازي، ثم اليَجْعَشْنِيّ التلمساني، أبو عبد الله الفازازي[111]، من بيت علم ونباهة، أخذ العلم بقرطبة، وسكن مراكش، وهو أخو أبي زيد الفازازي وكبيره، وروى عن أبيه، وأبي عبد الله التجيبي. وكان حافظا للحديث، حذق البخاري أو معظمه، فقيهًا، أديبًا، تواريخيًا، لغويًا، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مُجيدا، حسن الخط والصورة والهيئة. نقله محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف العسري ابن عبد المومن بن علي من الكتابة إلى القضاء بقرطبة ثم بِمُرْسِيَة ثم بغرناطة، وبها توفي سنة إحدى وعشرين وستمئة، رحمة الله تعالى عليه.

(31. أبو عِمران ابن مروان)

وموسى بن محمد بن مروان بن جبل الهمداني، وهراني الأصل، تلمساني

Scanned by CamScanner

المنشإ، شلوباني القديم، أبو عِمران بن مَزوان[112]، روى عن أبيه، وولي القضاء بمالقة وغرناطة، ومات بها قاضيًا في شعبان سنة ثمان وستمئة، واحتفل الناسُ لجنازته رحمة الله عليه.

(32. أبو يوسف بن حَمُّود)

ويعقوب بن حمود، تلمساني، أغماتي الأصل، أبو يوسف هذا، لقي بمرسية أبا علي الصدفي، وأخذ عنه سنة إحدى عشرة وخمسمئة، وعاد إلى تلمسان، فحدّث بها، وأخذ عنه أبو يحيى بن عصفور وغيره.

(33. يوسف بن علي التلمساني)

ويوسف بن علي بن جعفر التلمساني، روى بإشبيلية عن القاضي أبي بكر ابن العربي[113]، مُحَدِّث، صالح.

(34. أبو إسحاق التَّنَسِيّ)

وأبو إسحاق [بن يخلف بن عبد السلام] التنسي، من العلماء الصالحين الأولياء كبير القدْر حيًا ومَيِّتًا، زاهِد وَرِع، ذو كرامات شهيرة، ومكانة عند الملوك عظيمة، ألف في العلم كثيرًا، وحَجَّ، وعاد إلى تلمسان، فتوفي في حدود الثمانين وستمئة. قبره رحمه الله بالعُبَّاد.

(35. أبو الحسن التَّنَسِيّ)[114]

وأخوه الشيخ أبو الحسن[115]، من كبار العلماء العامِلين، مُعَظَّم عند المُلوك والعامَّة، ذو ورع شديد، وتصرُّف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق، فانجرَّتْ بِها إليه التهمة من ملوك تلمسان أيَّامَ الحصار الأول. فخرج إلى السلطان أبي يعقوب، ملك المغرب. فبالغ في برّهِ واحتفائه إلى أن مات، فحضر جنازته بما هو معروف. وقبره رحمه الله بالعُبَّاد.

(36. أبو عبد الله ابن مرزوق)

والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج التلمساني، القيرواني الأصل[116]، مولده في حدود تسع وعشرين وستمئة. ومرزوق

Scanned by CamScanner

جده هو الذي استَوْطَن تلمسان في أيام لَمْتُونة، فنشأ بنوه بها، أهل صلاح ووجاهة بالدين، يحترفون بالفلاحة.

وكان الفقيه أبو عبد الله هذا من الصلحاء المشاهير والأولياء الأعلام، محدِّثًا فقيهًا متصَوِّفًا زاهدا عابدا، مجاب الدعاء، له كرامات ومكاشفات، وآثار في الترَهُّب والعلم شهيرات. أخذ عن أبي زكرياء يحيى بن محمد بن عصفور العبدري، وأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، والشيخ الصالح [أبي عبد الله] الكفيف وأبي عبد الله الْمالقي، والفقيه أبي عبد الله محمد بن اللجَّام، والفقيه أبي زيد اليزناسني[117]، وكلهم مِمَّنْ أنْجَبَتْهُ تلمسان في العلم والدين.

وتوفي أوائل رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وستمئة، فدفن إزاء أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم لوصية أمير المسلمين رضي الله عنه بذلك، تبرُّكًا بجواره.

37. أبو العباس ابن مرزوق)

وولده الفقيه أبو العباس أحمد[118]، مولده ليلة الثاني لشهر الله المحرم سنة إحدى وثمانين وستمئة. قرأ القرآن على الشيخ الولي يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي، وأخذ الفقه عن أبي الحسن الصغير[119]، والفقيه أبي محمد [خلف الله، وأبي إسحاق إبراهيم القاري، والفقيه أبي محمد] عبد الْمُهَيْمِن بن محمد بن عبد الْمُهَيْمِن الحضرمي، والفقيه أبي عِمران الزريهني، والفقيه أبي عبد الله الْمَلِيلِيّ، والفقيه أبي عبد الله بن عبد الرزاق[120]، وكل هؤلاء بفاس. وأخذ ببلده عن الفقيهَيْن العالمين الأخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الفقيه الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن الإمام، [صدرَيْ أهل العلم] بها، و[الخطيب أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي البَكَّاء]، والفقيه القاضي أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن علي ابن أبي عمرو التميمي. وكان صالحًا زاهدا وَرِعًا، حجَّ وجاور بالْمَدينة، على صاحبها[121] أفضل الصلاة والسلام، على أفضل أحوال المجاورين. ومات حَاجًّا بمكة في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وسبعمئة. وقبره الآن بباب

Scanned by CamScanner

المعلى منها مزار مقصود.

(38. أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب)

ثم ولده الفقيه أبو عبد الله محمد[122]، مولده سنة إحدى عشرة وسبعمئة، فقيه محدث، قرأ القرآن على الفقيه أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي. وله مشائخ جلة بالمشرق والمغرب، [فقيه] خطيب مِصْقَع، ذو وجاهة عند السلاطين، نبذ طريق أبيه وجده ظهريا، وخدم الملوك من [بني] مرين، فرأس عند السلطان أبي سالم منهم رياسة كبرى، وامْتُحِن بعدها وغرّب، فاستقرّ الآن بمصر، معدودًا في فقهاء المالكية.

(39. أبو زكريا يحيى بن الصيقل)

والولي أبو زكريا يحيى بن الصيقل[123]، فقيه زاهد وَرِع مُتبتِّل في العبادة، لا يكاد يفارق القبور والمساجد توحشا من الخَلْق. وكان محدِّثا حافظا، له كرامات كثيرة واطلاعات صوفية. قبره رحمه الله خارج باب العقبة. وله الآن بتلمسان وُلْدٌ على غير هَدْيِهِ، نجباء فيما ولوه من أمر السلطنة.

(40. أبوالعباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة)

والشيخ الخطيب أبو العباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة الخزرجي[124]، من العلماء العابدين أهل الكرامات والأخبار بالمغيبات، والدين والصدقات، رحمه الله.

(41. أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة)

وجده القاضي الأمير أبو عمرو عثمان، شارح الأحكام الصغرى، من أهل العلم والدين والرياسة على أهل بلده بالذات هو وسلفه. قتله عبد المومن بن علي بوصاة المهدي إذ قال له " اقتله، فإن صفير الصاد من قوله لي: اشتغل بخويصة نفسك، في أذني حتى الآن ". وقبره رحمه الله خارج باب العقبة.

(42. أبو عبد الله بن هدية)

والفقيه الخطيب العالم أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية

Scanned by CamScanner

القرشي[125]، من ولد عقبة بن نافع الفهري، عالم خير، من أئمة اللسان والأدب، ذو بصر بالوثائق، مشهور الفضل والدين. له تواليف جَمّة في فنون شتى، وكتب الرسائل عن الملوك الأول من بني يغمراسن بن زيان، وولي القضاء ببلده، فأحسن السيرة رحمه الله. وفيه يقول ابن حَماذُو، من شعراء تلمسان:

لَمَّـــا رأوْكَ هَدِيَّـــةً مِـــن ربِّهِـــمْ ... سَـــمَّوْكَ بـــابن هديـــة فأجـــادوا

ومن نَظْمه الدّالِّ على فضله[126]:

إلهـي مـضتْ للعُمْـر سبعون حِجَّـة ... جَنَـيْتُ بهـا مِمَّـا جَنَـيْتُ الدواهِـيا

وعـبْدك قـد أمْـسى رَهِـينَ ذنـوبهِ ... فجُدْ لِي برحْمَى منك نِعْمَ الدوا هِيا

(43. أبو علي ابن هدِية)

وولده الفقيه أبو علي منصور، ولي القضاء بعد أبيه، فقام به خير قيام، وخطب الناس بالجامع الأعظم [من أجادير]. وكان من أهل العلم والدين، رحمة الله عليه.

(44. أبو الحسن ابن هدية)

وولده الفقيه أبو الحسن علي، خطيب الجامع الأعظم الآن، على هَدْيِ سلفه الصالح من الدين والعلم والفضل ونزاهة الهِمَّة، صَدْرٌ من صدور الدراية والتدريس والخُلُق العظيم، حفِظه الله.

(45. أبو عبد الله ابن عيسى)

والشيخ السالك أبو عبد الله محمد بن عيسى[127]، من قدماء التلمسانيين، أحد العارفين المتصرفين المتطورين، تارةً تراهُ في زيِّ الملوك، ومرة في زيّ الزُّهْبان. مات فاحتفل الناس في جنازته، فلما وضع على شفير القبر، تساقط الطير عليه كالذباب على الشهد، أكثرها الخطاطيف، تختلف بين أرجل الناس حتى لكادت تمنع الحافرين من العمل.

(46. وَهْب بن مُنَبِّه)

والشيخ الصالح الأشهر وَهْب بن مُنَبِّه[128]، من كبار التابعين، عظيم القدر، معروف الصلاح والدين. قبره عند الباب المنسوب إليه، مزار مقصود.

Scanned by CamScanner

(47. أبو عثمان ابن الخياط)

والشيخ الخطيب أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط، عُرف بابن سجين[129]، متصوف، تربّى وربّى[130]، وجلس على سجّادة الإرشاد، وألبس الخرقة على طريق أبي العباس الرّفاعيّ[131]، وطريق السيد أبي مَدْين، مستجاب الدعاء.

(48. أبو عبد الله ابن الْحَمّال)

ومُناوِبُه الخطابة أبو عبد الله محمد ابن الصالح أبي الحسن بن الْحَمّال، من كبار الأولياء الأبرار.

(49. أبو العبّاس ابن الْخَيّاط)

وأخوه الصالح أبو العباس أحمد[132]، من الصلحاء الأعلام، تالٍ لكتاب الله، على علم به. ثَقّفَهُ السلطان أبو يعقوب الْمَريني، فلما كبِّل تكسَّرت عنه القيود. وألقى بالسِّجْن أزْيَد من سبعمئة رَجُل، فأخذهم بالقراءة والصلاة. فكان أمْرُهم في ذلك عجبًا، وكان الناس يقصدونه بالسجن لتجويد القرآن.

(50. أبو إسحاق الخيّاط)

ووالده الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط[133]، رجل صالح يعيش من الخياطة. وكان يكثر الدخول على أمير الْمُسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان لقضاء حوائج الناس. فربما دخل عليه في اليوم الواحد سَبْعِين مرة، فقيل لأمير المسلمين في ذلك، فقال " دعوه فهو رحمة للناس، وما قضى الله تعالَى يقضيه، والله لا أبرمته "[134]. رحم الله السلطان ونفع بالشيخ. وقبره معروف بتلمسان.

(51. أبو الحسن ابن الْحَمّال)

والشيخ الصالح الفقير السالك، أبو الحسن علي بن محمد بن الحمال، بالحاء المهملة، من الصالحين الْمُتَبَتِّلين، عالم مُفتٍ كبير القدر، كثيرًا ما يقيم حال الضعفاء والواردين من حيث لا يعلم.

(52. أبو عبد الله ابن الحمّال)

ووالده الفقيه أبو عبد الله محمد، أحد الْخُطباء الْمُفَوَّهين الصلحاء[135].

(53. أبو إسحاق ابن اللجّام)

والقاضي الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن اللجام، من قضاة العدل والصرامة في الحق، وله خَطٌّ بارع، مُدَرِّس عالي الهِمَّة. ذكر أن رجلاً من خدّام المملكة استنقصه بنسبته إلى لجام، فقال " اللهم أرِهِ عزة الشرع "، فبعد ثلاثٍ جيء به سكران إليه، فأقام عليه الحدّ. فكانت هذه من كراماته رحمه الله.

(54. أبوعبد الله المسناوي)

(55. أبو محمد المسناوي)

والفقيه المُقْرِئ أبو عبد الله المَسْناوي، وابن أخيه أبو محمد عبد الواحد، معلمان لكتاب الله عز وجل حسبة لله تعالى، وإمامان في الفرائض، من الصلحاء الوَرِعِين، رحمة الله تعالى عليهما.

(56. أبو عبد الله ابن البَلَد)

والفقيه الصالح العاكف أبو عبد الله ابن البلد، من كبار الأولياء المُتَقَشِّفِين، لم يَعْدُ لباسَ الصوف الخشِن وأكْل الشعير، من فضل صدقته بثَمَنِ ما يَنْتَسِخُهُ[136] بيده. وقبره رحمه الله بمسجد صالح من العباد.

(57. أبو عبد الله ابن النجّار)

والفقيه التَّعاليميّ، نخبة وقته، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن النجّار[137]، من بيت نباهة في الإمامة والعدالة مرّاكشِيُّ النَّجْر، ساد أهلَ زمانِه في العلوم المعقولة، مع شِعْرٍ نَبيل وكِتابةٍ رائقة. وتوفي بتونس في الطاعون الأكبر سنة تسع وأربعين وسبعمئة.

(58. أبو الحسن ابن الفحّام)

وتلميذه الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفَحّام[138]، أعرَفُ أهل زمانِنا بفنون التَّعاليم، سِبْطُ سَلَفٍ صالح، ظهر على يدَيْه من الأعمال الهندسية الْمَنْجانَة الْمَشهورة بالْمَغرب، فأثابَه عنها مُلوكُه بألفٍ[139] من الذَّهَب مُقَسَّطَة على عُمّال بلادهم في كل سَنَة[140].

Scanned by CamScanner

59. أبو يوسف الصنهاجي

والشيخ الصالح الولي أبو يوسف يعقوب بن علي الصنهاجي، من بني علا الناس بن حمَّاد، صاحب القَلْعَة، قانِتٌ وَرِعٌ زاهِدٌ، صاحِبُ كرامات، شيخ أهل تلمسان في القِراءات، مُسْتَجابُ الدعاء. قبرُه ما بين الأسوار بالْمَزج، خارج باب الْجِياد، قُرْبَ الْحَفير، مُزار مَقْصود.

60. أبو زيد الصنهاجي

وولده الشيخ الصالح الوَلِيّ الخاشع أبو زيد عبد الرحمن، حائز مقامه علمًا ودِينًا.

61. أبو يوسف بن أبي زيد الصنهاجي

وولده الفقيه العَدْل أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن، نَسيج وحده، فضلاً ومَعارف، ورُجولة وأدبًا، رحمه الله.

62. محمد بن أبي زيد الصنهاجي

وأخوه محمد بن عبد الرحمن، اللاحق به في كل فضل ودين.

63. أبو عبد الله بن قطرال

والوَلِيّ الْمُحَدِّث الصالح أبو عبد الله بن قطرال[141]، من كبار الأئمة المشاهير.

64. أبو عبد الله المصمودي

والحاج أبو عبد الله محمد الْمَصْمُودي، وَلِيٌّ عالِم، حَجَّ ومات بصحراء خليص[142]، سنة أربع وعشرين.

65. أبو عبد الله الآبلي

وشيخنا العالم الأعلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، الْمُعلِّم الأصغر، من بيت نَباهة في الْجُنْد. أخذ في بلده عن الشيخَين [العالمَين] أبي زيد وأبي موسى ولدَي الإمام، وبمراكش عن أبي العباس أحمد بن البنّاء[143]، وارتحل إلى العراق في زيّ الفقراء السفارة، فلَقِيَ به وبغيره من بلاد المشرق العلماء وأخذ عنهم، وعاد فاسْتَخْدَمه السلطان أبو حمّو ابن السلطان أبي سعيد في قيادة بني راشد

Scanned by CamScanner

من كُوَر بلاده، ففرّ لذلك عنه، واستقرّ بجبال الْهَساكِرَة عند علي بن محمد بن تَرُومِيت. وكان طلّابًا للعلم، جَمَّاعةً لكُتُبِه. فعكف عنده على النَظَر إلى أن فاق أهْلَ زمانه في العلوم العقلية كلّها، حتى أنّي لا أعرف بالْمَغرب وبإفريقية فقيهًا كبيرًا إلا وله عليه مَشْيَخَة. توفي رحمة الله عليه ورضوانه بفاس في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمئة.

(66. أبو عبد الله الشريف)

وشيخنا الفقيه العالم [الأعرف] أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني[144]، أحد رجال الكمال علمًا ودينًا، لا يَعْزُب عن علمه فَنٌّ عقلي ولا نقلي إلا وقد أحاط به. أخذ عن الشيخين أبي زيد وأبي موسى [ابني الإمام]، وعن شيخنا أبي عبد الله الآبلي وغيرهم، وبلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحُّر وفصاحة اللسان عند الإلقاء، واحد عصره، رحمة الله عليه. تُوُفِّيَ في ذي الحجة متمّ سنة إحدى وسبعين وسبعمئة، فأمر مولانا أمير الْمُسلمين أبو حمّو أيده الله بدفنه عند قبر والده المولى أبي يعقوب، تبركا له بجواره.

(67. أبو محمد بن أبي عبد الله الشريف)

وولده الفقيه أبو محمد عبد الله[145]، من عِلية الفقهاء وصدور المدرسين [الآن]، مشارك في فنون التعاليم والنظر والفقه، بارك الله فيه.

(68. أبو عبد الله الْمَقَّرِيّ)

والفقيه القاضي الأعدل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الْمَقَّرِيّ[146]، من [العلماء الأعلام و] قضاة العدل والدين والجزالة، مُدَرِّس مُفْتٍ، ولي قضاء الجماعة بفاس فحمدت سيرته، ومات بها سنة تسع وخمسين[147].

(69. أبو الحسن الْمَقَّرِيّ)

وابن عمه الفقيه القاضي أبو الحسن علي، من أهل العلم والدين، قاضي حضرة تلمسان الآن، خير فاضل، على هَذي السلف الصالح، مُتحرّ الصواب في أحكامه، بارك الله فيه.

Scanned by CamScanner

(70. أبو زكرياء ابن عصفور)

والفقيه أبو زكرياء يحيى ابن عصفور[148]، من قُضاة العدل والدين والفضل.

(71. أبو إسحاق بن علي)

والفقيه الرئيس القاضي الأعدل أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يحيى، من القضاة الرؤساء الأعلام، دينًا وفضلاً.

(72. أبو الحسن ابن زاغو)

والفقيه الصالح الْمُتَبَتِّل المرحوم أبو الحسن علي بن محمد بن زاغُو[149]، من كبار الأولياء الْمَشْهورين. وله الآن بالبلد خَلَف، أهلُ عَدالة وثِقَة أخيار، دينًا وعلمًا، بارك الله فيهم.

(73. أبو عِمران موسى الْمَشَدَّالي)

*[والفقيه أبو عِمْران موسى الْمَشدَّالِيّ[150]، من كبار الفقهاء العلماء العاملين، صالح زاهد مشهور الولاية والدين في الْمُعاصِرين[151] *].

(74. أبو عِمران موسى البُخاري)

والفقيه [الحافظ] أبو (عِمْران) موسى البخارِيّ[152]، من الفقهاء الْمُحَدِّثين، والصُلحاء الأبْرار في عصرنا.

(75. أبو عبد الله بن عبد النور)

[والشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد النور[153]، من الفقهاء الْمُدَرِّسين وأهلِ الفُتْيا والدِّين الْمَتين. ولي قضاءَ بلده، فحُمِدَتْ سِيرَتُه عَدْلاً وحُسْن خُلُق. وتوفي، رحمة الله عليه، في وجهته صحبة السلطان أبي الْحَسَن إلَى تونس، وهو قاضي حضرته].

(76. أبو الحسن بن عبد النور)

و[أخوه] الفقيه أبو الحسن علي بن عبد النور[154]، من أهل العلم والفضل والسَّخاء بذات اليَد. ولي القضاء ببلده [نائبًا عن أخيه ومستقلاً بعد موته]، وبكثير من حواضر الْمَغْرب، فعدل وجالس الْمُلوك. ثم حجَّ بأهله وولده، فلما أشرف على

Scanned by CamScanner

البيت العتيق [شرفه الله]، أخذته حال صوفية، فصعق مغشيًا عليه، وطيف به على تلك الحال طواف القدوم، فقضى نحبه أثناءه رحمة الله عليه، فدفن بمكّة. وله الآن بمصر ولد من أعلام فقهاء المالكية، هو أبو عبد الله محمد[155].

(77. أبو الحسن ابن النجارية)

والولي الصالح أبو الحسن علي ابن النجّارية، ذو الزهادة في الدنيا والإقبال على الآخرة. قبره إزاء قبر أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان، قصد التبرُّك له بجواره.

(78. أبو يعقوب أخضري)

والشيخ الولي الصالح أبو يعقوب يوسف بن عبد الواحد المغراوي المعروف بأخضري[156]، من الْمُعاصرين. وَلِيٌّ معروف الدين والفضل والبركة والمكاشفات. مناقبه بتلمسان معروفة. وقبره بعَيْن وانْزُوتَة، خارج باب الجياد، رحمه الله.

(79. أبو زكريا بن أدَغْيُوس)

وولي الله الوَرِع الزاهد أبو زكريا يحيى بن أدَغْيُوس، من أهل الخلْوَة[157] اليوم، رجل ترك الدنيا وما فيها وأقبل على العبادة، لا يفارق كسْرَ بَيْتِهِ منفردًا لعبادة رَبّهِ، مُجاب الدعاء، ظاهرالخير، نَفَعَ الله به، وأفاضَ علينا بَرَكَتَهُ.

(80. أبو زكريا ابن رَحْمُون)

والفقيه الأستاذ الأعرف الصالح أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز بن رحمون[158]، من قضاة العدل والدين والفضل.

(81. أبو العباس ابن رحمون)

وابنه الفقيه القاضي أبو العباس أحمد، من قضاة الحزم والدين والصرامة.

(82. أبو مهدي ابن رحمون)

والفقيه أبو مهدي عيسى بن عبد العزيز المذكور[159].

(83. أبو زيد ابن رحمون)

والفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز

Scanned by CamScanner

المذكور. وكل أهل هذا البيت، حتى الآن، أهل علم ووَجاهة وعدالة وفضل. ومنهم من كتب بباب أمير المسلمين مولانا أبي حمّو أيده الله[160].

(84. أبو العباس المُشَوّش)

والفقيه أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القيسي، شُهِرَ بالْمُشَوّش، من أهل العلم والعمل، ومن بيت نباهة وشرف، معروف الدين والصلاح.

(85. أبو العباس ابن الْمُشوّش)

وولده القاضي الأعرف أبو العباس أحمد، من كبار الفقهاء وقضاة العدل، صاحبنا، رحمه الله.

(86. أبو عبد الله بن محمد ابن الْمُشوّش)

وحافده الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، من عِلّيَة الفقهاء أهل الدين والورع، اختاره مولانا أمير المسلمين أيده الله لكتب العلامة والإمامة به، ثم للشهادة على صندوق الْمال، توسُّمًا فيه للثقة والدين، بارك الله فيه.

(87. سعيد العُقْبانِيّ)

والفقيه القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني[161]، أول نجباء بيته، ذو نبل ونباهَةِ دراية، وتفنُّن في العلوم، ومعرفة بالحساب[162] والهندسة. ولي قضاء الجماعة بتلمسان المحروسة وبجاية ومراكش وسلا ووهران وهنين، فحُمِدَتْ في جميعها سِيَرُهُ [عدلاً وجزالة، وهوالآن خطيب الجامع الأعظم بتلمسان].

(88. أبو عبد الله ابن البناء)

والفقيه الأديب أبو عبد الله محمد ابن البَنَّاء[163]، كاتب شاعر مُتَخلق ظريف.

فمن شعره قوله:

عِيدٌ وغِيد وعُودٌ وابنةُ العودِ … يا ليلة جمعَتْ شَمْلي بِها عُودِي
وشادن خنث الأعطافِ من ترَفٍ … علقتهُ بَدْر تَمّ فوقَ أمْلودِ
يَجْنِي فتمحو جنايَاه مَحاسِنُه … وللجَمال شفيعٌ، غيْرُ مَزدودِ

Scanned by CamScanner

لمّا سألناهُ عن خمرٍ بريقتِهِ　　　يحميهِ بالبيضِ من أجفانِهِ السُّود

وسالفيهِ وصُدغيهِ فقال لنا　　　هذي المُدامة، من تلك العناقيد

وله موشحة عذبة السماع محكمة الصنعة، وهي:

مَنْ أطلعَ، فوْقَ مايسِ الريْحانْ　　　بدْرَ الأفقْ

يَهْتزُّ منعمًا، على كثبانْ　　　تحتَ الغسقْ

مَنْ نمَّقَ خدهُ بروْضٍ أنفْ　　　بادي القطفْ

وطرزَهُ بسالفٍ منعطِفْ　　　رَقْمَ الصحُفْ

والثغرُ غدَا لدرهِ كالصدَفْ　　　قد أنبتَ في

مزج قد زانه، من الْمرجانْ　　　بالشهْدِ، شَقِي

لو جاد على فؤادِيَ الظمْآنْ　　　أطفى حُرَقي

بَدْرٌ أزْرارُهُ تبَدتْ فلكا　　　قلْبِي مَلكا

عَيْناهُ مع الهَوى دَمِي سَفكا　　　فِيهِ اشترَكا

قد أشبَهَت المَها لحظًا فتكا　　　والخالَ حَكى

مِسْكًا مُسْتمْسكا على سوسانْ　　　غضٍ عَبقْ

يُهْدَى، كنسِيمِ جنة الرضوانْ　　　لِلمُشْتنشِقْ[164]

حالِي مُذ غِبْتَ حائلٌ يا قمَري　　　حالَ الكدَرِ

أنسَى بالليل مَعْ نِظامِ الدرَرِ　　　نقرَ الوَترِ

إنْ كنتَ جَهلتَ أدْمُعِي كالمَطرِ　　　قلْ أوْ سَهَرِي

فاسْألْ جنحَ الظلام، عن هَيْمانْ　　　بادِي القلقِ

ينبِي عن فيْضِ دَمْعِي الهَتَّانْ　　　أوْ عنْ أرَقِي

الهَجْرُ ووَصْلهُ عَدو وحَبيبْ　　　داء وطبيبْ

والقلبُ وقدُّهُ كصَخر وقضِيبْ　　　قاسٍ ورَطِيبْ

والردْفُ وخصْرُهُ خصِيبٌ وجَدِيبْ　　　غُصْنٌ، وكثِيبْ

Scanned by CamScanner

قــدْ شــابَهَ مــا بثغــرهِ الفَــتَّان مـــــا بالعُـــــنق
والنـــرْجس ذابـــلٌ مـــن الأجْفـــان حَـــــوْلَ الحَـــــدَقِ
يــا صــاحِ أدِرْ عَلــي والــوَجْدُ مُقِيــمْ أقـــــداحَ نعِـــــيمْ
مِــنْ كــف رَشــا مُهَفْهَــفِ القــد قــويمْ والطـــــرْفُ سَـــــقِيمْ
دري الثغـــر ريقـــهُ كالتنــسيمْ مِـــــسْكِي نـــــسيمْ
قــد أطلــعَ فــي كــواكبِ القطعــان نـــــورَ الـــــشفقِ
هـــذا كالـــوَرْدِ عَندَمِــي قــان وذا يَقِـــــــــــق
مَـــنْ أنبَـــته الله نـــباتًا حَـــسَنا قلبِـــــي سَـــــكنا
أنــسَى الغِــزْلانَ والمَهــا حــينَ رَنــا مـــــنه فتِـــــنا
قــلْ كــيْفَ أرُوحُ دونَ وَجْــدٍ وضــنَى مِمَّـــــنْ فَتَـــــنا
مــا أخجَــلَ قــده، غــصونَ الــبان بَـــــيْنَ الـــــوَرَقِ
إلا وســبَى المَهَــا مَــعَ الغِــزْلان ســـــود الْحـــــدق

(89. أبو محمد الحبَّاك)

والفقيه القاضي الرئيس أبو محمد عبدون بن محمد الْحَبَّاك[165]، فقيه خطيب، حاجب لأمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان، وخاطَبَتْه ملوكُ الْمُوَحِّدين بذلك. وكان ذا رأي سديد وسياسة. وله بالبلد خَلَف من نَمَط التجَّار أخيار، رحمة الله عليه وبَرَّدَ ضريحه.

وممن أكرمها الله به وبحلوله فيها حيًا وميتًا:

(90. عبد السلام التونسي)

الشيخ الصالح أبو محمد عبد السلام التونسي[166] الذي دُفِنَ الشيخُ أبو مَديَن بجواره في روضته. قرأ على عَمِّهِ عبد العزيز[167] بأغمات، ونزل تلمسان في الرهبان، عالِمًا زاهدًا، لا تأخذه في الحقِّ لَوْمَةُ لائم، يلبس الصوف ويأكل الشعير من حرث يده والسلاحف البَرِّية عند العَيْمَة[168]، إلى أن مات رحمة الله عليه، وقبره بالعُبَّاد.

Scanned by CamScanner

(91. أبو مدين شعيب)

والشيخ الصالح، قطب العارفين، وشيخ المشايخ، أبو مدين شعيب ابن الحسين الأنصاري[169]. منشؤه قطنيانة، من قرى إشبيلية، وأجاز البحر إلى المغرب. فأخذ العلم بفاسِهِ من الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم[170]، ولبس الخرقة عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق[171]. وسلك على شيخ المشايخ أبي يعزى[172] رضي الله عنه، إلى أن وصل وحقق وأدرك، فشرّق بإذنه، واستوطن بجاية، فاشتهر بها خبزه، وعلا في مقام الولاية صَيتُهُ. فغصّ بمكانه يعقوب المنصور بن يوسف العسري بن عبد المومن بن علي، وأرسل عنه سنة أربع وتسعين وخمسمئة. فشقّ ذلك على تلامذته، فقال لهم: إني لا ألقاه. فلما بلغ تلمسان، أعجبته خارجها قرية، فسأل عن اسمها، فقيل: العُبّاد، فقال: أي موضع هو للرقاد. فمرض يومئذ ومات، ودفن هنالك.

فمن مُكاشفاته ومَناقبه العُليا مسألةُ تلميذِه الذي غاظَتْه ليلاً زوجتُه، فكسّر أواني داره، ونَوى فِراقَها، ثم غَدا على مجلس الشيخ. فلمّا انصرف الناسُ لزِمَهُ وقال له: أمسك عليك زوجتَك واتّق الله. فقال: ياسيّدي، والله ما حدّثتُ بأمري أحدًا. فقال له: إنك دخلت المسجد وهذه الآيةُ مُكرّرة الكتابة في بزنُسك، فعلمتُ نيّتَك. ثم قال: إيهِ وما بالُ أحدِكم يحملُه الضّجَرُ على كَسْر أواني بيته مُتلِفًا مالَه، اخلفْها كَفّارةً ولا تَعُدْ.

ومسألة تلميذه الشيخ أبي محمد صالح[173]، نفع الله به، لما استأذنه يومًا مرارًا في فَرْن خُبز الفقراء، بقوله: إن التّنُّور قد حَمِيَ، وهو يُعْرِض عنه. فلما أكثر، قال له: ادْخُلْ فيه، ففعل. ثم إن الشيخ، بعد وقت، تذكر طاعته له، فأمر تلميذا آخر بافتقاده، فألفاه جالسًا وسط التنور، والنار تَضْطَرِمُ بَرْدًا وسلامًا عليه، إلا ما كان من تَفَصُّد جبينه عَرَقًا، رضي الله عنهم أجْمَعين. وقد أتى التادليّ[174] في تَشَوُّفه بكثير من مناقبه الشريفة، إذ ليست مِمّا يُحْصَى ولا يُحْصَرْ.

وحدّثني صاحِبُنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسماعيل بن علي

Scanned by CamScanner

الأموي، عُرِف بالنقّاش، من عِلّيّةِ عُدول البَلد ومن الْمُجَوِّدين لكتاب الله سبحانه بقراءة السبع، عن الشيخ المُسِنّ أبي عبد الله بن داود عن بلال الحبشي[175]، خادم الشيخ أبي مدين رضي الله عنه، قال: كانت هجيرَى شيخنا [أبي مدين] قدّس الله سِرّهُ في كثير أزمنته:

الله قُلْ وذر الوُجودَ وما حَوَى   إنْ كنتَ مُرْتادًا بصِدْقِ مُرادِ

ومن المأثور عنه قوله:

مُغِيثُ أيوبَ والكافي لِذِي النون   يُنيلني فرَجًا، بالكافِ والنون

كَمْ كرْبَةٍ من كروبِ الدهر فرَّجها   دونِي ولم ينكشِفْ وجْهِي لمَنْ دونِي

قبره، رضي الله عنه، بالعُبّاد، مَزور مَحْجوج من مصر والشام والعراق والسوس الأقصى.

(92. أبو جعفر الداودي)

(93. ابن غزلون)

والشيخان الفقيهان الصالحان أبو جعفر الدَّاوُدِيّ[176] وابن غَزْلون[177] من أهل العلم والعمل به. قبراهما متجاوران خارج باب العقبة، وتاريخهما [هنالك] في رخامتَيْن عند رأسهما.

(94. أبو عبد الله الحلوي)

والشيخ [الولي] أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي[178]، نزيل تلمسان، من كبار العبّاد العارفين. حَدَّثَ الإمامُ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن محمد بن دَهّاق الأوسي، المعروف بابن المرأة[179]، قال: أتيت من مُرْسِيَة زائرًا عَمَّةً لي بتلمسان، [فما سَرَّني شيءٌ كوُجُوديها حيَّة، وتطوَّفْتُ يومًا بتلمسان]، فرأيت هذا الشيخ يبيع من طبق عُودٍ، في يده، حَلْواء للصِّبْيان الصِّغار، فتَفَرَّسْت فيه مخائل القوم، فاتبعْتُه، فإذا مَن يَمُرُّ به من الصبيان ينقرون له[180]، فيدور ويشطح، وربما أنشد مقطعات متفقة الألفاظ في معنى الْمَحَبّة. فلم أشكّ أنه من الصُّلَحاء. ثم أخذ في ثَمَن شيء من حَلْوائه كَسْرَة خُبْز سَمِيد، فتصَدَّقَ بها على يَتيم ذي أطْمار، بعد

Scanned by CamScanner

علمه بحاجته، فقلت[181]: هذا وليٌّ مَوَّرَ عن مَقامه ببيع الحلواء.

وكان ذلك برمضان، فلما جاء الفِطْر ابْتَغتُ سَمِيدًا وعَسَلاً وقلت لعمَّتي: اصنعي لي مشَهدة، يفطرها عندي رجل من الصالحين. ففعلت، والْتَمَسْتُه في الناس بعد صلاة العيد، فلم أجده، فحَوْقَلْتُ وقلت في نفسي: اللهم بحقه اجمع بيني وبينه [في هذه الساعة، فإذا هو عن يَمِيني، فانْضَمَّ إليَّ وقال: صنعَتْ عمَّتُك المشَهدة؟] فقلت: نعم. فقال: قُمْ بنا إلى ناحية نأكل هذه المشهدة الحاضرة، وحينئذ نمشي إلى دار عَمَّتك، فقمت معه إلى خارج الشريعَة[182]، فأخرج من تحته صَحْفَةً مُغَطَّاة بمنديل نظيف وكَشَطَه فإذا[183] مشَهدة لم يَرَ مِثْلها الرَّاؤون إحْكامَ طَبْخ وجَوْدَةَ صنعة وكَثْرَة إدامٍ. فأكلنا، وتوجَّهْنا إلى الدار، فأحْضَرَتْ عمَّتي مشهدتها، فلم تشبه الأولى في شيء، فأكلنا منها شيئا، وعند فَراغنا قال لي: بماذا تحتَرِفُ؟ قلت: بالقراءة. قال: أتُريدُ أن تَقرأ؟ قلت: نعم. قال: ايتِنِي غدًا إن شاء الله بالْمَسْجد الذي بخندق عَيْن الكسُور[184] من الْمُنْيَة التي بخارج باب القَرْمَدِين، ونقرأ ما تُرِيد.

فخرجْتُ إليه من الغَدِ، فوَجَدْته جالسًا بالْمَسْجد لِوَعْدي. فسَلَّمْتُ[185] وجلسْت[186]، فقال: ما الذي تُريد قِراءتَه؟ فقلت: ما أَلْهَمَكَ الله إليه. قال: اقرأ كتاب الله أوَّلاً فهو أحَقُّ أنْ يُفْتَتَحَ به. فاستعذت[187] بالله من الشيطان الرجيم، وقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم، فتَكَلَّمَ في فضلها عشْرَة أيَّام، ثم قرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شيئًا من الأدب. قال المخبر: فكلُّ ما تسمعونه من أدبي فمنه اسْتَفَدْته، وعنه أخذته في مُدَّة حَوْلَيْنِ كاملَيْن لم ينتقل فيها عمَّا عهدته.

وأخبرني بعض طلبة تلمسان، قال: كان الشيخ يبيع الحلواء ويتصدق بالثمن، وربما سَاح سنةً ثم يَعود. وما أكَلَ في نَهارٍ قَطُّ. ومِمَّا يُنْسَب إليه من النظم، رضي الله عنه، قوله:

إذا نطَقَ الوجودُ أصاخ قومٌ ... بآذانٍ إلى نُطْقِ الوُجود
وذاك النطق ليس به انْعِجامٌ ... ولكنْ دَقَّ عن فهْم البَليد

فكُـــنْ فطِــنًا تُــنادَ مِــنْ قــريبٍ ولا تــكُ مَــنْ يُــنادَى مِــنْ بَعِــيدِ

وقيل إنه ولي القضاء بإشبيلية آخِرَ دولة بني عبد المؤمن، ثم فَرَّ بنفسه منه، وأوَى إلى تلمسان في زَيِّ المجانين. وأخبرني الشيخ أبو الحسن عليّ الْمَيُورقِيّ، من أعيان البلد، عن شيخنا أبي عبد الله الآبلي، قال: كان ابن دهَّاق المتقدم الذكر يُدَرِّسُ كتاب الطهارة من المُدَوَّنَة بالجامع. فقال له يومًا الولي أبو عبد الله الحلوي: إلى كم ذا، غَسْلٌ وحَيْض ونفاس؟ فلما فرغ، أقبل عليه وقال: سيدي، قَلْتَ لي ما قلت، فما تراني أصْنَع؟ فقال: اشْتَغِلْ بما ينفعك. فقال له: أقرأ عليك يا سيدي. قال: لا، ولكن امْضِ إلى فلان بتونس. فخرج ابن دهاق من حينه إلى تونس، ولَقِيَ المذكور، وطلب منه القراءة عليه. فسأله عن بلده، فقال له: تلمسان. فقال له: عليك بشيخي فيها، أبي عبد الله الشوذي.

فعاد المذكور، فلما وصل، لقي الشيخ خارج باب القرمدين، فقال له: رَدَّكَ إليَّ؟ قال: نعم. قال: افعل إذَنْ كفِعْلِي، وركب قصبة، وانصرف. فكسَّر ابنُ دهاق مِزْراقَه، وركب منه قطعة، واتبعه. فكانا يأويان تبتُّلاً إلى كهفٍ خارجَ باب كشوطة، إلى أن مات الشيخ. ودُفِنَ خارج باب علي، وقبره الآن هنالك مزار مقصود مبارك، رحمة الله عليه [ورضوانه].

95. ميمون بن جبارة

وميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي، فرداوي، أبو تَميم[188]. روى عن عبد الله بن عبد الحق التلمساني[189]، ودخل الأندلس. عالم رئيس، جميل الأخلاق، نَدِيّ اليد، ولي القضاء ببلَنْسِيَة، فحمدت سيرته عدلاً وجزالة، وانتفع أهلها بإقرائه إياهم الأصول. أخذ عنه بها أبو جعفر الذهبي[190] وأبو الحجاج بن مرضي. ثم ولي القضاء ببجاية، ثم صرف عنها فمات بتلمسان مجتازًا عليها إلى مراكش، سنة أربع وثمانين وخمسمئة.

96. أبو محمد الْمليتي

والفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن ياسين بن علي [المليتي]

المسناوي[191]. قرأ بالبلاد المشرقية إلى أن تفقّه، ودرس بها وحجّ، وعاد إلى المغرب. فأخذ عنه به أبو الحسن الصغير، والقاضي ابن أبي يحيى[192]. ثم نزل تلمسان، مشهورًا بالعلم والدين والورع، وولي بها القضاء، فلم يعرض لأخذ الجراية عليه، وفي أيامه قُتِل رجلٌ حدًّا. وكان يخدم نفسه بحمل خبزه إلى الفرن، وشراء نَفَقَتِهِ من السوق. ومات في أيام السلطان أبي تاشفين، فاحتفل الناس في حضور جنازته، وحضرها السلطان. وقبره عند باب زيري من داخل تلمسان حرسها الله، رحمة الله عليه.

(97. أبو بكر بن خطّاب الغافقيّ)

ومحمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي، أبو بكر[193]، نزيل تلمسان، من أهل مُرْسِيَة. روى عن أبي بكر بن جَهْوَر[194]، وأبي بكر بن مُحْرِز[195]، وأبي بكر الغافقي، وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الرفاء[196]، وأبي عيسى محمد بن محمد ابن أبي السداد، وأبي المُطَرِّف ابن عميرة[197]، وغيرهم. وأجازه أبو الربيع بن سالم.

وكان من أبرع الكُتّاب خطًّا وأدبًا وشعرًا ومعرفةً بأصول الفقه. كتب بغرناطة عن ملوكها، وقفل إلى مُرْسِيَة، وقد اخْتَلَّتْ أمورُها، فارتحل إلى تلمسان، وكتب بها عن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان. وتوفي بها يوم عاشوراء سنة ست وثمانين[198] وستمئة.

(98. أبو بكر ابن سعادة الإشبيلي)

ومحمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي، أبو بكر وأبو عبد الله[199]. أخذ عن أبي الحسن شرَيْح وأبي العباس بن حرب المَسِيلِيّ[200] وأبي بكر بن العربي. وأجازه أبو بكر بن رزق[201] وابن مدير، وأبو طاهر السِّلفيّ[202]. روى عنه أبو

إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري، وأبو زكرياء يحيى بن عصفور، وأبو العباس بن المري[203]، وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي. وكان

Scanned by CamScanner

مجوِّدًا للقرآن، ضابطا، مُحدِّثا، نقادًا، عالي الرواية، نزل تلمسان وعمَّر بها. وتوفي في رجب سنة ستمئة.

99. أبو الطاهر بن إبراهيم التونسي

والشيخ أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي[204]. أشخِص عن بلده إلى مراكش، واستقرّ آخر عمره بتلمسان. فأقرأ بها العلم، وترهَّبَ منعزلاً عن الناس، وكان من العلماء الْحُفَّاظ. روى عبد الرحمن بن محمد عنه، قال: رأيت القاضي أبا الْمَعالِي في النوم، فقلت له: لقد تكلم الناس فيك كثيرًا لِما قُلته في " البرهان ". فقال: يا بني، مَنْ عرض عقله على الخَلْق لم يَأمَنْ القول.

وروى عنه، قال: دخل عليه يومًا عمر بن العباس، المعروف بالحبَّاك، فقال له أبو الطاهر: رأيتك البارحة في النوم تنشدني:

أجيراني فإني قد وحلتُ ... وفي نفيي وإثباتي، حَصَلتُ

أُنَزِّهُ خالقي عن ذا وعن ذا ... وأغْرفه وليس كمَنْ جهلتُ

فمِمَّ أجيرُك؟ فقال: يا سيدي، ما وصلتُ إليك إلا في هذا. فلمَّا فرغ المجلس خلا بعمر، فتشاورا في حديث بينهما، لم يعرفه أحد.

100. أبو زيد ابن الإمام

101. أبو موسى ابن الإمام

والشيخان الفقيهان العالِمان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الفقيه الإمام الخطيب أبِي عبد الله [محمد] بن عبد الله ابن الإمام[205]، من أهل برشك. إمامان مشهوران بالعلم والرياسة، ولهما ببلدهما سلف صالح. أخبرني ثقاته أن جدَّهُما كان من أولياء الله الأبرار، وكانت له أريضة يعمرها[206] بالْخُضر لِمَعاشه. فعمد إليها ليلة لصَّان، ليحتفرا منها اللفت، فأوثقتهما أرضها، وأصبحا عبرة، نفع الله به. نزلا تلمسان في أيام السلطان المرحوم أبي حمو ابن السلطان المرحوم أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان. فأكرم مثواهما، وابتنى لهما المدرسة المسمَّاة بهما الآن داخل باب كشوطة فرأسا الناس وجالسا

Scanned by CamScanner

الملوك، على هَدْي العلماء وسِمَة الرؤساء، رحمة الله عليهما. وتركا بتلمسان خلفًا كثيرًا، ينتحلون العلم كبيرًا وصغيرًا، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل نجابة درس [ونظر][207].

(102. عِمْران المَشدَّالِيّ)

[والفقيه الحافظ أبو موسى عِمْران المشدالي[208]، من كبار الفقهاء، وخيار العلماء والصلحاء، من زواوة بجاية. قدم تلمسان في أيام السلطان المرحوم أبي تاشفين، فأكرم مثواه. أخذ ببجاية عن الشيخ أبي علي ناصر الدين[209] وغيره. وأخذ عنه الفقيه أبو العباس أحمد بن أحمد المشوّش، والفقيه أبو البركات الباروني[210]، والفقيه أبو عثمان العقباني، وغيرهم.

ولم يكن في معاصِريه أحدٌ مِثْله علمًا بمذهب مالك، وحفظا لأقوال أصحابه، وعرفانا بنوازل الأحكام، وصوابًا في الفُتْيا. ولقد بَذَّ جميع فقهاء المغرب في مسألة الركاب المُمَوَّه بالذَّهب، غرابة نَقْل، واستدلال عقل. تُوُفِّيَ قافلاً من مراكش أيام السلطان أبي الحسن، في حدود خمس وأربعين وسبعمئة.

(103. أحمد المشدالي)

وأخوه أحمد، اللاحق به علمًا ودراية، وحفظا ورواية، وديانة وفضلاً، جلس للتدريس بتلمسان بعد وفاة أخيه فكثر به النفع، رحمه الله].

(104. أبو علي بن يوسف السَّبْتِيّ)

والسيد الشريف المحدث الرحالة أبو علي حسن ابن السيد الشريف المرحوم أبي يعقوب يوسف بن يحيى الحسني السبتي[211]، أخذ عن الأستاذ ابن عبيدة وابن الشاط[212]، ورحل إلى المشرق، فأخذ به عن علماء كثيرين. وولي القضاء بإفريقية ثم بسَواحل تلمسان[213]. واشتَهَرَ فضلُه وعُلِمَ قدرُهُ فنُقِلَ إلى تلمسان ورأس بها الناس وولي قضاءها، فعدل، ولم تأخذه في الله لومة لائم، ثم جالس السلاطين[214] في أعلى[215] طبقات الحظوة. وكان حافظا للعلم، محققا للتاريخ، توفي بتلمسان، رحمة الله عليه.

Scanned by CamScanner

105. أبو القاسم بن أبي علي السبتي)

ولده السيد الشريف الرئيس [أبو القاسم]، مستوطن فاس اليوم، صَدْرٌ من صدور العلماء، ومُجالسي المُلوك، المتصرفين في رسائلهم، أشد الناس حَمِيَّةً، وأكثرهم فضلاً وإقداما ورجولة، رضي الله عنه. وله قلم فَحْلُ الخطاب، بارع النظم والنثر، إلى العلم والدين.

106. أبو عبد الله محمد بن أحمد التميمي)

والفقيه القاضي المبارك أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي[216]، أحد قضاة العدل والورع، من بيت علم ورئاسة[217]. كان جدُّه أبو الحسن بتونس، في أيام المستنصر، قاضي الجماعة وصاحب العلامة وكاتب الإنشاء، من بيوتات إفريقية المشهورين. أخذ ببلده عن الإمام أبي الطاهر بن سرور[218] وغيره. نزل تلمسان بعد حصارها الأول، فولي قضاء وجدة، ثم قضاء تلمسان، [فبَرَّ وعَدَل]. وله تواليف أجلُّها ترتيبُ كتاب اللَّخْمِيّ على المُدَوَّنَة. وتوفي في تلمسان، حدود خمس وأربعين وسبعمئة.

107. أبو العباس بن محمد التميمي)

ولده [الفقيه] أبو العباس أحمد، خير العدول وأزكاهم بتلمسان وفاس.

108. أبو عبد الله بن محمد التميمي)

وأخوه الفقيه الرئيس الوزير الحاجب أبو عبد الله [محمد]، ذو الهمة السَّنِيَّة، والرياسة السَّرِيَّة. تَحَجَّب للسلطان أبي عِنان ابن السلطان أبي الحسن المريني، وحاز ببابه الرياستين بِما لم يُعْرَف لِمِثْله في زمانه، فسَلَك سَنَن الفضلاء الأمْجاد. وتُوُفي أميرًا ببجاية سنة ست وخَمْسين وسبعمئة، وسِيقت جَنازته إلى تلمسان، فدُفِن بها في زاويته الكائنة بطريق العُبَّاد.

109. أبو علي منصور الزواوي)

وشيخنا العلامة المُفْتِي أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي[219]، ذو الرتبة العليا في العلم والدين والتقلل من الدنيا والحذق بالفتيا، مع الخط البارع

Scanned by CamScanner

والنظم الرائق والكتابة غير المتأخرة عن الطبقات[220] النبيلة.

أخذ ببجاية عن أبيه، وعن الشيخ أبي علي ناصر الدين بن أحمد المشدالي والشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمُسفر[221]، والأستاذ أبي علي بن حسين البجائي[222]، والقاضي أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف الزواوي[223]، والفقيه أبي العباس أحمد بن عمران اليانيوي[224]، وبالأندلس عن الفقيه أبي عبد الله الرندي[225]، والشيخ أبي عبد الله ابن الفخار البيري[226]، وقاضي الجماعة أبي القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني[227]، والشيخ الفقيه أبي البركات محمد|ابن الحاج المعروف| بالبلفيقي، والفقيه أبي عبد الله الطنجالي[228]، وبالمغرب عن الفقيه الرئيس أبي محمد عبد المُهيمن بن محمد بن عبد المُهيمن الحضرمي، والمحدِّث الفقيه أبي العباس ابن يَرْبُوع[229]، والقاضي أبي إسحاق بن أبي يحيى. وتصدَّرَ للإقراء بغرناطة وتلمسان، وأفتى الناس بالقطرَيْن في النوازل، مدرك محقق.

هذا ما أمكن الإلمام به من أسماء القوم، سوى من أنجبته من الطلبة العراف، والأمناء الثِّقات والصُّنّاع الحاذقين[230]، في كل صنف. ولو رمنا استيفاء ذكرهم لضاقت صدور الدفاتر عَمَّنْ انتهى إلينا خبره منهم، والغابر أكثر. رضي الله عن الجميع، ورزق مولانا[231] أمير المسلمين أبا حَمُّو، أيده الله من بركات الصالحين والعلماء، ونفعه بجوارهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، لا إله إلا هو.

---

(1) عن ابن يوغان، المتوفى سنة 1142/537، انظر: ابن الزيات، التشوف، ص 101 - 103.

(2) ع، ز، ش: بإزاء قبر سيدي عبد السلام وسيدي أبي مدين.

(3) عن ابن أبي قنون، انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 2، رقم 1916، ص 685 - 686.

(4) أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني، المتوفى سنة 539/ 1144. انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج 1، رقم 536، ص 234 - 235؛ ابن فرحون، م. س.، ص 117.

(5) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني، المتوفى في شعبان 508/1114. انظر:

Scanned by CamScanner

الضبي، م. س.، رقم 364، ص 167؛ ابن بشكوال، م. س.، ج 1، رقم 160، ص 473 - 474.

(6) أبو علي حُسَين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الصدفي، المتوفى سنة 1120/514. انظر: ابن بشكوال، م. س.، ج 1، رقم 330، ص 144 - 146؛ الضبي، م. س.، رقم 655، ص 269؛ المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 294 - 297؛ ابن فرحون، م. س.، ص 104 - 105.

(7) أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبي تليد، المتوفى سنة 1123/517. انظر: ابن بشكوال، م. س.، ج 2، ص 610 - 611؛ ابن الأبار، معجم، ص 187 - 188.

(8) ذكره أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج، ص 200، وعَدَّهُ من تلامذة ابن حرزهم.

(9) أبو الخطاب ابن الجميل، عمر بن حسن بن علي بن فرج، ويعرف أيضًا باسم ابن دحية الكلبي، توفيَ سنة 633 / 1236. انظر: ابن الأبار، م. س.، ج 2، ص 659 - 660؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ص 73 - 74؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص 159 - 167؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 1، ص 153 - 154؛ ابن دحية، كتاب النبراس، تحقيق عباس العزاوي، القاهرة، 1946. La Granja, art. Ibn Dihya, E. I., 2, III, p. 770.

(10) أبو طالب عقيل بن عطية القضاعي، المتوفى سنة 1211/608. انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 2، رقم 1946، ص 694؛ ابن الزبير، م. س.، رقم 313، ص 160.

(11) ز، ش: قضاء تلمسان.

(12) عن أبي الحسن ابن عمران، انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 246.

(13) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي، المتوفى سنة 610 هـ. انظر: ابن الأبار، التكملة، ص 303 - 306؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 140.

(14) كتاب " الإشراف على مذاهب أهل العلم " لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، المعروف بابن المنذر، المتوفى سنة 930/318. انظر: الصفدي، م. س.، ج 1، ص 336؛.

(15) انظر: عبد الواحد المراكشي، م. س.، ص 245 - 246؛ ابن الأبار، التكملة، ج 2، رقم 1931، ص 690؛ ابن الزبير، م. س.، ص 53؛ الضبي، م. س.، رقم 1155، ص 404.

(16) أبو علي الحسن بن عبد الله بن الخراز التلمساني. انظر: ابن الأبار، التكملة، ملحق، ص 35.

(17) أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي، المتوفى سنة 1145/540 - 1146. انظر: الضبي، م. س.، رقم 362، ص 167؛ ابن الأبار، معجم، رقم 17، ص 23 - 26.

(18) أبو محمد عبد الله بن علي اللخمي، سِبط ابن عبد البرّ، والمتوفى سنة 1137/532 بأغمات. انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 2، ص 466؛ شكيب أرسلان، م. س.، ج 3، ص 271.

Scanned by CamScanner

(19) أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري، المتوفى سنة 1176/572. انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 93، ص 33.

(20) أبو علي الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري، المتوفى سنة 598 / 1201 بفاس. انظر، ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 70، ص 26.

(21) وقع تحريف لهذا الاسم في جميع النسخ. فكتب في س، ر، ل: يرجان، وفي ز، ش: يزجان، وفي ع: برجان. وأبو زيد ابن يوجان (عبد الرحمن بن موسى بن يوجان بن يحيى الهنتاتي) مشهور في تاريخ الموحدين بالدور الذي لعبه أثناء الفتنة التي قامت أيام عبد الواحد المخلوع، ثم في عهد العادل، وقتل بعد وفاة العادل بقليل بمراكش، في آخر سنة 624 هـ، أو أول سنة 625 هـ. انظرا: ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ص 67 - 70.

(22) محمد بن أبي زيد بن يوجان. كان واليًا على تلمسان أيام العادل، وفي بداية عهد إدريس المأمون، أرسل إليه بالبيعة بعد أن قتل أنصارُ المعتصم أباه. انظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 253.

(23) ز، ش، ع: اللحام. عن أبي عبد الله ابن الحجام، انظر: ابن الزيات التادلي، م. س.، ص 462 - 463؛ ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج 3، ص 87 - 89.

(24) أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد بن نَمْوِي، المتوفى سنة 1217/614. انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 351 - 352.

(25) أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن زانيف، المتوفى سنة 612. انظر: نفسه، ص 165.

(26) أبو زيد عبد الرحمن الفازازي، المتوفى سنة 1229/627. هو أخو صاحب الترجمة رقم 30، فيما يلي، ص 122. انظر: ابن الأبَّار، التكملة، ج 2، رقم 1641، ص 585 - 586.

(27) كذا في ر، ل؛ وفي س: أبو عبد محمد؛ وفي ز، ش: أبو عبد الله محمد؛ وفي ع: أبو عبد الله.

(28) ل، ز، ش، ع: وحظي عنده وعند ملوكها الناصر والمستنصر؛ وفي س، ر: وحظي عند ملوكها الناصر والمستنصر.

(29) ر، ل، ز، ش، ع: ما يجن من النحيب. ووجب القلبُ وجيبًا يعني: رجف وخفق.

(30) عن محمد بن إبراهيم الغساني، انظر: الحفناوي، ج 2، ص 332.

(31) أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي العزفي السبتي، المتوفى في سنة 633 / 1235 - 1236. انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 63.

(32) أبو بكر محمد بن طلحة الأموي الإشبيلي، المتوفى سنة 1221/618. انظر: ابن الأبار،

Scanned by CamScanner

التكملة، ج 1، ص 319 - 320؛ الغبريني، م. س.، ص 156؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص 49.

(33) عن أبي علي الشلوبين، عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، المتوفى سنة 645/ 1247، انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 2، ص 658؛ ابن فرحون، م. س.، ص 185 - 186؛ ابن سعيد، المغربي، ج 2، ص 129؛ ابن عبد الملك المراكشي، م. س.، ج 5، قسم 2، رقم 807، ص 247؛ ابن الزبير، م. س.، ص 70 - 71؛ السيوطي، م. س.، ص 364؛ Brockelmann, G• A• L., I, 308, sup. I, 541.

(34) ز، ش، ع - : أبو العيش؛ عن أبي العيش بن عبد الرحيم الخزرجي، انظر: أحمد بابا التنبكتي، ص 332؛ الزركلي، م. س.، ج 7، ص 216؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 333 - 335.

(35) ش - : بن مفرج؛ ع - : بن سعادة. عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة، انظر، فيما يلي، الترجمة رقم 98، ص 144.

(36) أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله، المتوفى سنة 1215/612؛ انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 2، رقم 1435، ص 506 - 509؛ ابن فرحون، م. س.، ص 142؛ الغبريني، م. س.، ص 170؛ الرصاع، م. س.، ص 105 وهامش 4؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 112؛ المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 66 - 67؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص 267.

(37) وفي ر، ل، ز، ش، ع: ودع.

(38) ل، ب: غير.

(39) ر، ل، ز، ش، ع: ولا ألقى.

(40) ز، ش، ع - : عفا الله عنه؛ ر، ل: رحمه الله تعالى (عوض عفا الله عنه).

(41) ر، ل، ز، ش، ع: معرفة.

(42) ع: والدرر المنظومة.

(43) ذكر الذهبي أن صاحب هذه الترجَمة، أبا الْحسن علي ابن الْخَضار، كان ابن صاحب الترجَمة السابقة، لا أخاه، وأنه توفي سنة 676 هـ بسبتة. انظر: عادل نويهض، م. س.، ص 119.

(44) صاحب هذه الترجمة، أبو علي مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني، هو ابن صاحب الترجمة رقم 29، فيما يلي ص 157.

(45) عن أبي عمران بن عمران، انظر: عبد الواحد المراكشي، م. س.، ص 246، 313، 325.

(46) أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، ويعرف بابن الخراط، توفيَ سنة 581 / 1185. انظر: الغبريني، م. س.، ص 105 - 106. انظر، فيما قبل، الترجمة رقم 6.

Scanned by CamScanner

س.، ص 20؛ الرصاع، م. س.، ص 105 وهامش 2؛ ابن فرحون، م. س.، ص 175 - 177.

(47) أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن القرشي؛ انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 1، ص 385.

(48) أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، ويعرف بابن الخراط، توفيَ سنة 581 / 1185. انظر: الغبريني، م. س.، ص 20؛ الرصاع، م. س.، ص 105 وهامش 2؛ ابن فرحون، م. س.، ص 175 - 177.

(49) انظر ترجمته في "صلة الصلة" لابن الزبير، رقم 356، ص 180 (ويذكر أن كنيته أبو الحسن).

(50) ش، ع: ومنهم أبو الحسن بن الصيقل. وزيادة " ومنهم " قبل ذكر الاسم الذي اشتهر به صاحب الترجمة توهم أنه اسم عالم آخر، والحقيقة أنه نفس العالم المذكور قبل ذلك.

(51) انظر: ابن مريم، م. س.، ص 56 - 57؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 182.

(52) توفيَ سنة 641 / 1243؛ انظر: ابن مريَم، م. س.، ص 121؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 141 - 142؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 154 - 156، 185.

(53) وفي ر، ل، ش، ع: والزهد.

(54) ر، ل: خاش؛ ع: كان خاشعًا.

(55) ر، ل، ش، ع: يأتيه.

(56) ر: خاطر.

(57) ر، ل، ع: أن عاب وسخا رآه بثوب الشيخ.

(58) ر، ل، ع: فاحتوشته.

(59) ر، ل، ع: قول بعضهم.

(60) عن أبي يعقوب التيفريسي، انظر: ابن مريم: م. س.، ص 296 - 297؛ Bargès, Complément ..., pp. 96 - 97.

(61) اختصِرَتْ هذه الجملة في ز، ش، ع هكذا: فبينما هو يومًا يقرئ الطلبة.

(62) ز، ش، ع +: فأخذها الحنش بفيه، وسار عن الشيخ بعدما تَمَرَّغ بين يديه كأنه يطلب منه الدعاء.

(63) ورد هذا الحوار في ز، ش، ع، كما يلي: فقالوا للشيخ: يا سيدي، ما هذا الأمر الذي ما نعرفه قط؟ فقال لهم: هذا رسول بعثته قبيلة من الجن من أرض العراق بهذا السؤال فأجبناه.

(64) عن أبي العلى المديوني، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 70.

(65) ز، ش، ع: في جمادى الأولى.

(66) انظر: ابن الزيات، م. س.، رقم 264، ص 458 - 460.

Scanned by CamScanner

(67) ر: أول.

(68) وفي التشوف (ص 459)، يا ويلها! ز، ش، ع +: ما هذا الأمر الذي أنت فيه.

(69) ز، ش، ع +: في البحر.

(70) ذكر صاحب " التشوف " أنه توفي بفاس. انظر: ابن الزيات التادلي، م. س.، رقم 126، ص 273 - 275؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 170 - 171.

(71) هو أبو يحيى أبو بكر بن خلف الأنصاري، المتوفى سنة 599 / 1203 بفاس. انظر: ابن الأبار، التكملة (الملحق)، رقم 596، ص 261 - 262؛ ابن الزيات التادلي، م. س.، ص 265، 273، 395؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 103؛ ابن عبد الملك المراكشي، م. س.، نقلاً عن ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 3، ص 142 - 143.

(72) أبو العباس أحمد بن محمد الحصار. ذكره صاحب " التشوف "، ص 273، في ترجمة أبي الربيع التلمساني.

(73) كذا في ش، ز؛ وفي س، ر، ل، ع: بالنسج.

(74) ر، ل: قيمته.

(75) كذا في ر، ل، ع. وفي س، ز، ش: أبو بكر.

(76) ز، ش: العجلي؛ ر، ل، ع: العجيسي.

(77) ر، ل: فحالله؛ ز: فحللت له؛ ش: فحللت؛ ع: فحابته.

(78) عن أبي إسحاق التلمساني، المتوفى سنة 697 هـ انظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 181؛ ابن فرحون، م. س.، ص 90 - 91؛ ابن مريم، م. س.، ص 55 - 56.

(79) عن أبي عبد الله بن خميس، المتوفى سنة 1309/708، انظر: التعريف بابن خلدون، ص 39؛ العبدري، الرحلة المغربية، ص 11 - 14؛ ابن قنفذ، وفيات، ص 341؛ ابن حجر، م. س.، ج 4، رقم 4173، ص 113؛ ابن مريم، م. س.، ص 225؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 277 - 297؛ أزهار الرياض، ج 2، ص 301، 308، 322 - 329، 335 - 340؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 366 - 382؛ الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 204.

(80) حذف ما يلي من ترجمة ابن خميس في ج، ط، ز، ش، وعوض بما يلي: له مناقب كثيرة وفضائل عظيمة.

(81) ر، ل، ع: بيدها.

(82) ل، ع: سليخة؛ ر: سليخة ضأن.

(83) ر، ل، ع: طول.

(84) ر، ل: وبعد؛ نفح الطيب: وفرط.

(85) ر، ع، نفح الطيب: شوهاء.

Scanned by CamScanner

(87) س، ع: بفضل.

(88) ر: عزمة.

(89) نفح الطيب: قشف.

(90) لم ترد هذه الأبيات الأربعة الأخيرة في ل، س، ع.

(91) ر، ع، نفح الطيب: تكر.

(92) ر، ع: وإنْ.

(93) هذا البيت ناقص في ر، ل، س، ع، نفح الطيب، ولم يرد إلا في رحلة العبدري.

(94) هذه الأبيات الخمسة ناقصة في ل، س، ع.

(95) ل: كذر.

(96) س: صخاب.

(97) هو أربد بن قيس، أخو لبيد. انظر: النويري، نهاية الأرب، ج 18، ص 51؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 8، رقم 3758، ص 332؛ الأغاني، ج 17، ص 15.

(98) س: إليَّ.

(99) نفح الطيب: عليه.

(100) ع: غلالتها.

(101) انظر: ابن مريم، م. س.، ص 224؛ Bargès, Complément..., p. 16.

(102) عن أبي عبد الله بن عبد الحق، انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 2، رقم 1628؛ ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج 3، ص 98 - 99؛ نويهض، م. س.، ص 153 - 154.

(103) ورد وصف أبيه أبي محمد عبد الحق بالفقيه في إجازة أحد تلاميذه من بجاية؛ انظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 149.

(104) عن أبي بكر اللقنتي، محمد بن أحمد بن محمد بن سفيان السلمي، المتوفى بعد سنة 557/ 1161، ونزيل تلمسان، انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 718، ص 210 - 211.

(105) في ع وجميع النسخ المخطوطة: مجبر، وهي رواية خاطئة، أمكن تصحيحها اعتمادا على كتاب "التشوف"، رقم 56، ص 158 - 160.

(106) ذكره المستشرق يوسف شخت في مقال "حول بعض المخطوطات المحفوظة بمكتبات المغرب"، مجلة Hesperis، سنة 1968، القسم الأول، ص 39، رقم 32. ويفهم من عنوان هذا الكتاب أن المؤلف اعتمد على كتاب "المنتقى" لأبي الوليد الباجي، وكتاب "الاستذكار بمذهب علماء الأمصار" لابن عبد البر.

(107) نسبة إلى شلوبانية، حصن يقع في ساحل غرناطة، بين مالقة والمرية. انظر: نفح الطيب، ج 6، ص 274؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 333.

(108) صاحب الترجمة، أبو عبد الله ابن عمران، هو والد صاحب الترجمة رقم 14، السابق الذكر

Scanned by CamScanner

ص 111. انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 264 - 312؛ ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 1063، ص 374؛ ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج 3، ص 70.

(109) عن أبي جعفر بن ثعبان البكي، انظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج 1، القسم 1، رقم 88، ص 79.

(110) ش، ز، ع +: بمراكش.

(111) عن أبي عبد الله الفازازي، انظر: عبد الواحد المراكشي، م. س.، ص 312؛ ابن الأبار، م. س.، ج 2، رقم 2135، ص 751؛ نفح الطيب، ج 7، ص 211 - 212.

(112) أبو عمران بن مروان هو أخو أبي علي بن مروان، صاحب الترجمة رقم 14، وابن أبي عبد الله ابن مروان، صاحب الترجمة رقم 29.

(113) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، المتوفى سنة 543 / 1148. انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 281 - 284؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 1، ص 249 - 250؛ النباهي، م. س.، ص 105 - 107؛ ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 3، ص 11 - 21؛ نفح الطيب، ج 2، ص 233 - 250؛ J. Robson, dans E. I., III, p. 729 ; Brockelmann, G‹ A‹ L., I, p. 525, et sup. I, pp. 105 - 107.

(114) ورد في ع وفي سائر النسخ المخطوطة خطأ في اسم صاحب هذه الترجمة، فعوض أبو الحسن باسم " أبو عبد الله محمد ".

(115) عن أبي الحسن التنسي، المتوفى سنة 703 هـ، انظر: العبدري، م. س.، ص 11؛ ابن مريم، م. س.، ص 28 - 29.

(116) عن أبي عبد الله بن مرزوق، جد الجد، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 226؛ Bargès, Complément ..., pp. 15 - 16.

(117) أبو زيد عبد الرحيم بن محمد اليزناسني. انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 177 - 178.

(118) عن أبي العباس ابن مرزوق، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 27 - 30؛ نفح الطيب، ج 7، ص 165.

(119) عن أبي الحسن الصغير، انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 212 - 213؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 1، ص 204 - 205.

(120) عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرزاق الجزولي، انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 249؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج 1، رقم 750، ص 283.

(121) ر، ل، ب، ق، ح: ساكنها.

(122) أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الخطيب، هو مؤلف كتاب "المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن"، الذي أهداه إلى السلطان عبد العزيز المريني حوالي ... وضمنه حياة أبي الحسن المريني وآثاره ومنجزاته العمرانية. انظر أيضا:

Scanned by CamScanner

التعريف بابن خلدون، ص 49 - 54؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 196؛ ابن مريم، م. س.، ص 184 - 190؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 267 - 270؛ ابن فرحون، م. س.، ص 305 - 309؛ نفح الطيب، ج 7، ص 309 - 338؛ الحفناوي، م. س.، ج 1، ص 136 - 144؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1، ص 394 - 396؛ ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 4، ص 26 - 37؛ كحالة، م. س.، ج 9، ص 16 - 17؛ M. Hadj Sadoc, Ibn Marzuk, art. dans E. I., nouv. éd. III, pp. 890 - 892 ; E. Lévi - Provençal, Le Musnad d'Ibn Marzuk, dans Hespéris, V, 1925, pp. 1 - 82.

(123) عن أبي زكريا يحيى بن الصيقل، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 305 وهامش 1.

(124) عن أبي زكريا يحيى بن صاحب الصلاة، راجع: ابن مريم، م، س.، ص 55.

(125) عن أبي عبد الله بن هدية، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 225؛ الْمَقري، نفح الطيب، ج 7، ص 158 - 159؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 549 - 550؛
Bargès, Complément ..., pp. 77 - 78.

(126) ل +: قوله.

(127) وهو غير صاحب الترجمة رقم 27 السابقة. انظر: البستان، ص 225.

(128) هنا وقع خلط بين اسم وهب بن منبه الصنعاني، المتوفى سنة 114 أو 110 هـ، وبين أحد الصالحين القدماء الذي نسب إليه أحد أبواب تلمسان، وهو باب وهب، والأصح باب وهاب. ووهاب هذا شخص مجهول، الأمر الذي جعل الكثير من الناس يعتقدون أنه وهب بن منبه، وهو خطأ. ويبدو أن المؤلف اكتفى هنا بنقل ما سمع من إشاعات بتلمسان.

(129) هو ابن صاحب الترجمة رقم 50 التالية. انظر: نفح الطيب، ج 7، ص 165 و313.

(130) ز، ش: وهو معروف بالزهد والعبادة (عوض: متصوف تربى وربى).

(131) هو الشيخ الصوفي أبو العباس أحمد بن علي الرفاعي، الْمُتَوَفَّى سنة 578 هـ. انظر: D. S. Margoliouth, art. dans E. I., III, pp. 1236 - 7.

(132) هو أخو صاحب الترجمة رقم 50؛ انظر: ابن مريم، م. س.، ص 30.

(133) انظر: ابن مريم، م. س.، ص 57.

(134) ز، ش، ع: لا أمنعه من قصده.

(135) هذه الترجمة، والتي بعدها إلى رقم 92، ناقصة في ز، ش، ط، ج.

(136) ر، ل، ع: ينسخه.

(137) عن أبي عبد الله ابن النجار، انظر، فيما قبل، ص 28، هامش 4.

(138) عن أبي الحسن ابن الفحام، انظر: Bargès, Complément..., pp. 217 - 18.

(139) ع +: دينار.

(140) عن المنجانة، انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 30.

(141) ر، ل، ع: قطوال.

Scanned by CamScanner

(142) خليص حصن بين مكة والمدينة. انظر: صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ج 1، ص 479؛ البكري، معجم ما استعجم، ج 2، ص 509.
(143) عن أبي العباس بن البناء، انظر، فيما قبل، ص 23، هامش 3.
(144) عن أبي عبد الله الشريف، انظر، فيما قبل، ص 29، هامش 1.
(145) عن أبي محمد بن أبي عبد الله الشريف، المتوفى سنة 792 هـ، انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 150 - 154؛ ابن مريم، م. س.، ص 117 - 120؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 236 - 239؛ Bargès, Complément..., pp. 195 - 204.
(146) عن أبي عبد الله المقري، المتوفى سنة 759 هـ، انظر: التعريف بابن خلدون، ص 59 - 62؛ ابن مريم، م. س.، ص 154 - 164؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 136 - 165؛ المقري، نفح الطيب، ج 7، ص 129 - 261؛ ابن إبراهيم المراكشي، م. س.، ج 3، ص 287 - 315؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 493 - 502؛ Bargès, Compl..., pp. 241 - 250 ; A. Bel, La religion musulmane ..., I, pp. 327 - 30.
(147) في ع وكل المخطوطات: ست. والصواب تسع، اعتمادا على المراجع المذكورة ص 118.
(148) كان قاضيًا في عهد أبي سعيد بن يغمراسن. وهو غير أبي زكرياء يحيى بن عصفور التلمساني المحدث، نزيل تونس وشيخ لسان الدين ابن الخطيب (نفح الطيب، ج 7، ص 113)، وغير أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور العبدري، تلميذ أبي عبد الله بن عبد الحق وشيخ أبي العباس الصدفي الشاطبي وابن الأبار وأبي عبد الله ابن مرزوق (عنوان الدراية، ص 51، 225).
(149) عن أبي الحسن ابن زاغو، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 41 - 42.
(150) عن أبي عمران موسى المشدالي، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 294.
(151) لم ترد هذه الترجمة في ر، ل، ع، ولا توجد إلا في س.
(152) عن أبي عمران موسى المصمودي البخاري، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 156؛ نفح الطيب، ج 7، ص 160؛ جذوة الاقتباس، ص 291.
(153) عن أبي عبد الله بن عبد النور، انظر، فيما قبل، ص 17، هامش 1.
(154) عن أبي الحسن بن عبد النور، المتوفى سنة 764 هـ، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 144؛ التعريف بابن خلدون، ص 46 - 47.
(155) عن أبي عبد الله محمد ابن صاحب الترجمة، المتوفى حوالي 790 هـ انظر: التعريف بابن خلدون، ص 47.
(156) ر، ل: بأحضري. عن أبي يعقوب أحصري، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 297.
(157) س، ب: الحياة؛ وفي المخطوطات الأخرى: الحيوة. والظاهر أنها تحريف للكلمة التي أثبتناها (الخلوة)، والتي هي أكثر ملاءمة للسياق.

Scanned by CamScanner

(158) عن أبي زكريا ابن رحمون، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 307.

(159) هذه الترجمة ساقطة في ر، ل، ع، ولا توجد إلا في س.

(160) في ر، ل، ع: وردت التراجم رقم 80، 81، 83 بعد الترجمة رقم 86.

(161) عن أبي عثمان سعيد العقباني، المتوفى سنة 811 هـ، انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 124 - 125؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 125 - 126؛ ابن مريم، م. س.، ص 106 - 107؛ الرصاع، فهرسة، ص 114 والهامش 2؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، رقم 1357، ص 471 - 472؛ كحالة، م. س.، ج 4، ص 230؛ نويهض، م. س.، ص 75 - 76؛ Bargès, Complément..., pp. 114 - 117 et 270 - 72.

(162) ر، ل، ع: ومهارة حذق في الحساب.

(163) عن الشاعر أبي عبد الله ابن البنا، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 226.

(164) ر: للمتشق.

(165) عن الحاجب أبي محمد الحباك، انظر، فيما بعد، ص 225.

(166) عن عبد السلام التونسي، انظر: التشوف، ص 88 - 91؛ ابن مريم، م. س.، ص 122؛ ابن قنفذ، أنس الفقير، ص 107 - 108.

(167) عن عبد العزيز التونسي، المتوفى سنة 486 هـ بأغمات، انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج 2، رقم 807، ص 376؛ ابن الزبير، صلة الصلة، رقم 3، ص 1 - 2؛ التشوف، رقم 6، ص 68 - 70؛ ابن قنفذ، م. س.، ص 106 - 107.

(168) الكلمتان الأخيرتان (عند العيمة) لا توجدان إلا في س، وقد سقطتا في سائر المخطوطات الأخرى وفي ع. والعيمة هي شهوة اللبن. وهنا، قد يكون المعنى أعمّ، أي شهوة أكل اللحم وغيره.

(169) عن الولي أبي مدين شعيب، انظر: التشوف، رقم 162، ص 316 - 325؛ ابن الأبار، التكملة، ج 2، ص 715؛ نفح الطيب، ج 9، ص 342 - 351؛ أزهار الرياض، ج 2، ص 308 - 309؛ جذوة الاقتباس، ص 332؛ ابن مريم، م. س.، ص 108 - 114؛ الغبريني، م. س.، ص 5 - 13؛ ابن قنفذ، أنس الفقير، ص 11 - 20؛ محمد الرشيد مولين، عصر المنصور الموحدي، ص 259؛ .; G. Marçais, art. dans E. I. 2, I, pp. 141 - 42

(170) عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، المتوفى سنة 559 هـ، انظر: التشوف، رقم 51، ص 147 - 153؛ عبد الله كنون، م. س.، ج 1، ص 90 - 91؛ Brockelmann, G. A. L., I, pp. 566 - 7; A. Faure, art. dans E. I.2, III, pp. 823 - 4.

(171) عن أبي عبد الله الدقاق، المتوفى في منتصف القرن السادس هـ، انظر: التشوف، رقم 41، ص 135 - 137؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 3، ص 102؛ ابن قنفذ، م. س.، ص 27؛ A. Faure, art. dans E. I. 2, II, p. 102 - 3 ; A. Bel, Sidi Bou Medyan et son maître ed - Daqqaq à Fès, dans Mélanges R. Basset, I, pp. 31 - 68.

Scanned by CamScanner

(172) عن أبي يعزّى يلنور بن ميمون بن عبد الله الهزميري، المتوفى سنة 572 هـ انظر: أبو العباس التادلي، م. س.، ورقة 3 أ إلى 44 أ؛ ابن صعد، م. س.، ص 148 – 152؛ ابن أبي زرع، م. س.، ص 191 – 192؛ E. Lévi - Provençal, art. dans E. I., 2, I, p. 164; V. Loubignac, Un saint berbère, Moulay Bou'azza, histoire et légende, dans Hespéris, XXXI, 1944, p. 15.

(173) عن أبي محمد صالح، المتوفى سنة 631 هـ تلميذ أبي مدين شعيب وشيخ أبي عبد الله السجلماسي، انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 129 – 130؛ الغبريني، م. س.، ص 72 – 73.

(174) عن يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي، ويعرف بابن الزيات، المتوفى سنة 627 أو 628 هـ، انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 352.

(175) عن بلال بن عبد الله الحبشي، انظر: ابن قنفذ، م. س.، ص 93 – 94؛ ابن مريم، م. س.، ص 71؛ نفح الطيب، ج 7، ص 165.

(176) عن أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني، المتوفى سنة 402 هـ انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 35؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 3، ص 116 – 124، ج 4، ص 623 – 624؛ ابن خير، الفهرسة، ج 1، ص 87، 440 – 441؛ ابن صعد، م. س.، ص 223 – 225؛ H. R. Idris, Contribution à l'histoire de la vie religieuse en Ifriqiya ziride (X° - XI° siècles), dans Mélanges L. Massignon, II, pp. 332 - 8; H. H. Abd al - Wahhab et F. Dachraoui, Le régime foncier en Sicile au Moyen Age (IX° et X° siècles), éd. et trad. d'un chapitre du Kitab al - Amwal d'ad - Dâwûdî, dans Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi - Provençal, 2 vol., Paris, G. P. Maisonneuve et Larose, 1962, II, pp. 401 - 44.

(177) عن أبي جعفر أحمد بن علي بن غزلون الأموي المتوفى سنة 524 هـ انظر: ابن بشكوال، م. س.، ج 1، رقم 169، ص 77.

(178) عن أبي عبد الله الحلوي، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 68 – 70؛ Bargès, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, p. 417 sq.

(179) عن أبي إسحاق ابن دَهّاق، المتوفى سنة 611 هـ بمرسية، انظر: ابن الأبار، التكملة (ملحق)، رقم 429، ص 200؛ ابن فرحون، م. س.، ص 90؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 180؛ جذوة الاقتباس، ص 87؛ الصفدي، م. س.، ج 6، ص 171.

(180) ز، ش +: في أكفافهم.

(181) ز، ش، ع +: في نفسي.

(182) كذا في س، ش؛ وفي ر، ل، ز، ع: المصلى.

(183) ز، ش، ع +: هو فيه.

(184) ز: الذي عند عين النسور.

(185) ز، ش +: عليه.

Scanned by CamScanner

(186) ز، ش +: بين يديه.

(187) ر، ل، ز، ش: فتعوذت.

(188) عن ميمون بن جبارة، انظر: الغبريني، م. س.، ص 120؛ ابن الأبار، م. س.، ج 1، رقم 1138، ص 396 - 397؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج 3، ص 183.

(189) لا يوجد شخص يدعى عبد الله بن عبد الحق التلمساني، من بين أشياخ ميمون بن جبارة. ولعل الصواب أن يقرأ: " روى عنه أبو عبد الله بن عبد الحق.. " كما أشار إليه الغبريني في عنوان الدراية، ص 120.

(190) أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن البلنسي، المتوفى سنة 601 هـ بتلمسان. أخذ عن ابن رشد، انظر: ابن الأبار، التكملة (ملحق)، ص 117؛ امحمد الرشيد مولين، م. س.، ص 229.

(191) عن أبي محمد المليتي، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 226.

(192) عن القاضي ابن أبي يحيى، أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي، المتوفى سنة 749 هـ، انظر: بغية الرواد، فيما قبل، ص 20، هامش 1.

(193) عن أبي بكر بن خطاب الغافقي المرسي، انظر: ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 163؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 275 - 278؛ ابن مريم، م. س.، ص 227؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، من " نظم الدر والعقيان "، تحقيق محمود بوعياد، ص 127 - 128؛ Bargès, Complément..., p. 14.

(194) عن أبي بكر محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن جهور، المتوفى سنة 629 هـ، انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 989، ص 338 - 339.

(195) أبو بكر بن محرز، واسمه محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري البلنسي، المتوفى سنة 655 هـ في بجاية، انظر: الغبريني، م. س.، ص 170 - 173؛ الصفدي، م. س.، ج 1، ص 198 - 200؛ نفح الطيب، ج 2، ص 272؛ شكيب أرسلان، م. س.، ج 3، ص 187.

(196) عن أبي علي الرفاء، المتوفى سنة 633 هـ انظر: ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 52، ص 22.

(197) عن أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي، المتوفى سنة 656 أو 658 هـ انظر: نفح الطيب، ج 1، ص 284 - 300؛ أزهار الرياض، ج 3، ص 218؛ الغبريني، م. س.، ص 178 - 180؛ ابن عبد الملك المراكشي، م. س.، ج 1،

Scanned by CamScanner

سفر ا، ص 150 - 170؛ محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، الرباط، 1966.

(198) وفي ع وسائر النسخ المخطوطة: وللالين، والصواب ما أثبتنا، اعتمادا على الإحاطة.

(199) عن أبي بكر بن سعادة الإشبيلي، انظر: ابن الأبار، م. س.، ج 1، رقم 879، ص 284؛ ابن مريم، م. س.، ص 227؛ الرصاع، فهرست، ص 98 وهامش 1.

(200) عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي، المتوفى بعد 539 هـ انظر: ابن الأبار، التكملة (ملحق)، رقم 134، ص 60؛ ابن مريم، م. س.، ص 31.

(201) عن أبي بكر يحيى بن محمد بن رزق، المتوفى سنة 560 هـ انظر: ابن الزبير، م. س.، رقم 357، ص 180 - 182؛ الضبي، بغية الملتمس، رقم 1455، ص 497.

(202) عن أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الإسبهاني، المتوفى سنة 576 هـ، انظر: ابن الأبار، معجم، رقم 36، ص 48 - 53؛ ابن قنفذ، وفيات، ص 289 وهامش 1؛ أزهار الرياض، ج 3، ص 167، 283؛ شكيب أرسلان، م. س.، ج 2، ص 45 - 46؛ إحسان عباس، أخبار وتراجم أندلسية، من كتاب معجم السفر لأبي طاهر السلفي، ص 5 - 13.

(203) ق - : المري؛ ع: الموق.

(204) عن أبي الطاهر بن إبراهيم التونسي، المتوفى سنة 608 هـ انظر: ابن الزيات التادلي، التشوف، رقم 227، ص 419 - 420.

(205) عن أبي زيد، المتوفى سنة 743 هـ وأبي موسى، المتوفى سنة 749 هـ ابني الإمام، انظر: التعريف بابن خلدون ص 22، 26، 29 - 32، 47؛ ابن فرحون، م. س.، ص 152؛ أحمد بابا، م. س.، ص 166 - 168، 190 - 193؛ ابن مريم، م. س.، ص 123 - 127؛ الوزير السراج، الحلل السندسية، ص 832 - 835؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 201 - 213، 301 - 307؛ التنسي، م. س.، ص 127، 139؛ Bargès, Complément..., pp. 56 - 66 ; Le même, Tlemcen..., p. 327 sq.

(206) ز، ش، ع: يعتمرها.

(207) ز، ش، ع +: وقبراهما خارج باب الجياد مستجابا الدعاء.

(208) عن أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي، انظر: التعريف بابن خلدون، ص 61؛ نفح الطيب، ج 7، ص 148 - 149؛ الحفناوي، م. س.، ج 1، ص 73 - 76؛ Bargès, Complément..., pp. 76 - 77, Le même, Tlemcen..., p. 332.

Scanned by CamScanner

(209) عن أبي علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، المتوفى سنة 731 هـ انظر: الغبريني، م. س.، ص 134 – 135؛ أحمد بابا، م. س.، ص 344 – 345.

(210) عن أبي البركات محمد بن محمد بن الحسن الباروني التلمساني، المتوفى بعد سنة 761 هـ، انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 340؛ الحفناوي، م. س.، ج 2، ص 101 – 102؛ وسماه أحمد بابا أبا عبد الله.

(211) عن أبي علي بن يوسف السبتي، المتوفى سنة 753 هـ بتلمسان، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 144؛ نفح الطيب، ج 7، ص 156 – 158.

(212) عن ابن الشاط، أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد، المتوفى سنة 723 هـ، انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 225 – 226؛ درة الحجال، ج 2، رقم 1304، ص 456؛ الكتاني، م. س.، ج 2، ص 413؛ عبد الله كنون، م. س.، ج 1، ص 208؛ Brockelmann, G. A. L., II, p. 340, sup. II, p. 374.

(213) ر، ل، ع: بوهران وبهنين.

(214) ر، ل، ع: الملوك.

(215) ر، ل، ع: أرفع.

(216) عن أبي عبد الله محمد بن أحمد التميمي، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 291؛ نفح الطيب، ج 7، ص 159؛ Bargès, Complément…, pp. 53 - 54 ; Brosselard, Les Inscriptions arabes de Tlemcen, dans R. A., III, déc. 1858, n° 14.

(217) ر، ل، ع: من بيوتات إفريقية المشهورة (عوض: من بيت علم ورئاسة).

(218) عن أبي الطاهر بن سرور، المتوفى سنة 700 هـ، انظر: درة الحجال، ج 1، رقم 436، ص 151.

(219) عن أبي علي منصور الزواوي، انظر، فيما قبل، ص 42 وهامش 2.

(220) ر، ل، ز، ش، ع – : غير المتأخرة عن الطبقات.

(221) عن أبي عبد الله المسفر، المتوفى سنة 744 هـ، انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 240؛ نفح الطيب، ج 7، ص 172 – 173؛ درة الحجال، ج 1، ص 212، ص 243.

(222) عن أبي علي حسين بن حسين البجائي، انظر: نفح الطيب، ج 7، ص 773.

(223) عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف يعقوب الزواوي، المتوفى سنة 730 هـ انظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج 1، رقم 526، ص 204 – 205؛ نفح الطيب، ج 7، ص 173.

Scanned by CamScanner

(224) عن أبي العباس أحمد بن عمران البجائي اليانيوي، انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 69؛ نفح الطيب، ج 7، ص 173.

(225) عن أبي عبد الله محمد الرندي الفاسي، المتوفى سنة 746 هـ انظر: أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 240 – 241.

(226) عن أبي عبد الله محمد ابن الفخار، انظر: نفح الطيب، ج 7، ص 275 – 278 و297 – 302.

(227) عن أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الْحَسَنِيّ الشريف السَّبْتِي، الْمتوفَّى سنة 760 هـ بغرناطة، انظر: النباهي، م. س.، ص 171 – 177؛ الرصاع، م. س.، ص 119 وهامش 1؛ نفح الطيب، ج 7، ص 116 – 124؛ عبد الله كنون، م. س.، ج 1، ص 211 – 212؛
H، P، J، Renaud, Un médecin du royaume de Grenade, Muhammed as - saquri, dans Hespéris, 1946, 1° et 2° trim. p. 35 et n. 20.

(228) ز، ش: الطنجي. عن أبي عبد الله الطنجالي الهاشِمي، المتوفى بعد 750 هـ انظر: نفح الطيب، ج 7، ص 307 – 308.

(229) عن أبي العباس بن يربوع، انظر: ابن مريم، م. س.، ص 31.

(230) ر، ز، ش، ع: الحذاق.

(231) ر، ل، ع +: الخليفة.

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث
من الباب الأول من القسم الأول
(فيمن تملك تلمسان من لدن الفتح)[1]

قد ذكرنا أولاً أن تلمسان من حدود المغرب الأقصى، ولا خلاف في أن أهله أسلموا عليه، فلن يُغزَى إلى عَنْوَة ولا إلى صُلْح. ولمَّا لم تكن في الإسلام دارَ مُلْكٍ إلا لِهذا القَبيل الأعَزّ، وإنَّما كانت في حُكْم الدُّوَل السَّالفة، يتداوَلُها عُمَّالُهم، فلْنأتِ بذكر أرباب تلك الدول، على نسق. ونبدأ بذكر عُمَّال إفريقية أوَّلَ الفَتْح، إذ كانت حينئذ هي دارَ إمارة المغرب كله. فنقول:

(المغرب الأوسط في عهد الولاة)

أما دولة بني أمية، فأولهم فاتحها سنة سِتِّين من الهجرة، ومُخْتَطُّ قِبْلة قَيْروانها عُقْبَة الْمُسْتَجاب ابنُ نافِع بن عبد القَيْس بن عامر بن أمية بن طوق بن الحارث بن فِهْر بن مالك أبي قُرَيْش كُلِّها ابن النَّضْر بن كِنانة. ومن ولد فِهْر تفرَّقَتْ بُطون قريش. مولدُه قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَنَةٍ واحدة، وهو الذي استفْتَحَ الْمَغرب كله، ودعا الناس فيه إلى الله ورسوله، فقتله أهلُ زابِ تَهُودَة[2] من إفريقية سنة ثلاث وستين، وقبره الآن هناك مزار مقصود، دخلتُ إليه ودعوْتُ الله عنده بما نرجو منه إجابته.

ثم أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد. ثم زهير بن قيس البلوي، ثم حسَّان ابن النعمان، ثم موسى بن نُصَيْر، مُدَوِّخ الْمَغرب سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومفتتح درعة وصحراء تافيلالت، وأرسل ولده إلى السوس[3]، ثم أخذ رهائن المصامدة والبرابر، فأسكنهم طنجة في نحو اثني عشر ألفا، إلى نظر مولاه طارق بن زياد النفزي، وبهم افتتح المذكور الأندلس، في شهر الله الْمُحَرَّم سنة ثلاث وتسعين، من أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان.

ثم محمد بن يزيد مولى قريش، ثم يزيد بن أبي مسلم، ثم بِشْر بن صَفْوان

Scanned by CamScanner

الكلبي، ثُمَّ عُبَيْدة بن عبد الرحْمَن، ثَمَّ عُبَيْد الله بن الْحَبْحاب، ثُمَّ كَلْثُوم بن عياض[4]، ثم حنظلة بن صفوان، ثم عبد الرحمن بن حبيب، ثم محمد بن الأشعث، ثُمَّ الأغلب بن سالِم، ثُمَّ عُمَر بن حَفْص، ولكل منهم خبر مشهور، وأثر في صفحات الدهر مسطور. وأما دولة بني العباس فأولهم يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الْمُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، رَبُّ الخبر الشائع، والفضل الذائع، والجلال الرائع. ولاه إياها أبو جعفر المنصور، ثم ولده داود، ثم أخوه روح بن حاتم، الذي أعطى كاتبه ثلاثين ألف دينار، وكتب إليه معها:" لا أستقِلُّها لك تكَبُّرًا ولا أستكْثِرُها تَمَنُّنًا ولا أستثيبك عنها ثناءً، ولا أقطع بها عنك رجاءً ". وتوفي بها[5] لاثْنَتَي عشرة خلت من رمضان سنة أربع وسبعين ومائة.

وفي ربيع الثاني سنة اثنتين وسبعين من أيامه، ظهر بالمغرب الأقصى إدريس ابن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، جَدّ مولانا الخليفة أبي حمو أيده الله تعالى، فنزل بوَلِيلِي من جبل زَرْهون، ونزل أخوه سليمان بتلمسان.

ثم نصر بن حبيب الْمُهَلَّبِيّ، ثم الفضل بن روح بن حاتم، من قِبَلِ الرشيد، في محرم سنة سبع وسبعين ومائة، وقتله ابن الجارود غيلة، وتغلب على القيروان. ثم أرسل الرشيد إلى إفريقية هرثَمَة بن أعْيَن سنة تسع وسبعين ومائة، فقتل ابن الجارود، وبَنَى سُورَ أطْرابُلُس[6] والْمُنَسْتِير، واستعفى. ثم ولي بعده محمد بن مقاتل ابن حكيم العَكّيّ، رضيع هارون الرشيد، سنة إحدى وثمانين ومائة، وكان سَيّئ الْمَلَكَة، فاضطرب أمْرُهُ وعُزِلَ. وكل هؤلاء حاربوا إدريس بن عبد الله وولده إدريس بالمغرب. ثم ولي إفريقية الفقيه العَالم الشاعر العَارف إبراهيم بن الأغلب، فسالَم الأدارسة وهادَنَهم، فاستقَلُّوا بِمُلك الْمَغْرب، يتداولونه خَلَفًا عن سَلَف.

(المغرب الأوسط في عهد الأدارسة)

فأولهم إدريس الأكبر ابن عبد الله المذكور آنفا. مَلَكَ الْمَغرب بأسره ثلاث سنين وشهرًا. فغصَّ الرشيدُ به، واستشار يحيى بن خالد في شأنه، فحَثَّه على بعث داهِيَة من رجاله لسَمِّهِ. فأرسل إليه بالسَّمّ سليمان بنَ حديد، ذا الدهاء والشجاعة.

Scanned by CamScanner

وتقرب إليه بِخِدْمَتِهِ سَلَفَه. ولم يزل يتلطَّف في انتهاز فُرْصَة فيه يَغيب عنها راشِد مولاه إلى أن وجدها. فألمَّ بين يديه يذكر الطِّيب اليَمَنِيّ، حتى اشتاق إدريس إليه. فأهداه منه قارورة كان في شَمِّها حَتْفُه، سنة خمس وسبعين ومائة، وفَرَّ لِحِينه، وسمع راشِد الخبر، فركب بالجيش في أثره، وكَلُّ الناسُ كلُّهم، فأدْرَكه مفردًا بوادي مَلْوِيَة، فأرْماه بِحَرْبة عَطَّلَتْ يَدَه وكَبَا به الفرَس، فنَجا سُليمان بنُ حديد، ولحق بالعِراق. ولم يترك إدريس عقبًا سوى حَمْلٍ بجاريته كَنْزَة. وكان راشد مولاه من الدُهاة أولِي المعرفة والنجابة، فجمع البربر للشورى فأصفقوا على تسليم الأمر لراشد، وانتظار وضع كنزة حملها، فإن أَنْثَتْ دَبَّرُوا لأنفسهم، وإن أذْكَرَتْ بايعوا مولودَها. فلما وضعت، جاء به راشد إلى البربر في قمطه، شديدَ الشَّبه بأبيه، فسمَّوْه إدريس، وبايعُوه في كفالة راشد إلى أن قَتَلَ البربرُ راشدًا بما دَسّ إليهم فيه إبراهيم بن الأغلب عامل إفريقية. فكفل إدريس بعده أبو خالد يزيد بن إلياس إلى أن شَبَّ كامل الخلقة، مُمَتَّعًا بالْمَعارف، فاضلَ السَّجايا، شُجاعًا لا يُطاق، قَهَرَ الصُّفْرِيَّة، وابتنى مدينة فاس غُرَّةَ شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة، ومَلَكَ الْمَغرب بأسره ثمانيًا وثلاثين سنة وشهرين. وتُوُفِّيَ سنة ثلاث عشرة ومائتين، في ثاني عشر جُمادَى الأخرى منها. فبويع بعده ابنُه مُحمد بن إدريس، واستعمل بأمْصاره إخْوَتَه. فكان عيسى منهم بتلمسان، في بيعته. ودامت دولته سبع سنين وأحد عشر شهرًا. ومات في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين ومائتين. ثم علي ابنه، بعَهْده إليه. ومَلَكَ الْمَغْرب بأسره ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر. ومات في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين. ثم بعده يَحْيَى ابن أخيه يحيى بن محمد بن إدريس. وكان مجانًا عياثًا في الحرم، فأخرجه أهل فاس، ومَلَّكوها ابنَ عَمِّهِ علي بن عمر بن إدريس أيامًا. ثم عاد[7]، واستَوْسَقَ أمره بالْمَغْرب ثَمانِيَ سِنين وثلاثةَ أشْهُر، ومات سنة اثْنَتَيْن وتِسْعين ومائتين.

ثم بعده ابنُ عَمِّه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس. وكان مَلِكًا جليلا، مَلَكَ المغرب سَبْعَ عشرة سنةً وشهرين. وفي أيَّامه، سنةَ خَمْسٍ وثلاثمئة، تحرَّك إليه قائدُ

الشيعة بإفريقية، مصالة بن حبوس الصنهاجي، وملك البلاد من يده. ثم استقصى منه بيعة الشيعة وقفل. واستعمل في انصرافه موسى بن أبي العافية المكناسي(8) على تازا وتلمسان وما إليهما.

ثم كرّ مصالة المذكور إلى المغرب ثانية سنة تسع وثلاثمئة، فأخذ يحيى بن إدريس، بسعاية ابن أبي العافية، وكبّله، وقدّم بفاس المغرب ريحانا الكتامي، ثم عزله، وسرّح يحيى بن إدريس *[ورده إلى ولايته وقفل، فتحرك ابنُ أبي العافية بعده على يحيى بن إدريس]* المذكور، فتملّك المغرب كله، وولّى على مغرب فاس ريحانا الكتامي المذكور، وأخذ يحيى بنَ إدريس وصرّفه إلى إفريقية، فمات بها في فتنة أبي يزيد مَخلد(9) بن كيداد اليفرني(10). ثم ثار أهلُ فاس بريحان فأخرجوه، وبايعوا الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس المُلقّب بالحجّام لطعنه الفوارس بالمَحاجم(11)، واحترب هو وابن أبي العافية، عامل تلمسان وتازا للشيعة، زمنًا طويلا، ومات، فاستبدّ ابنُ أبي العافية بمُلك المَغرب، وتحصّن الأدارسةُ بقلعة النّسر(12).

ثم نكَثَ مُوسَى بنُ أبي العافية بَيْعَةَ الشيعة، وعقدها لعبد الرحمن الناصر لدين الله ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحَكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن مروان بن الحَكم الأموي بقرطبة. فأتته الجيوش من إفريقية مع حميد بن شبل(13) الكتامي. وقاتلهم بفحص مُسُون، فانهزم وتحصّن بتسُول إلى أن قَفَل حميد المذكور إلى إفريقية، فعاد إلى مُلْكِه. فجاءه أيضا مَيْسُور الفَتَى، قائد القاسم بن عُبَيْد الله الشيعي بجيوش لا قِبَل له بها، ففرّ إلى مَلْوِيَة، فقُتل بها بعد أن مَلَك المغرب ثمانيًا وعشرين سنة.

ثم عاد مُلك المغرب بعده لقَنُّون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، ومات سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة. فبويع بعده ولدُه أبو العيش أحمد، وكان فاضلا عادلا تواريخيا. فصادق عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم خدعه المذكور، وأخذ من يده سَبْتة وطَنْجة، فضعُف أمرُه، فاستأذنه في الجواز إلى الغزو، فأذِن له. فجاز سنة

Scanned by CamScanner

سبع وأربعين وثلاثمئة بعد ملك عشر سنين.

ثم استبدَّ بمُلك المَغرب بعده أخوه الحسن بن قنُّون، فجاءه من إفريقية جوهر، قائد الشيعة، بعشرين ألف فارس، فأزعجه عن البلاد، وأخذ بيعة جميعها للشيعة. وتحصَّن الحسن بقلعة النَّسر، ثم عاد جوهر إلى إفريقية، ورجالُ أهل المغرب بأقفاص الحديد في رِكابه[14]. فرجع للحَسن أمرُه، لكنه لم يفارق القَلْعة. ثم تحرَّك إليه بُلقِّين بنُ زيري بن مَناد الصنهاجي، فاستأصل دعوة الأمويّين والأدارسة من المغرب، وبايعه الحَسَن المذكور.

فوَجَدَ عليه الحَكَم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، فغزاه بقائده محمد بن القاسم، فأجاز إليه البحرَ سنة اثنتين وستين وثلاثمئة، فانهزَمَ القائدُ المذكور وتحصَّن بطنجة. فأجاز إليه الحَكَم المستنصر غالبًا مولاه بجيش أضخم من الأوّل، فتحصَّن منه الحسن بن قنون بقلعته فلم تغن عنه وأنزله غالب على حكمه وأجاز البحرَ إلى قرطبة. وولي المغربَ كله يعلى بنُ محمد[15] المغراوي. فكانت دولته هذه سِتَّ عشرة سنة. فأكرمه المستنصر إلى أن ساء ما بينهما بسبب رَحًى من العَنْبر كانت من جملة ذخائره، طلبها منه الحكم، فأبى عليه إعطاءَهَا، فغرَّبه إلى المشرق، فلحق بالشيعة، وبَقِيَ المغربُ ثلاثَ سنين يتداوَلُه عُمّال الصَّناهِجَة والأمويّة.

ثم إنَّ الشيعة استرَدُّوا المغرب للحَسَن بن قنُّون، وأمروا الصناهجة، عمالهم بإفريقية، على إعانته بالجيوش. فمَلَكَه ثانيةً بأسْرِه. فجاءه جيشُ هِشام بن الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر، من قرطبة، مَرْؤوسًا بابن عَمّ حاجبه المنصور محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد [بن الوليد] بن يزيد بن عبد الملك المعافِرِيّ[16]، فحَصَرَه بقلعة النسر، وأنزله مُعاهَدًا على الجواز إلى قرطبة، فأغرَضَ له المنصورُ بن أبي عامر مَنْ قَتَلَه سنة خمس وسبعين وثلاثمئة[17]، فكانت دولتُه هذه الثانية ثماني سنين، وبموته انقرَضَتْ دولةُ الأدارسة، بعد مِائتَين وثلاث من السنين. فسبحان الحي الذي لا يموت، الباقي بعد فناء الخلق، لا إله إلا هو.

(المغرب الأوسط في عهد بني خَزَر المَغْراويين)

وصار مُلك المغرب بعدهم لبني أمية، أهل الأندلس، فولّوه بني خزر المغراوين من زناتة القطر المغربي فتوارثوه. جَدُّهم خَزَر[18] بنُ حَفْص بن صَولات ابن وازْمار بن مَغْراو، وهو مولى لأمير المومنين عثمان بن عَفّان رضي الله عنه. تملَّكَهُ مِن سَبْي إفريقية، فأسلم على يده المباركة، فلم تزل ذُرِّيَّتُهُ شيعَةً لبني أمية. وذلك هو السبب في تولية بني أمية إياهم المغرب. أولهم خزر بن حفص المغراوي ثم حافِدُه خزر بن محمد بن خزر بن حفص، مَلَكَ بلادَ المغرب كلَّها وزناتةَ السُّوس الأدْنَى وتلمسان وتاهرت والقِبْلَة، وحارب الشيعة. ثم محمد بنُ الخير[19] بن خزر، ملك أيضا بلاد زناتة المذكورة كافة، كل ذلك بدعوة الأَمَويين، وكان من أكبر ملوك زناتة. ووقعت بينه وبين زيري بن مَناد حُروبٌ كثيرة قُتِلَ ببعضها، رحمه الله[20].

ثم ولده يَعْلى[21]، ثم محمد بن يَعْلَى، مَلَكَ ما ملك أبوه وجدُّه كافة، واستضاف لذلك المسيلة والصحراء وجميع بَوادِي زناتة، وأعالي المغرب. ولم يبق معه لبني أمية سوى الخطبة بالمغرب خاصة. ثم زيري بن عطية بن عبد الله بن تَبادَلْت بن محمد بن خزر، بدعوة هشام وحاجبه المنصور بن أبي عامر. وارتفع شأنه[22]، وعلا سلطانه. ثم ثار عليه بتلمسان أبو البهار بنُ زيري الصنهاجي[23]، خالعًا دعوة بني أمية. *[فاحتربا وانجلى أبو البهار من تلمسان، وتولاها (زيري بن عطية)، ثم خلع بيعة بني أمية]*، فأجازوا له الجيوش، فأسلم لهم السوس الأدنى، واستقرَّ مُلْكُه بتلمسان إلى الْمَسِيلَة، وتوفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة.

ثم ولدُه الْمُعِزّ بن زيري، فراجع طاعة بني أمية على هَدِية يُرْسِل[24] بها إليهم في كل سنة، وتملك المغرب كله. ومات سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة. ثم بعده ابن عَمِّه حمامَة بن الْمُعِزّ بن عَطِيَّة المغراوي. فنازعه بنو يِفْرَن الْمُلْك، فأسلم لَهُم السُّوس الأدْنَى، وانحازَ إلى تلمسان، ثم راجع حربَهم، فغَلَبَ وتملك المغرب كله، وتوفي سنة أربعين وأربعمئة.

Scanned by CamScanner

ثم بعده ابنُه دُوناس[25] بن حمامة بن المعز بن عطية باني أسوار فاس ومُخَضِرُها. مات سنة ثنتين وخمسين وأربعمئة. ثم بعده الفُتوح بن دُوناس بن حمامة بن المعز، المنسوب باب الفتوح من فاس إليه. قُتِلَ سنة سبع وخمسين وأربعمئة، بعد أن ظهرت بالمغرب دعوة المرابطين. ثم بعده ابنُ عَمِّه مَعَنْصَر بن المُعِزّ بن زيري بن عطية[26]. ومات سنة ستين وأربعمئة. ثم بعده ولده تميم بن معنصر، إلى أن قتله المرابطون سنة إحدى وستين وأربعمئة. فانقرضت به أيام بني خزر من المغرب[27]. والبقاء لله وحده.

(المغرب الأوسط في عهد المرابطين)

وصار مُلْكُه للَمْتُونَة. أوَّلُهم تملُّكًا يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ورتاقطن ابن منصور بن مصالة بن منصور بن مصالة بن أمية بن واثمال بن تلميت اللمتوني الصنهاجي الحِمْيَري، المجاهد الصالح، في سنة إحدى وستين وأربعمئة. وهو باني مدينة تاجرارت من تلمسان حسبما تقدَّم. ومات رحمه الله سنة خمسمئة.

ثم ولده علي، المُجاهد الخير[28]، توفي سنة سبع وثلاثين وخمسمئة. ثم ولده تاشفين بن علي، إلى أن هزمه عبد المُؤمِن بن علي بين الصَّخْرَتَيْن من ظاهر تلمسان، وفرَّ إلى وهران يبغي النجاة في أسطوله البحري، فسقط من جرف لَيْلاً، ومات ليلة السابع والعشرين لرمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمئة، فاضطرب بعده الأمْرُ بدعوة المهدي وقلَّ ناصره. ثم ولده إبراهيم، وخُلِعَ.

ثم إسحاق بن علي ابن يوسف بن تاشفين، إلى أن أخرجه المُوَحِّدون عن مراكش، ثم قتل سنة إحدى وأربعين وخمسمئة. وانقرضت بموته دولةُ المُرابطين، بعد ثمانٍ وسبعين سنة. وكل حادث فإلى أجَل مُسَمًّى، والله يَرِثُ الأرْضَ ومَنْ عليْها، وهو خَيْرُ الوارِثين.

(المغرب الأوسط في عهد الموحدين)

وصار مُلْكُ المغرب إلى الموحِّدين، طائفةِ المَهْدي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن

عطاء ابن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

أوُلُهم عبد المُؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي ابن عامر يرجع إلى قَيْس عَيْلان بن مُضَر. مَلَكَ تلمسان سنة تسع وثلاثين وخمسمئة[29]، فقَتَلَ أهل أجادير وأشياخَ تاجرارت[30]، ثم قاضيهما الفقيه أبا عمرو عثمان ابن صاحب الصلاة، عملاً فيه بوصية إمامه المهدي محمد بن عبد الله، فلقد كان يقول له: " إن صفير الصاد من قول ابن صاحب الصلاة لي[31]: " عليك بِخُوَيْصَةِ نفسك "، لفي أذني حتى الآن "[32]. وتوفي في جمادى الأخرى سنة ثمان وخمسين وخمسمئة.

ثم ولده يوسف العسري، بعهده إليه. وكان ما كان من الفضل وحسن السيرة. وتوفي سنة ثمانين وخمسمئة. ثم ولده العالم الفاضل المجاهد يعقوب المنصور، ذو الآثار العظيمة والمناقب الشريفة. توفي سنة خمس وتسعين وخمسمئة. ثم ولده الناصر محمد. وتوفي سنة [عشر و] ستمئة. ثم ولده يوسف المستنصر، ولي صبيًا صغيرًا بعهد أبيه. وتوفي سنة عشرين وستمئة.

ثم بعده عبد الواحد بن يوسف العسري بن عبد المومن بن علي. ثم خلعه الموحدون سنة ثنتَيْن وعشرين وستمئة. ثم عبد الله العادل ابن يعقوب المنصور، * فخلعه الموحِّدون وقتلوه، وانتهبوا قصر الإمارة سنة أربع وعشرين وستمئة *. ثم يحيى المعتصم ابن محمد الناصر ابن يعقوب المنصور. فاضطرب أمره بمنازعة إدريس المأمون ابن يعقوب المنصور إياه الأمْرَ، وقُتِلَ[33] سنة ست وعشرين[34] وستمئة. ثم إدريس المأمون المذكور. وفي أيامه، سنة سبع وعشرين، كان تَمَلُّك هذا القبيل الشريف بَلَدَ تلمسان، حسبما نذكره بعد إن شاء الله تعالى[35].

---

(1) هذا العنوان ساقط في كل النسخ المخطوطة وفي ع.

(2) ز، ش، ع: أهل الزاب بتهودة.

(3) ش، ع +: من المغرب الأقصى.

(4) وفي ع وجميع النسخ المخطوطة: العاصم (أو عاصم).

Scanned by CamScanner

(5) ش، ز: بإفريقية؛ ر، ل –: بها.

(6) ز، ش، ر، ل، ع: طرابلس.

(7) الظاهر أن فقرة سقطت هنا، وعُوِّضتْ بعبارة " ثم عاد ". ويمكن سدُّ هذه الثغرة بذكر ما ورد في " نظم الدر والعقيان " للتنسي، وهي قوله: " فقام عليه عبد الرزاق الخارجي الصفري بجبال مديونة، قبليْ فاس. فدارت بينهما حروب كانت الغلبة فيها للخارجي. ففر علي إلى أوربة، وتملك الخارجي عدوة الأندلس وتمنعت منه عدوة القرويين وولوا عليهم يَحْيَى بن القاسم بن إدريس المعروف بالمقدام. فكانت بينه وبين الخارجي حروبٌ آلَ آخرُها إلى إخراج الخارجي من عدوة الأندلس، واستولَى المِقدام على العدوتَين، حتى قتله الربيع بن سليمان غيلة " (تاريخ دولة الأدارسة، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ص 45). ويحيى المقدام هو الذي توفي سنة 292 هـ. هذا، ويلاحظ أيضًا أن كتاب " بغية الرواد " لم يشر إلى عهد يحيى بن محمد بن إدريس، الذي خلف أخاه علي بن محمد بن إدريس، سنة 234 ه، وبني في عهده جامع القرويين، سنة 245 ه. عن هذه الحوادث، انظر أيضًا: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 4، ص 30 – 31؛ الناصري، الاستقصا، ج 1، ص 175 – 181؛ ابن أبي زرع، م. س.، ص 32 – 52.

(8) عن موسى بن أبي العافية، انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 273 – 278؛ ابن أبي زرع، م. س.، ص 32 – 52.

(9) ورد في كل النسخ المخطوطة: يزيد بن مخلد (عوض أبي يزيد مخلد)، وهو خطأ.

(10) قارن مع " روض القرطاس " (ص 53)، الذي يذكر أن يحيى بن إدريس اعْتُقِلَ بمكناسة حوالي عشرين سنة، ثم أطلقه موسى بنُ أبي العافية قبيْلَ ثورة أبي يزيد. وعندئذ انتقل يحيى بن إدريس إلى إفريقية، حيث توفي سنة 332 ه، وقارنْ أيضًا مع كتاب " العبر " الذي لا يشير إلى عزل رَيْحان من طرف مصالة، وإلى إعادة يحيى بن إدريس إلى ولاية فاس (ج 4، ص 32).

(11) ع: بالجماجم. والمحاجم جمع محجم: أي موضع الحجامة من البدن.

(12) وهي قلعة حجر النسر؛ انظر: ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 33.

(13) يبدو أن أصل هذا العَلَم كان يَصْلِيتَن، ثم تحوّل عند المؤرخين إلى يصليت (الاستقصا)، ويَصَل (البيان المغرب)، وشبيل (روض القرطاس).

(14) وهم، حسبما ذكره ابن أبي زرع، أميرا فاس وسجلماسة ورجال حاشيتهما، الذين عاد بهم جوهر إلى إفريقية في أقفاص من خشب. انظر: روض القرطاس، ص 59 – 60.

(15) ع وكل النسخ المخطوطة +: اليفرني. والصواب حذفها، لأن يعلى بن محمد اليفرني توفي سنة 347 هـ (العبر، ج 7، ص 37). أما يعلى بن محمد المغراوي، فسيأتي الحديث عنه، فيما بعد، عند ذكر أمراء بني خزر المغراويين.

Scanned by CamScanner

(16) عن ابن عم الحاجب المنصور (واسمه أبو الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عمرو، ويلقب باسم عَسْقَلاجَة)، انظر: الناصري السلاوي، الاستقصا، ج 1، ص 203 - 204؛ E. Lévi - Provençal, op. cit., II, pp. 263 - 64.

(17) قارن مع " روض القرطاس "، الذي يذكر تاريخ وفاة الحسن بن قنون، ويُحَدِّده في جمادى الأولى سنة 375 هـ، ثم يقول إن دولته هذه الثانية دامت سنة وتسعة أشهر (روض القرطاس، ص 63).

(18) عن خزر هذا، انظر: العبر، ج 7، ص 51؛ مفاخر البربر، ص 5، 46؛ الاستقصا، ج 1، ص 206.

(19) ورد في كل النسخ المخطوطة وفي ع: الحسن (أو الحسين)، وهو تحريف لاسم الخير. والتصحيح من "العبر" (ج 7، ص 57)، و"البيان المغرب" (ج 2، ص 243)، و"الاستقصا" (ج 1، ص 196).

(20) يلاحظ أن هذا العرض حول بني خزر في غاية الإيجاز، فهو لا يشير إلى أهَمّ الأحداث التي أدَّى إليها الصراع العنيف القائم بين العبيديين والأمويين، في المغرب خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي. وكان لبني خزر دورٌ هامّ فيها، وخصوصًا في الوقائع التي تسببت في مقتل مصالة بن حبوس سنة 312 هـ (البيان المغرب، ج 1، ص 189)، ومصرع زيري بن مناد سنة 360 هـ (البيان المغرب، ج 2، ص 342 – 343). ثم إنه لم يذكر، بعد محمد بن الخير بن خزر، ابنه الخير، الذي لقي حتفه في الحروب التي خاضها، في صدِّ هجوم بلكين بن زيري، سنة 361 هـ، وكذلك حفيده محمد بن الخير (ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 56 – 57).

(21) لقد كان يعلى بن محمد بن خزر منافسًا لزيري بن عطية، زمنًا طويلا، على رئاسة قبيلة مغراوة. والظاهر أنه اكتفى بإمارة ناحية تلمسان بعد وفاة زيري بن عطية سنة 1001/391، ثم خلفه أبناؤه في هذه الإمارة إلى نشأة دولة المرابطين. ويبدو أن هذه الإمارة على ناحية تلمسان كانت السبب في اعتبار يحيى بن خلدون يعلى بن محمد بن خزر خلفًا لأبيه في إمارة مغراوة. انظر: العبر، ج 7، ص 92 – 95.

(22) ز، ش، ع +: ببلاد المغرب.

(23) عن أبي البهار الصنهاجي، انظر: ابن أبي زرع، م. س.، ص 68.

(24) س، ز، ش: يبعث.

(25) ز، ش، ط، ج: دانوس.

(26) ز، ش، ع: المغراوي (عوض: بن زيري بن عطية). ولعل الصواب أن يقال: معنصر بن حمّاد ابن معنصر بن المعز بن عطية. انظر: العبر، ج 7، ص 74 – 75؛ الاستقصا، ج 1، ص 223.

Scanned by CamScanner

(27) عن بني خزر، انظر: العبر، ج 7، ص 58 – 76؛ روض القرطاس، ص 68 – 80.

(28) ر، ل، ع – : الخير.

(29) ر، ل، ز، ع +: كما ذكرنا. وهنا ينتهي البتر في مخطوط ش.

(30) ر، ل، ع: فقتل أشياخ البلدتين (عِوَضَ: فقتل أهل أجادير وأشياخ تاجرارت). والجدير بالملاحظة أن ما أثبت أعلاه، اعتمادًا على نصِّ س، ز، ش، قريب جدًا ممَّا جاء في " روض القرطاس " (ص 132)، و"البيان المغرب" (قسم 3، ج 5، ص 18 – 19، 25). ومفاده أن عبد المؤمن فتح تاجرارت صلحًا، ثم حاصر أجادير. وتمَّ فتحُ أجادير عنوةً في شوال 541 (البيان المغرب) أو في سنة 544 هـ (روض القرطاس). وهذا قد يساعد على تفهُّم ما قيل عن قتل أهل أجادير (بعد فتحها عنوة)، والاكتفاء بقتل أشياخ تاجرارت، والإبقاء على أهلها (لأنها فتحت صلحًا).

(31) ر، ل، ع: فقد كان يقول له:" إذا أمكنك الله من ابن صاحب الصلاة فاقتله، فإن صفير الصاد من قوله لي..".

(32) عن فتح الموحدين لتلمسان، راجع أيضًا:العبر، ج 6، ص 477 – 478؛ الاستقصا، ج 2، ص 106 – 107؛ الحلل الموشية، ص 111؛ الزركشي، م. س.، ص 5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 299 – 300.

(33) ز، ع: وتوفي.

(34) وثلاثين. والراجح أن يحيى المعتصم توفي في أوائل سنة 630 هـ (العبر، ج 6، ص 532).

(35) ل، ع +: لا رب غيره ولا خير إلا خيره، وهو نعم المولى ونعم النصير.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

الباب الثاني من القسم الأول
في التعريف بجنس هذا القبيل الكريم وفضله

وفيه فصلان

الفصل الأول في ذكر البربر ومنتمى زناتتهم[1]

ولمّا كان انتماء بني عبد الواد أعزهم الله إلى زَناتَة البربر، وَجَبَ أن نُعرِّفَ أوّلا بالبربر وببعض زَناتَة منهم حَسَبَ الوسع إن شاء الله تعالى، فنقول: البربر أمّة أعْجَمِيّة عَمَرت الشام مِن لدن الطُّوفان، تُعْرَف مُلوكُهم بالجَواليت، كما تُعْرَف ملوك النصارَى بالقَياصِرة وملوك الفُرْس بالأكاسِرَة، وملوكُ القِبْط بالفَراعِنَة.

واختَلَفَ في أصلهم النَّسّابون. قال السُّهَيْلي[2] والمَسْعودي[3] والقُضاعِي[4] هم ولد[5] بربر بن كنعان بن حام. وقال الطَّبَرِيّ[6] مِثْله، وزاد أيضا أنهم من ولد بربر بن نَفْسان بن إبراهيم الخليل، صلى الله عليه. وقال الصُّولِيّ[7] هم ولد بربر بن السَّلاجِم بن بربر بن مَضرائِم بن حام.

وزعم بعض المؤرخين أنهم من ولد سام بن نوح [عليه السلام]. ثم اختلفوا، فقالت فرقة هم ولد بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام. وقالت أخرى هم ولد بربر بن تملا بن مارين بن فار بن عمرو بن عملاق بن لاود بن إرَم بن سام. وعلى هذا القول الأخير يكونون عَمالِقَة. وقال مالك ابن الْمُرَحّل[8]: البربر قبائل شتى من حِمْيَر ومُضر والقِبْط والعَماليق وكنعان وقريش، تألَّفوا بالشام ولَغَطُوا، فسمّاهم إفريقش[9] بنُ قيس[10] البربر لكثرة كلامهم، والله أعلم.

واختلف الناس أيضا في سبب خروجهم إلى الْمغرب. فذهب المسعودي والطبري والسهيلي إلى أن إفريقش بن قيس بن صيفي[11] هو الذي استجاشهم [لفتح إفريقية، وسمّاهم البربر أي كثيرو الكلام]. وذهب البكري[12] إلى أنَّ بني إسرائيل هم المُخْرِجُوهُمْ عند قتل داود عليه السلام جالوتَهم المذكور في القرآن. قال ابن قُتَيْبَة[13]: هو زنور بن هرتيل بن جديلان بن جالود بن زديلان بن حطي ابن

Scanned by CamScanner

ماد بن زحيح بن مادغيس الأبتر ابن قيس بن عيلان بن مضر. وقال غيره: هو جالوت بن جالود بن ديال بن قحطان بن فارس، ونسب فارس معروف.

وقيل هو من العمالقة. وقيل جالوت بن هريال بن جالود بن ديال بن بربوس بن سفك، وسفك أصل شجرة أنساب البربر. وذهب الصولي إلى أنهم ولوا عند موت جالوتهم المذكور إلى المغرب، وأرادوا استيطان مصر، فجلتهم عنها القبط، فانتحوا برقة وإفريقية والمغرب على حرب للإفرنج والأفارقة، ظهروا بها على جموعهم، وأفحشوهم البحر إلى جزر صقلية وسردانية وميورقة ويابسة. ثم صالحوا بقاياهم على تسليم المدن إليهم والاكتفاء بالقفار والجبال. فتجاوروا على ذلك قرونا خالية كسبهم(94) المواشي وسكناهم الخيام، ينتجعون أقطار الأرض ويرتادون مراتعها من الإسكندرية إلى البحر المحيط من بلاد السوس الأقصى غربا وإلى صفحة من بحر الروم(95) شمالا، وإلى بلاد السودان قبلة، في أمم لا تحصى كثرة ولا تنقاد إلى شريعة ولا ترجع إلى ناموس، يحكم كل فرقة منهم رئيسها، إلى أن أظلهم الإسلام(96). وبه قال ابن قتيبة، سوى أنه عزاهم إلى نوح [عليه السلام]، ونسب خروجهم إلى أيام البلبلة(97). قال: وبربر بن مصرائم، إذ ذاك، هو الذي أتى المغرب فاستوطنه.

ووقفت على قولين آخرين للبكري، أحدهما أن الشيطان نزغ بين بني سام وحام، فانجلت بنو سام إلى المغرب وتسلوا به، والآخر أن حاما لما اسود بدعاء أبيه عليه، فر حياء من رهطه، واستقر بقطر أسفي من المغرب الأقصى، ومات به عن أربعمئة سنة من العمر، وقيل سبعمئة واحدى وسبعين. وقبره الآن منعوت هنالك وأن بنيه تبعوه، فكل من انقطع عنه جزء منهم في أرض لزمها، وأن بربر بن مصرائم هو الذي لحق به من ولده، فنسل بنوه بالمغرب، والله أعلم(98).

قلت: والتصق إلى البربر خيلان من العرب، يمني، عند خروجهم من مأرب وهم كتامة وصنهاجة وهوارة ولمطة ولواتة، بنو حمير بن سبأ، ونزاري، هم ولد بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، لسبب مختلف فيه.

قال الطبري: إن برّ بن قيس توجّه لنشدان ضالة بأحياء البربر، فهوي جارية منهم وتزوّجها، فولدت منه ذرّيّة كثيرين غلب عليهم اسم أخوالهم البربر. وقال غيره: بل خرج إليهم فارًّا من أخيه عمرو بن قَيْس. وقال البكري: إن أمّ بَرّ هذا وأخته تُماضِر، ابني قيس، هي بَزيع بنت مَجدل بن مَجدول بن عمار بن مضمر البربري المَجدولي. وكانت البهاء بنتُ عمّه دَهْمان من أجمل نساء زمانها، وكثر من أعمامها وغيرهم خُطّابُها فلم تَرْضَ بغير برّ منهم. وكان أصغرَ إخوته، فأزمعوا به حسدًا، فخرجتْ أمّه به وبأخته تُماضِر، وبالبهاء ابنة عمّه، إلى قومها، فنسل بنُوه فيهم بَرْبَرًا(19). وفي ذلك تقول تماضر:

وشَطّتْ بِبَرّ دارُهُ عن بلادِنا ... وطوّح بَرٌّ نفسَه حيث يَمّما

وأزرتْ بِبَرّ لكنةٌ أعجميةٌ ... وما كان بَرّ بالحِجاز بأعجما(20)

وأبّنته لما مات بقولها:

لِتَبكِ كلُّ باكيةٍ أخاها ... كما أبكي على بَرّ بن قيسِ

تحمّلَ عن عشيرته فأضحى ... ودونَ لقائه أنضاءُ عِيسِ

ولبعض ولد برّ بن قيس يفخر بنسبه قوله:

أيها السائل عن أحسابنا ... قيسُ عَيلانَ بنو الغُرّ الأُوَلْ

نحن ها نحن بنو بَرّ النّدى ... طاردُ الأزمةِ، نحّارُ الإبِلْ

فولد برّ بن قيس مادغيس الأبتر، وإليه تنتسبُ بُتر البرابر. ولده رجيح، ووَلَد رَجيح أربعة: ضَريس أبا زناتة ومكناسة وورتناج وبطالسة وجزناية، وضري أبا نفزة وسوماتة ويَطوفت وسَدْراتة، ويحيى أبا نفوسة ومَليلة ورَتيمة، وباذا أبا وَلْهاصة وغِياثة ومَجاصة(21).

فمن ولد زناتة هم بنو عبد الواد(22)، وبنو مرين(23)، ومغراوة(24)، وتوجين(25)، ومليكش(26). وغرضنا من الجميع بنو عبد الواد، أعزهم الله تعالى، فلنصرف عنان القول إلى التعريف بهم، بإعانة الله تعالى وإرشاده، لا إله إلا هو سبحانه.

Scanned by CamScanner

(1) ر، ل، ع: زناتة فيهم.

(2) عن أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، المتوفى سنة 581 هـ، انظر: ابن فرحون، م. س.، ص 150 – 151؛ Brockelmann, G. A. L., I, p. 413 et sup., I, p. 733 ; F. Pons Boigues, Ensayo..., pp. 249 - 51.

(3) عن أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة 345 هـ، انظر: ياقوت، معجم الأدباء، ج 5، ص 147 – 149؛ كحالة، م. س.، ج 7، ص 80؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة النجار، ج 3، ص 56 – 60؛ F. Pons Boigues, op. cit., pp. 412 - 13.

(4) عن أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، المتوفى سنة 454 هـ، انظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج 4، ص 62 – 63؛ ابن خلكان، م. س.، ج 1، ص 585؛ الصفدي، م. س.، ج 3، ص 116؛ كحالة، م. س.، ج 10، ص 42 – 43؛ Brockelmann, G. A. L., I, pp. 418 - 19 et sup., I, pp. 584 - 85.

(5) ز، ش، ع: أولاد (وكذلك فيما بعد).

(6) عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة 310 هـ، انظر: السبكي، م. س.، ج 2، ص 135 – 140؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج 6، ص 423؛ الزركلي، م. س.، ج 6، ص 294؛ كحالة، م. س.، ج 9، ص 147؛ بروكلمان، م. س.، ج 3، ص 45 – 51؛ F. Pons Boigues, op. cit., p. 412 ; R. Paret, art. dans E. I., IV, pp. 607 - 8.

(7) عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي، المتوفى سنة 335 هـ، انظر: الزركلي، م. س.، ج 8، ص 4؛ كحالة، م. س.، ج 12، ص 105؛ بروكلمان، م. س.، ج 3، ص 51 - 54؛ I. Kratschkovsky, art. dans E. I., IV, pp. 567 - 68.

(8) عن أبي الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن المرحل السبتي، المتوفى سنة 699 هـ، بفاس، انظر: نفح الطيب، ج 10، ص 305 – 309؛ درة الحجال، ج 2، رقم 897، ص 323 – 327؛ سلوة الأنفاس، ج 3، ص 99 – 101؛ عبد الله كنون، م. س.، ج 1، ص 225 – 228؛ كحالة، م. س.، ج 8، ص 169؛ Brockelmann, G. A. L., I, pp. sup., I, p. 484.

(9) س، ر، ل، ز، ش: إقريطش؛ ع: إفريكش (واعتمدنا في التصحيح على المسعودي وابن حزم وعبد الرحمن ابن خلدون).

(10) عن إفريقش، انظر: العبر، ج 2، ص 95، 170؛ ابن حزم، م. س.، ص 495؛ المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص 13؛ النويري، نهاية الأرب، ج 15، ص 293.

(11) في ع وكل النسخ المخطوطة: صافي (والتصحيح من المصادر المذكورة سابقًا).

(12) عن أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب البكري، المتوفى سنة 487 هـ انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج 1، رقم 633، ص 287؛ كحالة، م. س.، ج 6، ص 75؛ Brockelmann, G. A. L., I, pp. 627 - 28 et sup., I, pp. 875 - 76 ; F. Pons Boigues, op. cit., n°. 125, pp. 160 - 64 ; M. Canard, Les géographes arabes aux XI° et XII° siècles en Occident, trad. du chap. I de la Littérature géographique arabe, de I.

Scanned by CamScanner

Kratschkovsky, dans Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, Alger, 1960 - 61, pp. 1 - 72.

(13) عن أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيّ، المتوفى سنة 276 هـ. انظر: كارل بروكلمان، م. س.، ج 1، ص 221 – 230.

(14) ر، ل، ز، ش، ع: كسبهم.

(15) ر، ل، ع: البحر الرومي.

(16) يقرب رأي الصولي هذا مما جاء في "مروج الذهب" للمسعودي (ج 2، ص 94 – 96، 144) حول أصل البربر وإرجاعهم إلى قوم جالوت، وإلى بلد فلسطين. راجع أيضًا: الإدريسي، م. س.، ص 35؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 1، ص 242 – 245؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 229؛ ابن خلدون، العبر، ج 2، ص 167؛ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 5.

(17) ز، ش، ط، ج: البلبة؛ ع: البلية. ويفسر المسعودي البلبلة بعبارة "تَبَلْبُل الألسن"، أي اختلاف اللغات. فعبارة "أيام البلبلة" تدل على أحد عصور تاريخ البشرية، ويضعه المسعودي بين الطوفان ونُبُوَّة إبراهيم، في كتاب "التنبيه والإشراف"، ص 181، وفي عهد نمرود، الذي بنى برج بابل، في كتاب " مروج الذهب " ج 1، ص 53 – 57.

(18) عن البربر، راجع ابن خلدون، كتاب العبر، ج 6، ص 175 – 192؛ ابن حزم، م. س.، ص 495 – 498؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 5 – 6؛ E. Fagnan, Extraits inédits relatifs au Maghreb, pp. 41 - 42, 49 ; R. Basset, G. Yver et Ch.,Pellat, article Berbères, dans E. I., 2, 1, pp. 120 - 22.

(19) ر، ل، ز، ش: بربر. وذكر صاحب "روض القرطاس" (ص 198 – 200) هذه النظرية، حول الأصل النزاري للبربر، بمزيد من التفصيل. ويستعملها لغرض إسناد أصل عربي للأسرة المرينية الحاكمة في عصره. انظر أيضا: ابن حزم، م. س.، ص 495.

(20) ورد هاذان البيتان في " الذخيرة السنية " (ص 16) بعد البيت التالي:

كأني وبَرا لم تعز ديارنا ... بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

(21) ويلاحظ أن كثيرا من القبائل المذكورة في هذه الفقرة تَفرَّعُ عن قبائل مشهورة. فقبيلة مليلة، مثلا، فرع من قبيلة هوارة. وسوماتة فرع من نفزاوة. انظر: العبر، ج 6، ص 231 – 238، 265 – 267، وج 7، ص 4 – 12.

(22) عن بني عبد الواد، انظر: العبر، ج 7، ص 148 – 155.

(23) عن بني مرين، انظر: ج 7، ص 342 – 345.

(24) عن قبيلةمغراوة، انظر: العبر، ج 7، ص 50 – 57.

(25) عن قبيلة توجين، انظر: العبر، ج 7، ص 318 – 342.

(26) ر، ل، ز، ش، ع: ملكيش. عن قبيلة مليكش، انظر: العبر، ج 6، ص 262.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني
في التعريف بقبيل عبد الواد اعزهم الله

[اعلم] أن هذا القبيل المبارك فَضَل نُظراءه وشأى أكْفاءه شجاعةً وكرمًا وسراوةَ هِمَمٍ وتراميًا إلى الْمَعْلُوَات[1]، مع صبرٍ لنوازل الخطوب، ومُطاعنةٍ لحوادث الدهور، ومُثاقفة لتعاقب الصُّروف. قد خَبَرُوا الأيام وابتلوا الدُّهور، وسَبَرُوا الأحلاء والأمرار. فما يراعون لِواقع، ولا يأبَهون بعُسْرٍ ولا يُسْرٍ، إلى الدين المتين، والعفاف والصُّون، والوفاء بالعهد، وحفظ الْجِوار، ورَعْيِ الذمام، والحياء من الله [عز وجل] والْخُلُق. على هذا دَرَجَ سالِفُهم ونشأ خالِفُهم، وبه ازدان شيْخُهم وشابُّهم.

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيْتُ سَيِّدَهم ... مِثْلَ النجومِ التي يَسْري بها السّارِي

وهم فخِذان، أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا الاسم عُرِفَ الجميعُ تغليبًا. وأصله عابد الوادي، رهبانية عُرِفَ بها جَدُّهم من ولد سَجيح بن واسِين بن يَطْليتَن ابن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن برّ بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، فيما نمى إلى علمي، منقولاً من تاريخ ابن الفَيّاض[2] وسواه. وفي سجيح هذا يجتمع نسبهم ونسب فرعائهم بني مرين.

وشُعَبُهم خَمْسٌ: بنو ياتكتن وبنو وَلَّلُو ومَصُوجَة وبنو تومرت وبنو ورسطف، بادِيَة من أهل الوبر، استوطنوا الصحراء ينتجعون مَراعيها، من سِجِلماسة إلى زاب إفريقية، وبجبل مِصاب اليوم منهم بقايا أهلُ مَدَر.

ولما دوَّخ عقبة بن نافع الفِهْريّ المغرب بدعوة الإسلام، وأخذ البرابر بإقامة الشرائع، تألَّبوا مَزْوُوسين بكُسَيْلة بن بَلْزَم البَرْنُوسِيّ إلا بني عبد الواد، فإنهم أوَّلُ مَن أطاعه، وشَطَّت بهم الدار في صحرائهم. ثم ناجَزوا عُقْبَة بن نافع الحرب وهزموه، فأوَى إلى جبل هَسْكورَة، وأرسل إلى بني عبد الواد. فسارعوا إليه بألف فارس أنجاد، نصره الله تعالى بهم على البربر، فاستأصَلَهم ودَعا لبني عبد الواد، وهو مَنْ عُلِمَ بالإجابة دُعاؤُه، فما زالوا يعرفون بركتَه حتى الآن. [ثم] حضروا وقيعة الزلاقة

Scanned by CamScanner

مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني[3].

بلغني أن أحد رؤساء هذا القبيل الْمُبارك حجَّ ولَقِيَ أمير الْمؤمنين محمد المَهْدِيَ[4] فاستغزاهُ، فانتمى إلى ولد برّ بن قَيْس من أهل الْمَغْرب. فقال المهدي: إنما مَثَلُ الدنيا كطائر ذنبه الْمغرب. فقال له الشيخ العبد الوادي: نعم يا أمير المؤمنين، لكنه طاؤوس. فعجب المهدي لفصاحته وبداهة جوابه وأوسع جائزته. قلت: ولبداهة هذا الجواب المُقنِع أمثالٌ في مخاطبات، نسردها هنا على وجه الإطراف والإغراب إن شاء الله.

قيل: خرج الغضبان الشيباني[5] إلى بلاد كرمان قاصدًا عبد الرحمن بن الأشعث. فلما بلغها ضرب قبّة ونزل، فإذا أعرابي قد أقبل إليه وقال: السلام عليك. فقال الغضبان: السلام كلمة مقولة. فقال له: من أين جئتَ؟ قال: من خلفي. قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال: علامَ أنت؟ قال: على الأرض. قال: فيمَ أنت؟ قال: في ثيابي. قال: أفتأذن لي أن أدخل إليك؟ قال: وراءك أوسعُ لك. قال: ما أريد منك طعامًا ولا شرابًا. قال: لا تُعَرِّض بهما فلن تذوقهما عندي. قال: إن الرَّمْضاء قد أحرقت قدمي. قال: بُلْ عليها تبرد. قال: إن الشمس قد آذتني. قال: ليس لي عليها من سلطان. فتركه وانصرف.

ثم أتى ابنَ الأشعث، فدخل في طاعته، وقال له: تغدَّ بالحجاج قبل أن يَتَعَشّى بك. ثم لم يلبث أن أسِرَ، فأتِيَ به الحجاج، فقال له: أنت صاحب الكلمة الخبيثة " تغدّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك "؟ قال: أيها الأمير، ما نفعَتْ مَن قِيلتْ له، ولا ضرَّتْ مَن قيلت فيه. فأمر به، فحُبِسَ وقيّدَ، ثم أخرجه بعد ذلك بمدة، فقال له: سمنت يا غضبان. فقال: القيد والرتعة، ومَنْ يكن ضيفَ الأمير يسمن. قال: إني حاملك على الأدهم. قال: الأمير أفضل مَن حمل على الأدهم والأشقر والكمَيْت. قال: كلّا، إنه حديد. قال: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا. قال: احملوه. فلما استقلَّ به الرجال قال: سُبْحَانَ الذِي سَخرَ لنا هذا وما كنا له مُقرنين[6]. قال: أنزلوه. قال: رب أنزلني منزلاً مُبارَكا وأنتَ خيْرُ الْمُنْزِلِين[7]. قال: جرّوه. قال:

Scanned by CamScanner

بسم الله مجْراها ومرساها إنَّ ربّي لغفور رحيم[8].

ولما دخل خالد بن الوليد أرض اليمامة، وحلَّ قصر بني بقيلة[9]، أرسل إلى أهلها، أن ابعثوا إليّ رجلاً من عقلائكم نكلمه. فخرج إليه عبد المسيح بن عمرو، وكان شيخا مُسِنًّا. فلما جاءه قال: أين أقصى أثرك أيها الشيخ؟ قال: ظهْرُ أبي. قال: فمن أين جئت؟ قال: من بطن أمي. قال: علامَ أنت؟ قال: على الأرض. قال: فيمَ أنت؟ قال: في ثيابي. قال: تَعْقِلُ وَيْحك. قال: نَعم وأقيِّد. قال: قبّحك الله، أسألك عن الشيء فتجيبني بخلافه. قال: ما أخبرتك إلا بحق. وكانت في يده قارورة، فقال له خالد: وما تلك بيدك؟ قال: قارورة فيها سمُّ ساعة. قال: وما تصنع بها؟ قال: إن وجدتُ عندك ما أحب لقومي حمدت الله، وإلا شربته ولم أكن ممن يجرّ على قومي[10] شرا. قال: هاتِها. فتناولها وقال: بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ثم شرِب السمّ. فما كان إلا أن غشي عليه ساعةً، ثم أفاق. فتعجَّب منه عبدُ المسيح، وذهب إلى قومه وقال: يا قوم، صالحوا هذا الرجل على ما يُحِبُّ، فوالله لقد شرب السمّ وما ضرّه[11].

وسأل رجل بعضَ المتكلمين عن سِنِّه بحضرة المأمون، فقال: ما سِنُّكَ؟ [فقال: اثنان وثلاثون، ما بين ضرس وناب وسِنّ. وسأل رجلٌ رجلاً بحضرة المأمون أيضا عن سنه، فقال: ما سنك؟][12] فقال: عظيم. قال: لم أرد هذا، ولكن كم لك من السنين؟ قال: ما لي منها شيء، كلها لله. قال: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليّ شيء لقتلني. فضحك المأمون وقال: فكيف السؤال عما يريده؟ قال: أن تقول: كم مضى من عمرك؟

ودخل شَريك على معاوية يومًا. قال له: يا شريك، آيةٌ من كتاب الله تعالى ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: وإنّهُ لذِكرٌ لكَ ولِقومِكَ[13]. قال: نعم، وآية أخرى ليس لي ولقومي فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: وَكذّبَ بهِ قوْمُكَ وَهُوَ الحقُّ[14].

وعزم أمير الكوفة على بكر بن عبد الله في ولاية القضاء بها، فقال له: والله ما

Scanned by CamScanner

أحْسِنُ القضاء، فإن كنتُ كاذبًا فما تحِلُّ توليتي، وإن كنتُ صادقًا فذلك أوجب لتركي. وولي إياس بن معاوية قضاء البصرة وهو فتى. فلما قدمها لقِيَه وُجوهُها، فاستصغروه. فقال له أحدهم: ما سنّ القاضي أصلحه الله؟ قال: سنّ عتاب بن أسَيد حين ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قضاء مكة.

وعذلت الخنساء في بكائها على صخر. فقيل لها: أتبكين على رجل من أهل النار؟ قالت: ذاك أشد لحزني. وقال المأمون لأمّ ذِي الرِّياستيْن لمَّا قتِلَ ابنُها: لا تبكي على ابنِكِ، فأنا ابن لكِ بعده. فقالت: يا أمير المؤمنين، أفلا أبكي على ابن أفادني ابنا مثلك؟

وقال عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه: لا تزيدوا في مُهور النساء على أربعين أوْقِيَة، ومَنْ فعل ألقيت زيادته في بيت المال. فقالت امراة: يا أمير المؤمنين، والله تعالى يقول: وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحْداهُنَّ قِنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا[15]. فقال عمر رضي الله عنه: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

قال: ومرَّ مُريد برجل وقد خبأ شيئًا. فقال له ذلك الرجل: ما تحتك يا مريد؟ فقال له: لو أردتُ أن تعرفه ما خبأته.

ودخل مَعَنٌ[16] على هارون الرشيد، فقال له: كبرتَ يا مَعَنّ. قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك لَجَلْدٌ. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقيَّة. قال: هي لك يا أمير المؤمنين. قال: فأيُّ الدولتين أحبُّ إليك هذه أم الفارطة؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، فإن زاد برُّك على برِّهم كانت هذه أحبَّ إليَّ، وإن زاد برُّهم على برِّك كانت تلك أحبَّ إليَّ.

وسَأل أبو العيناء من بعض الرؤساء كتابَ شفاعة، إلى بعض عُمّاله، في رجل من أصدقائه، ففعل. فلما أخذ ذلك الرجلُ الكتابَ، أتى به إلى أبي العيناء، فقال له: افتحه لأرى ما فيه، فإذا فيه: " أما بعد، فإنه سألنا مَن لا يُوجِبُ علينا حقُّه الشفاعة لك في رجل لا نعرفه، فإن فعلتَ خيرًا لم نشكركَ، وإنْ فعلتَ شرا لم نَلُمْكَ، والسلام ". فذهب أبو العيناء بالكتاب إلى كاتبه وقال له: ما هذا الذي كتبتَ فيه؟

Scanned by CamScanner

قال: هي علامة بيني وبين عاملي إذا أردتُ قضاء حاجة لأحد لكثرة ما يكلفنيه السؤال. فقال: لعنك الله وأعماك، وقطع يديك ورجليك. قال: وما هذا الدعاء؟ قال: علامة بيني وبين الله إذا أردتُ أن يستجيب لي في أحد.

رجع التاريخ. وكان كبير هذا القبيل الأعز، في المِائة السادسة، أبو محمد عبد الحق بن مَنَغْفاد[17]. فلما مَلَك عبد المؤمن بن علي تلمسان وأمصارها، وأراد الجواز إلى إفريقية، بعث غنائمه من المال والذخيرة والكراع إلى مغربه. فنهض المُخضَّبُ ابن عسكر المريني[18]، في خمسمئة فارس من قومه، من الصحراء، إلى أخذها. فأرسل عبد المؤمن بن علي إلى الشيخ أبي محمد عبد الحق بن منغفاد العبد الوادي، مستعيدًا به لغنائمه. فسارع بفصيلته[19] وأدرك المُخَضَّب بِمُسُون، وقد استَحْوَذ على الغنائم بأسرها، فقتله وأسر أكثر قومه[20]، واسترجع لعبد المؤمن غنائمه[21]. فقد بان لك أنهم عرب صحراء، وأن لهم في زناتة الفضل المتقدِّم والشرف المعروف رضي الله عنهم[22].

والفخذ الثاني هم بنو القاسم، من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قيل: هو القاسم بن إدريس، وقيل: ابن محمد بن إدريس، وقيل: ابن القاسم بن إدريس، وقيل: ابن محمد ابن عبد الله بن إدريس، وهو أحبّ إليّ لاشتهاره وإجماع المشيخة عليه، وأنسَبُها عند اعتبار الزمان لانقراض دولة الأدارسة.

وذلك أنه لما تغلب جيش المنصور بن أبي عامر ثانية على الحسن بن قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، آخر ملوك الأدارسة، وأنزله من قلعة النسر على حكمه، وأجازه البحر إليه، ثم أعرض مَنْ قتله سنة خمس وسبعين وثلاثِمئة، افترق بنو أبيه غربًا وشرقا وشمالاً وجنوبًا. فكان القاسم هذا مِمَّنْ أصحر وانضاف إلى قبيل بني عبد الواد، فأكرموا نُزْله ومثواه، وعَظَّموا قدره وشرفه، وحكَّموه بينهم في الشرائع، وانقادوا عن آخرهم إلى طاعته. فتزوَّج فيهم ونسل بينهم ذُرِّية كثيرين[23]، استشعروا زيَّهم وتَخلَّقوا بشجاعتهم، ثم اختاروا إمرتهم[24]، فتوارثها

خالفهم عن سالفهم، وتيامَنَ بِهم القبيل، وعَرَفوا في الصدر والورد بركتهم، فلم ينازعْهُمْ ذلك منهم أحد. وما زالوا ينمون عددًا، ويفترقون فصائل وبطونا، إلى أن ضاهوا القبيل وعادُوهم زرافات ووحدانا.

فكانت شُعَبُهم سِتًّا، وهم بنو مَطْهَر بن يَمَل بن يَزْجَن بن القاسم، وبنو وَغزان بن مسعود بن يَكريمَن الأكبر بن القاسم، ويضاف إليهم أولاد عمر ويكريمن الأصغر، أخَوَيْ أبيهم وَغزان، وبنو دَلول بن علي بن يَمَل بن يزجن بن القاسم، وبنو مَغْطِي بن جوهر بن علي بن يَمَل، وبنو جُمِّي بن علي بن يَمَل[25]، وبنو طاع الله بن علي بن يَمَل[26].

وفي عقب محمد بن زجدان بن يندوكسن بن أطاع الله، هذا الْمُلك. وأولاده ثلاثة: ثابت أبو زيان، والد[27] يغمراسن، ويوسف أبو جابر المتملك الأول، ومَجَن. فبنو القاسم أولاء هم الذين حازوا شرف النسب وكرم الأبوة، وفخر المُلك القديم والحديث. * فهم المَعْنِيُّونَ بقوْلِ مهْيَار:

الواهبي[28] ما لا يُجادُ بمِثلِهِ ... والسالِبي ما لَيْسَ بالْمَسْلوبِ
والراكبين إلى ذوي حاجاتهم ... ظهْرًا من الأخطار غير رُكوبِ
جادوا فقالَ المالُ سُحْبُ مَواهِبٍ ... وسَطَوْا فقالَ المَوْتُ أشدُ حُروبِ
وتتابَعوا في المَجْدِ يَنتظِمونه ... والرَمْحُ أُنْبُوبٌ على أُنْبُوبِ
كانوا الأسِنة في مَعَدّ كلها ... والناسُ بيْنَ مَعاقِدٍ وكعُوبِ
إنْ فوخِروا، شهِدَتْ لهم أيامُهم ... فيها، بكل مُعَلَّمٍ مَكتوبِ
يَتوارَثونَ مَكارِمًا مُضَرِيّة ... إرْثَ النبُوّةِ في بَنِي يَعْقوبِ
دَرَجوا عليها آخِذِينَ بحُكمِها ... لم يُفسِدوا حَسَناتِها، بعُيوبِ[29]*

قلت: ولا يسع أخا هوى الطعْن في هذا النسب الكريم، لأنه من الشهرة بالآفاق، والفشوّ في القبائل والأحياء، بحيث لا يَحجبه بُعْد دار، ولا يَجحده لسان عدوّ فضلاً عن صديق. وفي المشهور من مذهب إمام دار الهجرة، رضي الله عنه، ثبوت الأنساب بِمُجرّد الشهادة من غير معرفة أصولها. حكى الباجي[30] في منتقاه

وغيره من المتأخرين أن شهادة السماع الفاشي المتواتر تفيد العلم إجماعًا. قال ابن القاسم[31]: يقطع بالنسب بها وإن لم يعلم الأصل. وقال بعض نظّار المتكلّمين: خبر الواحد إذا احتفت به القرائن أفاد العلم.

فإن رُوعِيَ في إثبات هذاالنسب الشريف الشهادة، فلا شهادة أعدل ولا أكثر[32] من قبيلٍ أصيل، مشتمِلٍ على شِيبٍ وشيبان ورؤساء ومرؤوسين، ورجال ونساء من بني عبد الواد، أعزهم الله تعالى، كَرْش القوم[33] وعينهم يعرفون أصلهم، ويدينون بصحة منتماهم الْهاشِمِيّ. وإن اكتفِيَ فيه بالسماع الفاشي، فأمره بالمشارق والمغارب مشهور، ولسان الولي والعدو بشأنه معترف، وخبره بحضرة تلمسان، دار أولهم وآخرهم، عرفانَ الشمس معروف، فهو أظهر من أن يخفى، وأوضح من أن يجحد.

وهل يبقى على الأذهان شيءٌ ... إذا احتاج النهارُ إلى دَلِيل

[والله ينجح بصالح الأعمال، ويقضي بالخيرات في المآل].

---

(1) ورد ما سبق من هذه الفقرة بكثير من التحريف، في ز، ش، ع، كما يلي: إن هذا القبيل له نظم وفضل وشأن وإكرام وهم وترام إلى المعالي.

(2) والأصح أنه ابن أبي الفياض، أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد، المتوفى سنة 459 هـ ومؤلف كتاب "العبر في التاريخ" وكتاب "القبس المنير" في التراجم، وهما مفقودان. انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج 1، رقم 126، ص 60.

(3) لم يذكر ابن أبي زرع القبائل البربرية التي شاركت في معركة الزلاقة، غير أنه يذكر بني عبد الواد من بين القبائل التي شاركت في معركة الأرك. انظر: روض القرطاس، ص 102، 160.

(4) ع +: ابن تومرت. وهذا خطأ. وذلك أن المقصود هنا هو الخليفة العباسي المهدي ابن أبي جعفر المنصور (158 – 169 هـ).

(5) هو الغضبان بن القبَعْثري الشيباني، أحد أبطال قبيلته المشهورين. كان من أنصار بني أمية، وأرسله الحجاج بن يوسف لقتال قطريّ بن الفجاءة، أحد زعماء الخوارج. وقد ورد ذكر هذه الحكاية في " البيان والتبيين " للجاحظ، ج 1، ص 385 - 386.

(6) قرآن، سورة الزخرف، الآية 13.

Scanned by CamScanner

(7) قرآن، سورة المؤمنون، الآية 29.

(8) قرآن، سورة هود، الآية 41.

(9) في جميع النسخ المخطوطة: نفيلة (وهو خطأ).

(10) ر، ز، ش، ع: قومه.

(11) وردت هذه الحكاية في " البيان والتبيين " للجاحظ، ج 2، ص 167 - 169.

(12) ابتداء من هذه الفقرة، يوجد بتر في ب، ر، ل، قدره عشر صفحات تقريبًا.

(13) قرآن، سورة الزخرف، الآية 44.

(14) قرآن، سورة الأنعام، الآية 66.

(15) قرآن، سورة النساء، الآية 20.

(16) هو معن بن زائدة الشيباني، اشتهر بشجاعته وكرمه. وكان من أنصار بني أمية، فحارب العباسيين، واختفى بعد انتصار هؤلاء. ثم عفا عنه أبو جعفر المنصور، وقرّبه إليه، وعينه واليًا على سجستان. وتوفي معن سنة 158 هـ، قتله أحد الخوارج. وقد وردت هذه القصة في " البيان والتبيين " للجاحظ، ج 3، ص 402.

(17) في ز، ش، ع: معاد. وفي المخطوطات الأخرى: معاذ، واسم هذا الشيخ العبد الوادي الصحيح هو: عبد الحق بن مَنَغْفَاد، كما ورد في كتاب " العبر "، ج 7، ص 150.

(18) حول نسب بني مرين، ومن بينهم بنوعسكر، انظر: " الذخيرة السنية "، ص 16 - 22.

(19) في ز، ش، ع: فلما وصله كتاب عبد المؤمن بن علي، ركب في خمسمئة من أنجاد بني عبد الواد، وجذ السَّيْرَ لنصرة غنائم عبد المؤمن (عوض: فسارع بفصيلته).

(20) لم ترد هذه الجملة الأخيرة في ز، ش، ع، وإنما عوضت بما يلي: فلما رأى عبدَ الواد بنو مرين، ولوْا في عدة الخيل. فحمل عليهم بنو عبد الواد حملة منكرة، فولوْا الأدْبار، وفكتْ من أيديهم الغنائمُ، وقتل جميعُ رؤسائهم، وأسِرَ مَنْ بَقِيَ، ولم يَنْجُ من بني مرين إلا القليلُ.

(21) لم ترد هذه الجملة في ز، ش، ع، وعُوِّضَتْ بما يلي: فعظم عبد الواد عند عبد المؤمن. (ورد هذا الحادث في "الذخيرة السنية" ص 18 - 19، مع تحديد تاريخه في جمادى الآخرة سنة 540 هـ).

(22) ز، ش، ع - : رضي الله عنهم.

(23) ز، ش، ع: ذرية صالحة كثيرة.

(24) ز، ش، ع: إمارتهم.

(25) هاذان السطران، ابتداء من " بن يزجن بن القاسم، وبنو معطي..": ساقطان في ز، ش، ع.

(26) حول نظرية إلحاق نسب بني القاسم بالأدارسة، انظر كذلك: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 149؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعياد، ص 109 - 110.

Scanned by CamScanner

(27) ز، ش، ع [illegible]

(28) في ديوان مهيار الديلمي، نشر نسيم، ج 1، ص 100: والواهبي.

(29) س: بذنوب. لم ترد هذه الأبيات إلا في س. وقد عوضت في ز، ش، بما يلي: فهم معنيون الواهبي حيث يقول اختصرت شعره.

(30) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي، المتوفى سنة 474 هـ انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج 1، رقم 454، ص 200 - 202؛ الضبي، م. س.، رقم 777، ص 303؛ عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 802 - 808؛ ابن فرحون، م. س.، ص 120 - 122؛ Brockelmann, G, A, L., I, p. 419 et sup., I, pp. 743 - 44 ; D. M. Dunlop, art. dans E. I., 2, I, p. 889.

(31) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي، المتوفى سنة 191 هـ انظر: ابن خلكان، م. س.، ج 2، ص 311 - 313؛ ابن فرحون، م. س.، ص 146؛ Brockelmann, G. A. L., I. p. 186, sup., I, p. 298.

(32) ز، ش، ع - : ولا أكثر.

(33) كرش القوم يعني: معظمهم.

Scanned by CamScanner

الباب الثالث من القسم الأول

في التعريف بأولية بني عبد الواد وترحيل ايامهم

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في ذكر أوليتهم

ولم يزل هذا القبيل المبارك بصحرائه، كما ذكرنا، وينتجعون أحيانا تلّ تلمسان للمِيرَة[1] على عادة البَوادي، إلى العشرة الثانية من الْمِائَة السابعة. ففيها صاروا أجنح إلى التلِّ منهم إلى الصحراء بِما أنِسُوه من خصبه وغضارة عَيْشِه فاتخذوه مربعًا ومصطافًا، سِلْمًا للدولة المومنية، بخلاف بني مرين. فكانوا عند ملوكها أرفع رُتْبَة وأحظى منهم. واتخذهم بنو عبد المؤمن بن عَلِيّ أولياء وأنصارًا وحُماة لقطْر تلمسان.

وكانت الحرب يومئذ[2] بينهم وبين بني مَرِين سِجالاً، وإن يكن غلابٌ فلهم، إلى سنة ثلاث وعشرين (وستمئة)، آخر أيام عبد الواحد المخلوع ابن يوسف العَشرِيّ ابن عبد المؤمن بن علي، [أخي يعقوب المنصور]، وأول أيام عبد الله العادل ابن يعقوب الْمنصور، عند اضطراب الدولة الْمُومنية. فهنالك تطاول هذا القبيل الأعزّ إلى مُلك الوطن والاستِحْواذ عليه. وشرعوا في تَطْويعهم لأمْرِهم، فأوجفوا على أهله بالخيل والرِّكاب، وجاسوا خلال أغواره وأنْجاده، واحتاز كلُّ فريق منهم فيه جانبًا، عاهَدَ أهلَه على أمانهم في الفَلْح والسَّرْح والمال والنفس، بإتاوة يُؤَدُّونَها إليهم مُسَانَهَةً، وأمْرُ جميعهم يومئذ راجع إلى [رأس] قبيلهم الأكبر جابر بن يوسف بن محمد بن زجْدان بن يَنْدُوكسَن بن أطاع الله.

وكان له ولفصيلة أولاد محمد من الوطن تلمسانُ وما إليها[3]، فأحسنوا في الناس الْمَلَكَة[4] ووَفُّوا لهم بالأذِمَّة، فتمكَّن أمرُهم فيهم، وتَحَكَّمت بالقلوب صبغة حُبِّهم. ولم تزل بعدُ يَدُهم تعلو، ومنكبهم على الدولة الْمُومنية تُطِلُّ إلى سنة سبع وعشرين (وستمئة)، في أيام إدريس المأمون ابن يعقوب المنصور ابن يوسف العشري ابن عبد المؤمن بن علي. ففيها كان ابتداء أمرهم العزيز، وصيْرورة الْمُلك

Scanned by CamScanner

إلى محله من بني إدريس فيهم، وحلول قمر الخلافة بهالته القرشية، فسبحان [الله اللطيف] مديل الدول، لا إله إلا هو(5).

---

(1) ز، ش، ع: للمرتع.

(2) ز، ش، ع: حينئذ.

(3) ز، ش، ع: وما يليها.

(4) ز، ش، ع: السيرة.

(5) الجملة الأخيرة ابتداء من " فسبحان.. ": ساقطة في ز، ش، ع. وهنا ينتهي البتر في ب، ر، ل.

الفصل الثاني
في ذكر سبب مصير المُلك إليهم

وذلك أن الْحَسَن بن حَيُّون الكُومِيّ المعابدي، عامل وطن تلمسان يومئذ، نافرَ بني عبد الواد وأساء جِوارَهم، ثم أغرى السيِّد أبا سعيد عثمان، أخا أمير المؤمنين إدريس المأمون، والي المدينة، بالقبض على كِبارهم ففعل، واعتقلهم بدار النارنج من القصرالقديم زمانًا طويلاً، إلى أن شفع له فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي، شيخ مُترجِلة لَمتونة الْمُسْتَخْدَمين كانوا يومئذ بتلمسان، فردَّ شفاعتَه، فأنف لذلك وحملته العصبية على أن جمع قومه، واغْتالَ الحسن بن حَيُّون فقتله، وسرَّح بني عبد الواد واعتقل مكانَهم السيد أبا سعيد، وخلع طاعة الْمُوَحِّدين، وتطاول لإحياء مَوات الدولة اللَّمْتُونِيَّة[1].

ثم سوَّلَتْ له النفس الأمَّارة بالسُّوء أنّ ذلك لا يَتَأتَّى له إلا بعد موت جابر بن يوسف ومَشْيَخَة بني عبد الواد. فأعمل الْحيلة في قتلهم بأنْ بَرَزَ إليهم في ثَمانية نَفَر، أوليائه، يدعوهم إلى دخول الْمَدينة لحضور وَليمة عنده. وقد كان خبرُ مُراده فيهم نَمَى إليهم، فقبضوا عليه وعلى أصحابه، وشدُّوهم وثاقًا.

ودخل جابر بن يوسف في إخْوَتِهِ الْمَدينة لِحِينه بدعوة المأمون، فحلّ دارَ إمْرَتِها وضبط أمورها، واستقلّ بِحُكْمِها، إلّا ما كان من ذكر الْمَأمون على الْمِنْبر وفي الدِّرْهم والدِّينار وما أشْبَه ذلك من الْمُظاهَرات. فكان هذا مُبتدأ الدولة العبد الوادية ومطلع شَمْسِها، وفاتحة فُرْقانِها. والأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده [والعاقبة للمتقين].

---

(1) يعني انضمام ابن علان الصنهاجي إلى دعوة بني غانية. انظر: العبر، ج 7، ص 152.

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث
في ذكر مَنْ ولي غير مُستبدٍ منهم

أوّلُهم جابر بن يوسف، ملك تلمسان بدعوة المأمون كما قلناه سنة سبع وعشرين. وهو أول مَنْ نازع بني عبد المؤمن رداء مُلكها، وقد كان رأس دولتهم اشتغل من الكبر شيئا، وقعدت به الشيخوخة عن النهوض[1]، فقنع مُلوكُها منه باسم الطّاعة، وغضُوا عن مُسَمّاها الأبصار، تهيُّبا لأمره، وتقيّة من إهاجته[2]. فهنأ مُلْك تلمسان، وأطاعته بنو عبد الواد كافةً وبنو راشد أجمعون وبايعته حواضر القطر سوَى نَدْرُومَة، فتوجّه إليها، وأخذ بمخنّقها، فأصماه من سُورها الغفائري[3] التلمساني بسهم، رحمة الله عليه، وذلك آخر سنة تسع وعشرين، فكانت أيّامه نحو ثلاث سنين.

ثم ولدُه الحَسن ستة أشهر وانخلع عنها لعمّه. ثم عثمان بن يوسف[4]، تملّك أوّل سنة ثلاثين. وكان فظًا غليظًا سيّئ المَلكة، معركا بين الناس، فأخرجوه عن تلمسان في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين، فكانت دولته نحو سنة ونصف.

ثم[5] أبو عزّة زجدان[6] بن زيان بن ثابت بن محمد. مَلَكَ بعد عثمان المذكور بإجماعٍ من قبيله سوى بني مطهر. وكان مِقدامًا، غير هيّاب لعظائم الأمور، ولا مُتوانٍ في إعْمال الرّأي. فحارَبه بنو مطهر، مُستظهِرين عليه ببني راشد. فكانت الحرب بين الفريقين سِجالاً وغِلابًا، إلى أن قتلوه، رحمه الله، خارجَ تلمسان، سنة ثلاث وثلاثين وستمئة، فكانت أيّامُه نحو ثلاث سنين[7]. وبِمَوْته انقطعَتْ دَعْوَة بني عبد المؤمن من تلمسان وقطرها، وعلا به صَيْتُ الدعوة العبد الوادية بمَصيرها إلى أخيه أمير المسلمين أبي يحيى يغمُراسن بن زيان، رضوان الله عليه، والبقاء الدائم لله وحده.

Scanned by CamScanner

كمل القسم الأول من كتاب بغية[1] الرواد، وبالله التوفيق.

---

(1) حول انحطاط الدولة الموحدية، من ناحية الدعوة ... Studia Islamica,

Scanned by CamScanner

القسم الثاني

في ذكر السلاطين الأول من بني عبد الواد

وفيه ثلاثة أبواب

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

الباب الأول من القسم الثاني

في ذكر دولة أمير المسلمين [أبي يحيى] يغمراسن بن زيان ودول عثمان ابنه وبنيه رضوان الله على جميعهم

1) دولة أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان رضوان الله عليه

فارعُ الثنيَّة وعاطف الحنيَّة، والمستأثِر دون الملوك بالخِلال السَّنيَّة، مُظْهِر الرَّيْع والرَّيْعان، ومُقيم حَفْلي الطعام والطِّعان، خليفةُ الله المُرْتَضى، وسيف حِمايته المُنْتَضى، ووعْدُ أمينِه الصادق المُقتضَى، مُنير الأحلاك، وناظم الأسلاك، ومَلِكُ الشرفاء وشريف الأملاك، أيُّ عَلاء ومَجْد، وعَلَمُ كَمال في نَجْد، ومُكَيِّف عِناية وجَدّ، طلع سَعْدُ أخْبِيَتِه المُسَخَّر، وقد بدأ فَرْعُ الدولة الموميَّة المؤخَّر، فضاء سَعْد سُعودِهِ وتَلَع، وخَوَى بكلمة المهدي[1] سَعْدُ بُلَع، والأرض يومئذ تَموج بالسَّاكن، والْهَرَج يَنْبُو بالْمَساكن، والفسادُ عَبَّدَ الأقطار، وأنْزَح الأوطار، والعُتُوُّ قد سلَّ الشفار، وباعد على كَثَبِها الأسْفار، فسَكَّن الإرجاف، وأسْمَنَ بكلإِ الْهِداية العِجاف، وقبض يَدَ العِداء، وأمْكن يَدَ عِزِّه من رقاب الأعداء، فجدّد الْمِلَّة، وأشعر زيّ الخلافة الحُلَّة، وسامَه الموحِّدون الضَّيْمَ فأباه، وراهنه بميدان العَلاء جوادُ أمرهم فأكْباه، ثُمَّ نظم بِجَواهر قبيلَه السِّلْكَ، وأورث جلَّة بَنيه الأغْليْنَ الْمُلْك، وقبضه الله وأيدي الاغتباط عليه مشدودة، ومَناقبُه في مَناقِب الْخلفاء الراشدين معدودة، وأفعالُ برّه لا مُتناهية ولا مَحْدودة، وعارِيَةُ الوُجود مَرْدودة، وزَهْرة الحياة الدنيا كما قد عَلِمْتَ مجدودة، نضّر الله وجهه.

مولدُه سنة ثلاث أو خمس وستمئة[2]. وكان كريمًا شجاعًا فاضلاً حليمًا متواضعًا سَؤوسًا، ذا سُؤدَدٍ وعفاف ومجد وعَلاء، يؤثِر الصالحين والعلماء، ويُجالسهم كثيرًا. بويع يوم وفاة أخيه أبي عِزَّة زَجْدان الْمذكور آنفًا، يوم الأحد الرابع والعشرين لذي قعدة سنة ثلاث وثلاثين وستمئة. وسُئِلَ منه القول بالشرف، وإثبات نسبه إليه، فقال: " إنْ كان الْمُراد شرَفَ الدنيا فهو ما نحن فيه، وإن كان القَصْدُ به شرفَ الأخرى فهو عند الله سبحانه "[3]. وهو أوّل من خلط زيّ البداوة

بأبْهَة المُلك، وأشْعَرَ القبيلَ لِباسَ الشريعة، فأعلى المَنار، ومهّد الخلافة، وأوثر الأريكة، وأسمع أهل المَشارق والمَغارب صَوْتَ الدعوة.

ونازعَه الأمرَ بنو مَطْهَر، من قبيله، بِمُظاهرة بني راشد، ومُمالأةِ من سائر القبيل، فأظهَره الله على الجميع، عنايةً بأمره، وإعلاءً لقَدْره. وُزراؤه: يحيى بن مَجَن، ثم أخوه عَمُّوش[4]، ثم ابنه عمر بعد موته بِحَجَر المُنْجَنيق على وهران سنة ست وثلاثين، ثم يعقوب بن جابر الخراساني. وحاجبُه الأقرب ومُشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحَبَّاك[5]، من فقهاء الحضرة. وكُتَّابُ إنشائه الفقيه أبو محمد [غالب] بن غالب، قتل يوم ثورة النصارى، ثم أبو عبد الله محمد بن جدار، ثم أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خَطَّاب المُرْسِيّ[6]. وكاتبُ عسكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن المُعَلِّم. وصاحب أشغاله عبد الرحمن بن محمد ابن المَلَّاح. وقضاته: الفقيه أبو الحَسَن علي بن اللجّام، ثم أبو عبد الله محمد المدكالي، ثم الفقيه أبو عبد الله بن مروان، وولده الفقيه أبو الحسن علي، والفقيه أبو مهدي عيسى بن عبد العزيز[7]، ثم إبراهيم بن علي بن يحيى.

وفي سنة تسع وثلاثين أتته من مراكش هَدِيَّة أبي محمد عبد الواحد الرشيد ابن إدريس المأمون ابن يعقوب المَنْصور ابن يوسف العُسري ابن عبد المؤمن بن علي، استئلافًا له دون الأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر، الثائر يومئذ بإفريقية، فأنف المذكور لَها، واستجاش أهلَ إفريقية من المُوَحِّدين ومَواليهم وأحلافهم من العرب كافة، كذَبَّاب وسُلَيْم ورياح وزُغْبَة وهوارة وقرفة وثوبة، وتحرك إلى تلمسان، فنَزَلها يوم الأربعاء التاسع والعشرين لشهر الله المحرم فاتح سنة أربعين وستمئة، وبعسكره اثنا عشر ألف رامٍ مُتَرَجِّلة سوى الرّكْبان.

وفي يوم السبت بعده، خرج أمير المسلمين من البَلَد وحَرَمُه ومالُه بين يَدَيه على باب العَقَبَة، والمَقانب مُصطفَّة تُجاهَه، فأفْرَجَتْ [له] رَهْبَةً منه. ومضى إلى طِيَّته، فمِنْ قائل بانْحِيازه إلى جبل بني يَزْناسن، ومِن مُصحِّح وُقوفه لضَنّ البلد

بجبل تيزني من جبل بني وزينك[8]. وملك الموحدون البلد، ثم لم يجد له أميرهم أبو زكرياء كفـءًا إلا أمير المسلمين أبا يحيى رضي الله عنه. فاستقدمه فلم يجبه فسوّغه اضطرارًا [البلد والقطر وسهامًا معيّنة بإفريقية، مبالغ جبايتها مائة ألف دينار، إعانة له على مُواقفة بني عبد المؤمن بن علي وكرّ قافلًا إلى إفريقية وأقام في طريقه بقبائل توجين] ومغراوة ومليكش، سلاطين كالأسوار المشيدة بينه وبين أمير المسلمين أبي يحيى رضوان الله عليه[9].

ودَالَ بعد ذلك مُلكُ مراكش إلى أبي الحسن السّعيد، أخي الرشيد المذكور آنفا، فدعَتْه الأنفةُ إلى الحركة نحو الأمير أبي زكرياء الحفصي. فنهض سنة ست وأربعين بالبحر الزاخر، أممًا مُوحّديّة وزناتيّة وعربية، واجتاز بالمغرب، فأعطته مَرين المَقادةَ وجاءته بالمَراهين، وتحرّكت معه حضّتها، وقصد تلمسان. فأفرج له عنها أميرُ المسلمين أبو يحيى يغمراسن رحمه الله، مُنحازًا إلى جبل تيمزجزجت[10] المُجاور جنوبًا لوَجْدَة، جانِحًا إلى السّلم، وراضيًا بإعطاء الحصّة من قبيله. فلم يقبَل السّعيد ذلك منه، وأخذته فيه[11] العزّة بالإثم، فاعتمد حصاره بالجبل المذكور، ونزل بوادي إيسلِي آخِذا بمُخنّقِه.

وفي يوم الثلاثاء عاشر شهر صفَر السنة المذكورة، صعد السعيد[12] إلى الجبل، قيل لابْتِلاء حَصانته، وقيل مُعْتَمِدًا قتاله، وهو الأصحُ فيما انتهى إليّ، فلم يَهْدِ اللهُ كيْدَهُ، ومنح أميرَ المُسْلمين وقبيلَه النصرَ عليه. فهزموه بعد إعيائه من الوعور الصَّعْبَة، فقُتِلَ على يد يوسف بن خَزْرون الدّلولي، وانفضّتْ عساكر المُوحّدين. فاستَوْلى أميرُ المسلمين أبو يَحْيَى يَغْمراسن، رضي الله عنه، على ذخائر الدولة المُومِنيّة كالمُصْحَف العُثمانيّ والعِقد اليَتيم وغضار[13] الزُّمُرُّد وغير ذلك مما لا تحسبه اليراعة. واحتاز قبيلُ عبد الواد أعزّهم الله جميع المحلّات بما فيها من متاع ومال وكراع. فضخم بعدها المُلك وعلت يَدُهُ، وبَعُدَ الصيت وتوطّدت الدولة[14]. والله يوتي مُلْكَهُ مَنْ يشاء، وينزعه ممن يشاء، لا إله إلا هو [سبحانه].

واستخدم أميرُ المسلمين رضوان الله عليه من زوم المُوحّدين زهاء الفي

Scanned by CamScanner

فارس. وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وستمئة، عرض عساكره كافة بالْمُنْيَة، من ظاهر الْحَضْرة. فغدر به النصارى عند مُروره بساقتهم، فقتلوا أخاه محمدًا، واحتضنه كبيرُ قوّادِهم، فانجذَبَ رضوان الله عليه بقوّته الفُضْلَى منه، وصاح بقبيله، فاعتوَرتْ سيوفُهم أولئك الرُّوم، فقُتِلوا من عند آخرهم، فلم يَبْقَ منهم عَيْنٌ تَطْرِفُ، وذلك هو السبب في عدم استخدام النصارى عند بَنِيهِ حتى الآن[15]. وفي سنة خمس وخمسين تحرَّك أميرُ المسلمين نضَّرَ الله وجهه لِحِصار سجلماسة، فأخذ بِمُخَنَّق أبي يحيى بن عبد الحق فيها، واستغلق [عليه] أمْرُها، فقفل إلى حضرته الكريمة، فجاءه للحين أبو محمد عبد الواحد بن عبد الحق خاطبًا سِلمَه، فمنحه إياه.

وفي سنة تسع وخمسين، وصل يعقوب بن عبد الحق بقبيله في سبيل مُصارخة أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن رحمه الله على توجين. فارتحل رضوان الله عليه معه بقبيله أيضا، إلى أوماكَرًا من بلاد بني راشد، ثم أقسم عليه ليرجعنَّ إلى وطنه رَفعًا للكلفة عنه. وفي سنة اثنتين وستين، أخذ أمير المسلمين أبو يحيى [يغمراسن] رضي الله عنه سجلماسة، وخرجت عن يده سنة ثلاث وسبعين.

وفي سنة خمس وستين، أمر رحمه الله بابْتِناء الأسوار الشاهقة بباب كشوطة[16]. وفي سنة ثمان وستين مَلَكَ بنو مرين مراكش، فاشتدت شَوْكَتُهم، وتضاعفت قواهم بِما استحْوَذوا عليه من جباياتِ أمْصارٍ وقبائل. وتَخَلَّلَ هذه السنين من غَزَوات أمير المسلمين أبي يحيى، قدَّسه الله، العَرَبَ بصحرائها اثنان وسبعون غزاةً، إلى أن استعْبَدَ أحرارَهم، واستغْرَمَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرونَ[17] أموالَهم، سوى غزواته توجين ومغراوة، بعقر ديارهم، وافتراعه بها عليهم شماريخ الْمَعاقل، وما كان بينه وبين بني مرين فيها من وقائع شهيرة، وحروب مذكورة[18]، بما أنسى أيام الفجار، واحتقر حربَ ذي قار. وفي أثناء هذا، كان بناؤه الصَّوْمعتين بالجامعين الأعظمين من تاجرارت وأجادير. ولقد استؤذن في كَتْب اسمه بهما، فقال بالزناتية: " يسنت رَبِّي "، أي عرفه الله، علوّ همّة، وحُسْن ظن بالخالق، وإعراضا عن

Scanned by CamScanner

النفاخر الدنيوي[19].

وكان قد خطب من الأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن الأمير أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص ابنتَهُ لولده السلطان المرحوم أبي سعيد عثمان، رضي الله عن الجميع، وأرسل للإتيان بها من تونس ولده أبا عامر. وكان خروجها من هنالك سنة إحدى وثمانين. فارتحل أمير المسلمين أبو يحيى قدسه الله للقائها، حفاية بِها وإرضاء لأبيها السلطان أبي إسحاق فيها، وخشية من قبيلَيْ توجين ومغراوة عليها. فلقيها بِمليانة وعاد، فأدركه الأجل الْمَحْتوم قافلا بَرَهيو من وادي شلف، يوم الاثنين التاسع والعشرين لذي قعدة، فكتم ولدُه أبو عامر وفاته، واحتمله في خِدْر مغلق عليه، بدعوى المرض، إلى أن لقِيَهُ أخوه السلطان أبو سعيد بيَسَّر، من كُوَر الحضرة العلية. فحينئذ أعلم الناس بِموته[20]، وبُويِع السلطان أبو سعيد ولَدُه[21]. فكان عمره رحمه الله ستًا وسبعين سنة، ومُدَّته[22] أربعًا وأربعين سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوما. فسبحان الْمُنْفَرِد بالبَقاء، لا إله إلا هو.

2) دولة السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان رضي الله عنه

دُرَّة الحصيلة، وسيِّد هاتيك الفصيلة، ومُصَلِّي حلبة جِيادها الأصيلة، مُثِير كنوز الحظِّ، وهدفُ الرَخاء والْمَظِّ، ومُعَوِّد الحروب سُنة الكرِّ واللَّظِّ، دوَّخ الأمصار، واستخدم المهاجرين والأنصار، فأحكم الإيعاب، واقتاد في أرسان رماحه الصعاب، واستضاف الأوطان، وأنام رعاياه البطان، فما شئت من وَطر محسوب، وزخرف مكسوب، وعقار إلى دولته الغرَّاء منسوب. إلا أن الدهر مَحَّص الظلال، وكدَّر الزُّلال، فأدال المجادة بالْخُمْص، وردَّ أشعَّة شَمْسه إلى القُرْص. ثم لم يألُ في ضَيْره هلعًا، ولا قال[23] بَعْدُ لعثاره لعًا، إلى أن قبض رحمه الله مقصوص القوادم، منازعًا في المناهل السَّوادِمِ، شأن الدنيا الغرور، وغاية متاعها الْمَنْزُور، وإلى الله جلَّ وعلا تصير الأمور.

مولده سنة تسع وثلاثين وستمئة، وكان شهمًا مِقْدامًا، محبَّبًا إلى القلوب، ذا

Scanned by CamScanner

سياسة وصَهْرٍ للحوادث. بويع أوائل ذي الحجة مُتِمَّ سنةِ إحدى وثمانين وستمئة. وزراؤه غانِم بن محمد الراشدي ورَحُّو بن محمد بن علي الْخُراسانيّ، وحاجبُه الْمُقَرَّبُ إليه أبو عبد الله محمد بن عامر الوَنْهاصِيّ، وكاتبُ إنشائه الفقيه [العارف] أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس[24] شاعر المائة السابعة، وصاحب[25] أشغاله أبو الْمَكارم مَنْديل بن المعلم، وأبو عبد الله محمد بن سعود، وقضاته الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عصفور[26]، والفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد العزيز[27]، والفقيه أبو عبد الله محمد بن مروان. وفي جمادى الأولى من سنة ست وثَمانين، نزل بجاية، فقطع جَنَّاتِها وأحرق قُراها، وقفل[28]. وفي منتصف رمضان منها أخذ مازونة من أيدي مغراوة، وحِصْن تِفَرْجَنيت من أيدي توجين. وفي سنة سبع وثَمانين نَهض إلى توجين، فدوّخ بلادهم، وأخذ وانشريس معقلهم، وسَبَى حَرَمَ أولاد محمد بن عبد القويّ ثم صرفهُنَّ إلى قومهنَّ. وفيها وصله عبد الله انعجوب[29] بن يعقوب بن عبد الحق، فارًا عن أخيه[30]، فأواه وأكرم مثواه، ثم صرفه بغرضه. وفي السادس والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين أخذ من يَدِ مَغْراوَة مدينةَ تَنَس، ومن يَدِ تُوجين مدينة الْمَدِيَّة.

وفي سنة تسع وثمانين وصلت إليه هَدِيَّةُ الأمير أبي حفص الْمُوَحِّد من تونس. وفيها تحرك السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق إلى تلمسان، ونزل بذراع الصَّابُون من ظاهرها يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لشهر جمادى الأخرى. وفي عشرين من رمضانِها، قَفَل إلى مَغْربه بعد حروب شديدة، ومواقف شهيرة.

وفي الثامن عشر من شوَّال بعده، خرج السلطان أبو سعيد رحِمه الله في أثر مغراوة الْمُتألِّبين مع مَلِك الْمَغرب، فدوّخ بلادهم، وانقادوا إلى طاعته. وترك ولده السلطان أبا حمُّو رحمه الله بشَلَف، وعاد إلى حضرته. وفي الخامس والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة تسعين، نَهَضَ أيضا إلى توجين، فقتل مَلِكهم، واستأصل أموالَهم، وعاد إلى حاضرته. وفي سنة ثلاث وتسعين أخذ رحمه الله بلد بَرْشك من يد ثابت ابن منديل المغراوي،

Scanned by CamScanner

بعد حصاره إياها أربعين يومًا، وفرّ المذكور في البحر إلى المغرب.

وفي سنة خمس وتسعين كانت حركة السلطان أبي يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق الثانية. فنَزَل نَدْرُومَة في رمضان، وارتحل في شوال إلى جبل جيدزَة الْمُصاقِب لوَهْران، ثم رجع إلى قطره. وفي سنة ست وتسعين شرع السلطان أبو سعيد رضوان الله عليه في بناء الجامع الْمُقابِل لباب البُنود[31]. وفيها غَزا السلطانُ أبو سعيد العربَ، فنَزلَ أثرهم ماء تغالين وجبل حنش من الصحراء، فركبوا اليَباب بين يديه، فقَفَل إلى دار مُلْكه.

وفي رابع شوَّالِها نزل السلطان أبو يعقوب ذراع الصابون أيضًا حركته الثالثة. وفي غرَّة ذي القِعْدَة انصرف إلى مغربه. وفي سنة سبع وتسعين تحرَّك أيضًا رابع حركاته، فنَزَل بأفْران الْجيار شَمالَ المدينة، ثامِن عشر شعْبانِها، وانصرف[32] إلى قطره يوم الثلاثاء غرة محرم سنة ثمان وتسعين، وترك بوجدة أخاه أبا يحيى بحِصَّةٍ وافرة من قومه. فنهض السلطان المرحوم أبو سعيد، قدَّسه الله، غير مُبالٍ بها، ثاني عشر ربيع الأول من السنة، وشرَّق إلى توجين، لِمَوْجَدة عليهم بتألُّبِهم مع مَلِك المغرب، وأطال المغيب في تدويخ بلادهم. فخلع زكرياء بنُ يخلفتن المضْغَرِيّ، قائدُه بندرومة، طاعتَه، وبايع المريني. فاضْطَرَمَتْ أرجاءُ حضرته نارًا لذلك[33]، وطمع السلطان أبو يعقوب في انتهاز الفرصة فيها، فنهض يَطوي الْمَراحِل إليها.

وطار خبره إلى السلطان أبي سعيد، فرجع[34] يصل التأويب بالإسْآد إلَى حضرة مُلكه، بعد استئصاله قبيل توجين. وفي ثالث شعبان دخل دارَ مُلكه. وفيه أشرف رعيلُ مرين الأول عليها وهي خامسة حركاتِهم إليها. ثم سكنوا بِمَجْشَر[35] ابن الصيقل من ظاهرها. وشرع سلطانهم أبو يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق في بناء منصورته البلقع الآن شَمالَ الحضرة[36]. فشيَّد الأسوار، وزخرف البناء، وأوسع الغروس، وأدار على تلمسان نِطاق الْحَضر. فأطاعته قبائل أهل الشرق كافة، وحواضره جُمْلَةً. وأمْرُ هذا الحِصار في إضاقته بأهل البلد وغلاء أسعارهم فيه، ومُؤْتان[37] الناس بالجوع والأسْلِحَة[38] والْمَنْجَنيقات به، أشهَرُ من أن نطيل الكتاب

Scanned by CamScanner

الآن بشرحه[39].

وفي يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ثلاث وسبعمئة، كانت وفاة السلطان أبي سعيد، رحمة الله عليه، بغتةً، لنَزْلة أصابته في الحَمَّام، وعمرُهُ أربع وستون سنة. فكانت مدته إحدى وعشرين سنة غير شهر واحد. والله يَرِثُ الأرض ومَنْ عليها، وهو خير الوارثين.

3) دولة السلطان أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان

زهرةُ الْخَميلة، وحافظ الثَّميلة[40]، ورَبُّ الْخِلال السَّنيَّة الْجَليلة، مُرَمّق الأشباح، وعاقد صفقة الرباح، وحامد السُّرَى عند إقبال الصَّباح، وضحَتْ بمُعْتكر الظلام أسِرَّتُه، [فاهتدت إلى سُبُل النجاة أسرتُه]، وطلعت بأُفُقِ السَّرير غُرَّته، فاستوضحت أنوار السعادة عَتْرَتُه. بدولته انفَرَجَت بعد شدَّتها الأزْمَة، وانحلَّتْ من عِداهُ عَقِبَ شَدِّها الحزمة، فذهب البَرْحُ، واندمل القرْحُ، وشُيِّدَ بعد انْهِدامه الصرْحُ، فاقتبل الْمُلك شبابَه، وتَسَرْبَل من العِزِّ جلبابَه، وفتِحَ لدخول الأفواج بَابُه. إلا أن الدهر أخاب الأمنية، بمعاجلته الْمَنِيَّة، فبلغ الكتاب حَدَّهُ، وتوسَّدَ العزيزُ لَحْدَه، والبقاء الدائم لله تعالى وحدَه.

مولده سنة تسع وخمسين وستمئة. وكان فاضلاً مُباركا حسن الْمَلْكَة ليّنَ الجناب. بويع يوم الأحد ثاني شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعمئة. وزراؤه غانم ابن محمد الراشدي، ومعرّف بن الفتوح التجانِيّ، ويلحَق بِهما يَحْيى بن موسى الجُمّيّ. وحاجبه [الفقيه] أبو عبد الله محمد بن سعود. وكاتبُ إنشائه أبو عبد الله محمد بن الرقّام الهسْكُورِيّ. وصاحبُ أشغاله أبو المكارم منديل بن محمد ابن المعلم. وقضاتُه [الفقيه] أبو الحسن علي بن مروان، و[الفقيه] أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز.

واستمرَّ عليه الحصار فتضاعف بتلمسان الْجَهْد، ونفدت الأقوات إلّا ما لا خطر له، حتى إذا تَجاوَز الأمْرُ حَدَّهُ وبلغ ماؤُه الزُّبَى، وانتهت قلوب الْمَحْصُورين

Scanned by CamScanner

إلى الحناجر، وذلك في سنة ست من المائة الثامنة، أجمع رأي السلطان أبي زيان وأخيه أبي حمو رحمهما الله، وأعيان قبيلهما الأعز على الإسْحار[41] إلى العدُوّ، والإقدام عليه، فإمَّا مَلْك أو هَلْك.

إذا لـم يَكـنْ إلا الأسِـنةُ مَـرْكبٌ فـلا رَأيَ للمُـضْطرِّ إلا رُكُـوبُها

ولله درّ القائل:

نفسِي تُنازعُنِي، فقلتُ لها اصْبِرِي مَـوْتٌ يُـريحُكِ، أوْ صُـعُودُ المِنْبَـرِ

[ما قد قُضِي سَيَكونُ فاضطَربي له ولكِ الأمانُ مِنَ الذِي لَمْ يَقدُر]

فوطَّنوا على ذلك النفوسَ، وأوقدوا له العَزائمَ، وإن ذلك لأوضح دليل على شَرَفِ أهل[42] هـذا البيت وسَراوَةِ هِمَمِهم[43]، وشهامَةِ قلوبهم، وتَرامِيهم إلَى المَغلُوات، وصَبْرِ قبيلهم الأعَزّ، وكرمِ نفوسهم، وشِدَّةِ حَمِيَّاتِهم[44]، أطال الله مُدَّتَهم، وأعلى كَلِمتهم، وبَلَّغ في الدنيا والآخرة طِلْبَتهم.

وعيّنوا لخروجهم إلى ذلك يوم الأربعاء سَابع ذي القعدة. وفيه قَيَّض الله للسلطان أبي يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق خَصِيًا من مَواليه، حَنِقَ لقوَدِ أمْضِيَ في أخ له، فاعتمده بخنجر مُرْهَف، وبَطَنَهُ فمات لحينه. فسبحان اللطيف الخبير الولي النصير، جابر الكسير، وناشر العظم النخير، ومُيَسِّر العَسير، والغَنِيّ عن الوزير. لا إله إلا هو. وإن في هذا لعِبْرَةً لأولي الأبصار، ودليلاً قاطعًا على النشور الكبار[45].

إنـا لنُبْـصِرُ مِـنْ خَفايَـا لُطْفِـهِ مـا لـمْ يَكـنْ لِعُقولِـنا مَعْقـولا

ثم اختلفت[46] كَلِمةُ وَلَدِه أبي سالِم المُسْتقلّ بمنصورَتِه، وحافِدِه أبي ثابت، وأخيه أبي يحيى، المُنْضَمَّة عليهم الجُنود[47] خارِجَها. وعَضَدَهما السلطانُ أبو زيان وأخوه أبو حَمّو. ففرّ أبو سالم من المدينة، وأدْرِكَ فحُزّ رأسُه. ثم قَتَلَ أبو ثابت عمّ أبيه أبا يحيى، واستبدَّ بمُلك جَدِّه، فصالَح السلطانَ أبا زيان وأخاه، رحِمهما الله تعالى، وحمل ذخائرَ جَدِّه وأمواله، وترك بلده بحالها، وارتحل ميمّمًا غَرْبَه ثاني شهر ذي الحجة.

فكانت مُدّةُ هذا الحصار الأكبر والخطْب الشديد ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام، بلغ فيها عددُ موتى أهل تلمسان قتلاً وجوعًا زُهاء مائة ألف وعشرين ألفًا، وثمن صاع قمحهم إلى دينارين وربُع دينار، وصاع شعيرهم إلى نصْف ذلك. ومع هذا[48] فهُم صُبُرٌ وبقضاء الله رُضاةٌ، فيا لله ما أكرم وأشجع وأوفى وأصبر، إلى أن حمدوا العقبى، وحازوا شرف الدنيا، وأوعوا ثواب الأخرى. ففي ساعة واحدة بيع عندهم القمح ثمانية صيعان بثمن دينار، والشعيرُ ستة عشر صاعًا بثمن الدينار، فسبحان القائل: إنّ مع العُسْر يُسْرًا[49] وصلى الله على سيّدِ ولد آدم، فلقد كان يفرح للشّدّة، لِمُعاقبتها الفرج[50].

وكان أهمّ ما بدأ به السلطان أبو زيان وأخوه أبو حمو، الحركة إلى البلاد الشرقية. فنهضا يوم الخميس العشرين لذي الحِجّة المذكور بعزائم تنسف الجبال، وتقيد الرئال[51]، وتخرق البحار، وتُدْني الأوطار، في قبيلهما الأعزّ، وأنصارِه والمُهاجرين إليه. فاستأصلُوا مغراوة، وأنزلوهم من صَياصِي الجبال، ومَهّدوا أرجاء شلف، وملكوا حواضره، واستنابوا بها القُوّاد[52]، واعتمدوا العَرَب، فأجفلوا بين أيديهم إلى الصحراء، فاتبعوهم غير هائبين ولا مُتوانين، إلى أن ظَفِرُوا بالمُراد فيهم استئصالاً للأموال والأنفس وقطعًا للدّابر، وذلّلوا قبائلَ توجين، وقادوهم في زمام الطاعة.

فراجع أهلُ الرِّدّة أجمعون بَيْعَة السلطان أبي زيان، وتطهّرت البلاد من الفساد، وأمنتْ كعادتها السُّبُل. ثم عادا إلى دار مُلكهما بالظَّفَر والنصر والعَلاء، فدخلاها في رمضان سنة سبع وسبعمئة.

فأمر السلطان أبو زيان لِحِينه برَمّ المُتثلّم في أبنية رياض قصوره، وإحياء ما انقعر من غروسها، مُطاردةً للأمَلِ، وطمأنينةً إلى الدنيا. فمرض قبل تمام قصده من ذلك سبعة أيام، وتُوفي صبيحة يوم الأحد الحادي والعشرين لشهر شوال من السنة. فكان عمره ثمانيا وأربعين سنة، وملكه أربع سنين غير سبعة أيام[53]. فسبحان الباقي بعد فناء خَلْقه، ولله درّ القائل:

Scanned by CamScanner

وَمَنْ يَـأْمَنِ الدُّنْـيَا يَكـنْ مِـثْلَ قـابِضٍ   علـى الْمَـاءِ خانَـتْهُ فُـرُوجُ الأصَـابعِ

4) دولة السلطان أبي حمو ابن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان رضوان الله عليهم

مَلِكٌ هُمام، وشُغْلة وغمام، وبُهْمة مِراسٍ، وأَسَدُ بَطْشٍ وافْتِراس، مُعيد الْمدّة، ومفرِّج الشدّة، والمقاتل بسيفه لأهل الرِّدَّة، الفظ القضاء، الْمُهين[54] عند الاقتضاء، الذي رقع الْخَرْق، وأعمل الْحَقَّ، ثم دوّخ الشَّرْق، وأنار لبَواتِره في آفاقه البَرْق، وقارَع الثُّوَّار، وسلك الأنْجاد والأغْوار، وابتَلَى الأطْوار، وخبَرَ الظلماءَ والأنوار، فسَدَّدَ الأهْوار، وشيَّد الأسْوار، وأقْعَر الخنادِق، ومَلأَ الْمَطامير والصَّناديق. ولَمَّا يُغْنِ الْحَذَر، فقُتِلَ رحمه الله كيف قدَر، وفُجِئَ على مَوائد السُّرور، مِنْ جانب الطاعة والبُرُور، بضَرْب الْحُسام الْمَطْرُور، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغُرُور.

مولده سنة خمس وستين وستمئة. وكان فظًا غليظًا، حازمًا يقظًا، بِهِمَّة من الْمُلوك. بويع يوم الأحد الحادي والعشرين لشَوَّال سنة سبع وسبعمئة. فألْقَى مَقاليدَ الوزارة والحجابة إلى محمد بن ميمون بن الْمَلَّاح، ثم ولده محمد الأشقر، ثم ولده إبراهيم وعمه علي بن عبد الله. وهُمْ بيتُ سَراوة من أهل قرطبة، اخْتِرافُهم السّكاكة، أُولُو أمانَة فيها ودِين[55]. وقُضاتُه أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عمرو، وأبو عبد الله محمد بن هَدِيَّة[56]، وهو مُنْشِئُ الرَّسائل ببابه، وكاتبُه محمد بن الزَّوّاق، وصاحبًا أشغاله أبو عبد الله محمد بن سعود، وأبو المكارم منديل بن محمد بن الْمُعلم.

وأغرى لحينه عزمَه بتذليل صِعَاب تُوجين ومَغْراوة. فأغْزَى جيوشه عقْرَ دارهم، وتابع إليهم الحركات بنفسه وقُوّاده. وفي سنة عشر وسبعمئة، شرّق فنزل تيفْرَجَنيت من وطن توجين، فأطاعوه من عند آخرهم، فأخذ مراهينهم. وأعطى إِرْثَ مُلْكِهِم للحَشَم من قبيلهم، سياسة فَرَّقَتْ بين الفَصيلَتَيْن إلى آخر الدَّهر. واستعمل فيهم يعقوب بن يوسف بن حَيُّون الْهَوّارِيّ، وأعطاه الطَّبْل والبَنْد. واستعمل عليه مُسامِحًا بشلف بلاد مغراوة بالطَّبْل والبند أيضا، وثَنَى العنان إلى دار مُلْكه.

ونهض أيضا سنة اثنتي عشرة مشرّقًا، فنزل وادي شلف، وقدّم بين يديه علْجه مُسامحًا المذكور، فدَوَّخ مَتِّيجَة، وأخْضَعَ قَبِيلَ مَلِّيكَش، واستنزل ابن عَلان من الجزائر صُلْحًا، وتَمَلَّكَها لسُلطانه، وعاد إليه بشَلَفِه، فَثَنَى السلطانُ رحمه الله العِنان إلى حضرته. وفي سنة أربع عشرة، تَحَرَّكَ إلى تلمسان السلطانُ[57] أبو سعيد، فنزل إلى وجدة، وفرَّ عنه أخوه يَعِيش إلى السلطان أبي حمو، فقَفَلَ إلى غَزْبِهِ.

وكان راشد بن محمد المغراوي، خلال هذا، قد ثار بوَادِي شَلَف، وجدَّد خلقَ دَعْوَته، فنَهَضَ لِحِينِهِ السلطان أبو حمو، رحمة الله عليه، نَحْوَه، وترك بتلمسان ولدَهُ السلطان أبا تاشفين، ونَزَلَ وادِي تهل من شلف. وابتنى به القصر المعروف باسمه هنالك، لحصار بني أبي سعيد[58]، شيعَة راشد بن محمد، وفرّ المذكور إلى[59] زواوَة، منحازًا إلى فِئَة المُوَحِّدين.

فأمر السلطان أبو حمو، قدسه الله، أبا سَرْحان مَسْعُود بن أبي عامر ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان بالتَوَجُّهِ لِحِصار بجاية. وأمر محمد بن يوسف ابن أمير المسلمين أيضا، قائد مليانة، ومُسَامحا، بالتَوَجُّه في جيش كبير على التلِّ لتدويخ بلاد المُوَحِّدين، وأرسل موسى بن علي الغُزِّيّ في مُصارَخَتهم بجيْش آخر، والعرب كافة على الصَّحْراء. فجاسَ كُلٌّ منهم خِلالَ ما والاهُ من دِيارِهم، واجْتَمَعُوا ظاهِرَ بَلَد العُنَّاب ثم قَفَلُوا، فاستجاشوا في مُنْصَرَفِهم جَبَل بني ثابت الْمُصاقِب لِقُسَنْطِينَة

Scanned by CamScanner

أبي حَمُّو رحمه الله لافْتِراق الناسِ عنه. فاسْتَنْكَفَ رحمه الله عن التأخُّر أمامَه، وأقْدم عليه، فهَزَمَه وتَوَلَّى البلاد، وراحَ السلطانُ[62] مَفْلولاً إلى حَضْرَته.

وخرج لثلاثٍ[63]، مُشرِّقا نحوه بجميع جيوشه. وبلغ الخبرُ أبا سَرْحان مسعود ابن أبي عامر على بجاية. فأقلع عنها وغرَّب، والتقى بمحمد بن يوسف بِمَتِّيجَة، فهزمه وألجأه إلى جبل مُوصايَة، ولقِيَ السلطانَ المرحوم[64] أبا حمّو. فأخذ معه بمُخَنِّق مليانة، وفيها يوسف بن حسين التجاني المذكور، ثم أخذها والمدية بعدها عنْوَة، وأخرج يوسف المذكور من مستوقد حَمَّام، وجيء به أسيرًا، فعفا السلطان قدسه الله عنه[65]، وأطلقه. ثم أخذ رهائِنَ الوطن كلِّه حضَرًا وبدوًا، وقَفَل إلى حضرة مُلكه، وقد أعْضَلَ داءُ محمد بن يوسف المذكور، ونَشِبَتْ في البلاد مخالبُ دَعْوَته.

ثم أعاد الحركةَ إلى الشَّرْق، ونزل بأبِي تِيصَفْت[66]، سنة سبع عشرة، واستعمل على الْمديَّة يوسف بن حسين المذكور لِمُثاقفة محمد بن يوسف، واسْتاقَ أشياخَ بَدْوِ البلاد، وحضَرِها وعاد إلى حاضِرة مُلكه.

وكان رحمه الله مُؤْثِرًا لابن عمه أبي سرحان مسعود بن أبي عامر بن يغمراسن ابن زيان عن[67] ابنه السلطان أبي تاشفين ومفضّلاً إياه عليه في السِّرِّ والجهْر، والنهْي والأمْر. فكثيرًا ما كان يُعَيِّرُه به، ويُوَبِّخُه في الملإ بسببه، وربما أسمعه هَجْرَ القول غير مُبالٍ بعاقبته لِمَا قضاه الله سبحانه فيه.

فكان صدْرُ السلطان أبي تاشفين رحمه الله يَجيشُ غَضَبًا لذلك، وهِمَّتُهُ تَتَّقِدُ حنَقًا لأجله. و[كان] له بِطانة من أَغلاج نُجَباء، كهِلال القَطْلَانِيّ، ومُسامِح الأصغر، وفَرَح[68] شعور، وفَرَح بن عبد الله، وظافِر، ومَهْدِي، وعلي ابن تازجرارت[69]، أفضى إليهم بسرّه في ذلك، فسَوَّلُوا له قتل المذكور، وحَبْس أبيه السلطان أبي حمو رضوان الله عليه[70]، والاستقلال بالْمُلك، وسهَّلوا مَنال ذلك عليه، مع الشباب والهِمَّة العاليَة، والتَّرامِي إلى مَنْصِب الْمُلك، والضَّغائِن الكامنة، فوافَقَهُم.

واجتمعوا يوم الأربعاء الثاني والعشرين لِجمادى الأولى سنة ثَماني عشرة، وقصدوا الدارَ البيضاء، وبِها[71] السلطانُ أبو حَمُّو رحمه الله مُتَبذِّلاً مع بِطانته، أبي

المطرحان المذكور، وعلي بن عبد الله وإبراهيم بن محمد ابني الملاح[72]. فدخلوا عليهم والسلاح مُشهرة بأيديهم، فلم يقدّم الأغلاخ شيئًا على قتل السلطان المرحوم أبي حمو، رضوان[73] الله عليه، بغير رضى ابنه ولا مُوافقته عليه، خيفة منه على نفوسهم، ثم استأصلوا الباقين[74]، والأمرُ لله من قبل ومن بعد، ولذلك خلقهم سبحانه. فكان عُمُرُهُ، قدسه الله، نحو ثلاث وخمسين سنة، وملكه عشر سنين ونصفًا[75]. والأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده.

5) دولة السلطان أبي تاشفين ابن السلطان أبي حمو ابن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان

ملك تَبَحْبَحَ في الأصالة والجلال، وتزيّا بخِلال الشرَف وشرَف الخِلال، أيِّ حياء وكمال، ووزرٍ وثِمالٍ، ومطمَح مُنَى وآمالٍ، بَهُوَ تلك الإشادة، وبَيْتُ القصيد والإنشادة، ذو الهِمَم المُزاحِمَة للكواكب، والعزائم الطاعِنَة في صُدور المَواكِب. والعَطايا المُخجِلات للسَّحائب السَّواكِب، بَزَغَتْ بأفُق الدولة شَمْسُه، فامَحى أمْسُه. واكْتَمَل بسَماء العزّ إبدارُه، فتسَرَّى عن قَمَر الدّوْلة سِرارُه، ثم أدرك البَدْوَ والْحَضر. واستخْدَمَ رَبيعَة ومُضَر، وثاقَفَ عِداه شَرْقًا وغَرْبًا، وناجَزَهم في عقْر الديار طَعْنًا وضَرْبًا، فترك السِّهامَ حصيدًا، وأوْسَع القَنا تقصيدًا. هذا مع اقْتِطافه زَهْرَ السُّرور الْجَمِيم، وإشرافه على حُرَم اللَّذّات من ثَنِيَّة التَّنْعيم، واطِّراح الْهَوادة، وإمكان الْهَوَى من ناصِيَة الْمَقادة. فكم زَخْرَفَ من قصور وصُروح، وأطاب من غَبوق وصَبوح، وكم دوَّخ من قَبيلٍ ومِصْر، وجَمع بين لَذّةٍ ونَصْر. إلّا أنّ الدنيا الرَّهْوَ، كَدَّرَتْه الصَّفْوَ، وابْتَزَّتْهُ الشوْبَ[76] والعَفْوَ، فراشَتْ إليه سِهامُ العِدى، وتحيَّفَتْهُ من أيامها ولياليها بالْمُدَى، إلى أن أمكنتْ منه يد الرَّدَى، وأسمعت بزاهراته[77] صَوْتَ الصَّدى، وكل حادِثٍ فمُنْتَهٍ إلى مَدَى، وإنْ طاوَلَهُ اليومَ وغدا، ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ والإكْرامِ مَا عَدا.

مولده سنة اثنتين وتسعين وستمئة. وكان فاضلا حَميد السِّيَر، رَحْبَ الجناب، عظيم الْخُلُق، جميل الخَلْق. في أيامه تحَضَّرَت الدولة، وأخذ الْمُلْكُ زُخْرُفَه وتزيَّن.

بريع يوم الخميس الثالث والعشرين لجمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبعمئة بالْمَلْعَب خارج باب كَشُوطَة، فبسط آمالَ الخاصّة، ورفع عن العامّة مُبتدع الوظائف، وأجاز قرابةَ الْمُلك البَحْرَ إلى الأندلس. واستوزر علْجه هلالاً القَطَّلاني[78]، وولّى كتابته الفقيه أبا عبد الله بن مادورة، وأشغاله الفقيه أبا عبد الله محمد بن سعود، وأبا المكارم منديل بن المعلم، وقضاء حَضرته الفقيه أبا عبد الله محمد بن منصور بن هَدِيّة[79]، والشريف أبا علي حسن بن محمد الْحُسَيْنِيّ[80].

وكان رحمه الله جانِحًا إلى اللذات، مُمتّعًا بالنعيم العاجل، مُغْتبطًا بلَهْوِ الدنيا ولَعِبِها، وَلِعَ ببناء الدُّور، وتَخْبير القصور، وتَشْييد المَصانع، واغتراس الْمُتَنَزّهات، مستظهِرًا على ذلك بآلافٍ عديدة من فَعَلَةِ أسْرَى الرُّوم، بين نجّارين وبنّائين وزلَّيجِيِّين وزوّاقين وغير ذلك، مع حذقه رحمه الله بالاختراع، وبَصَره في التشكيل والابتداع. فخلّد آثارًا لم تكن قبله لِمَلِكٍ، ولا عُرِفَ لها بمَشارق الأرض ومَغاربها نَظير، كدار الْمُلْك ودار السُّرور وأبي فِهْر[81] وسِواها[82]. ومع ذلك فشفارُ حَزْمه مشحوذة، وكتائبُ عزمه مُجَهّزة، وعِداه مِن عن اليمين والشِّمال مُثاقفة، ورَعاياه آمنة، فبَخْ بَخْ له من مَلِكٍ ما أجَلَّه.

ونهض أول حركاته سنة تسع عشرة لاستئصال محمد بن يوسف الثائر على أبيه بالشَّرْق، بجميع قبيله الأعَزّ وأحلافهم من زناتة وسُوَيْد. فجمع قريعُهُ المذكورُ

Scanned by CamScanner

موسى بن علي الغُزّيّ بجميع الجيوش مُشرّقًا، فدَوَّخ بلاد الْمُوحّدين، ونزل قُسنطينتهم، وعاد إلى وادِي بجاية، فبنى ببَكْر منه حِصْنًا ترك به القائد يحيى بن موسى الجُمّيّ بحِصّةٍ وافرة، وعاد[84].

وفي سنة اثنتين وعشرين وَصَله من سِجِلْماسَة أولادُ أبِي علي عمر ابن السلطان أبي سعيد[85]، متطارِحين عليه في مُصارَخَتِه أباهم على أبيه. فأرسل معهم القائد موسى بن علي المذكور بالجيوش الضخمة، فاسْتَباح جاجرت[86] من بلاد مرين، وقَفَل. ثم أرسل، رحمه الله، داود بن علي بن مَجَن إلى سجلماسة لِمُفاوضة الأمير أبِي علي في كَيْفِيَّةِ الْمُصارخة، فلم يتّفِقا، وعاد المذكور مُغْضَبًا. فصالح السلطانُ أبو تاشفين رحمه الله مَلِكَ المغرب السلطان أبا سعيد، وأنْهض قائده موسى بن علي بجميع عساكره الشرقية إلى بلاد الْمُوَحِّدين. فنازل بجاية وعاد.

وفي سنة ثلاث وعشرين، قدم على باب السلطان أبي تاشفين رحمه الله حمزة ابن عمر بن أبي الليل السُّلَيْمِيّ، شيخ عرب إفريقية كافة، وعبد الواحد بن محمد اللِّحْيانِيّ الحفصيّ، طالبَيْن منه صرختهما على مَلِك إفريقية. فأرسل معهما القائد موسى بن علي وكافة القُوّاد بالعَساكر التي لا تُحْصَى كثرة، فالتقاهم سلطانُها[87] أبو يحيى بن يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبِي حفص بدَغِيس[88] من إفريقية، وكانت توجين مَرْضَى القلوب، فانْهزموا دون حرب كبيرة، فانْهزَمَ الناسُ لِهَزِيمَتِهم، وقُتِلَ مُسامِح، أحدُ القُوّاد، وبَعُدَتْ على الناس الشُّقَّةُ[89]، وثار العَدُوُّ بِهم من خلف ومن أمام، فقلع كثيرُهم، والحروب كما [قد] علمْتَ سِجال.

وفي سنة أربع وعشرين، أمر السلطان أبو تاشفين، رحمه الله قُوّاده بتجْديد الْمَحَلّات وضمّ الجنود، والنهوضِ لِحصار بجاية، فكان ذلك. والتقاهم الحاجب أبو عبد الله محمد بن محمد ابن سيد الناس بجبيرة، من خارجها، فهزموه، ولولا رُكوبُه البَحْرَ لأخذوه. وفي شعبان من هذه السنة، ركب الوزير هِلال القطلاني البحر حاجًّا، واستناب عنه في الوزارة كاتِبَه الحاجّ أبا عبد الله محمد بن حوية[90]، مِن حَضَرِ[91] تلمسان المحروسة[92].

وفي سنة خمس وعشرين، وصل أيضا إلى باب السلطان أبي تاشفين رحمه الله أشياخ سُلَيم كافة، كحمزة بن عمر بن أبي الليل ومحمد بن طالب بن مهلهل ومحمد بن مسكين الحكيمي، يستَحِثُّونَه للحركة نحو إفريقية، فجمعهم على بيعة إبراهيم بن عبد الرحمان الشهيد الْحَفْصِيّ، وبعث معهم قائده موسى بن علي الغُزّي بالجيوش التي لا تُحْصى. فاعْتَمد السلطان أبو يحيى حربَهم، فلم يَقْوَ عليها، فتذمَّم بقسنطينة. واستمرّ إبراهيم ابن الشهيد وعَزَبُهُ إلى تونس، وأخذ موسى بن علي بِمُخَنَّق قسنطينة خمس عشرة ليلة، ثم أقلع مغرِّبًا إلى باب مولاه.

وفي سنة سِتٍّ وعشرين، نَهَض أيضًا موسى بن علي بالْجُيوش، فنَزَلَ قسنطينة، وأفسد بقطرها الزرع والضرع، وعاد إلى وادي بِجاية، فاختطَّ به مدينة تامزجزجت[93]، وقسَّم مَسافاتِها على الجيش[94]، فبنوها لأربعين يومًا، وأوطنها ثلاثة آلاف ومِائتَيْ فارس. وأمر السلطان، رحمه الله، بحمل الزرع إليها من جميع بلاده الشرقية. فشُحِنَتْ مخازنُها أقواتا نامِيَة[95]، وأناخَتْ على ذلك الوَطَنِ بكَلْكَل ثقيل وأطلَّتْ على بَدْوه وحَضَره بِمَنْكِب قويَّة[96]، مع إحسان الْمَلْكَة فيهم، فأذعنوا لطاعة السلطان أبي تاشفين، رحمه الله، من عند آخِرِهم. فهنالك اشتَدَّ الْحِصار على أهل بجاية، فغَلَتْ أسعارُهم ووَهُنَتْ قُواهم[97]. فاستغاثوا بِمَلِكِهم السلطان أبي يحيى فأجاب داعِيهم، وأرسل جميع قُوَّاده بجيوشه، سنة سبع وعشرين، فاجتازوا على الجبال[98] إلى بجاية. ونَهَض بِهم الحاجب أبو عبد الله محمد بن محمد[99] بن سيد الناس منها نحو تامْزَجْزَجْت[100]. وقد كان القائد موسى بن علي، عند علمه بوصولهم، استنْفَرَ قُوَّاد سلطانه الذين يَلونَهُ. فالتقى الْجَمْعان بالأربعاء من الوادي الكبير، واقتتلوا من الضحى إلى الأصيل، وانْهَزَمَ المُوَحِّدون. فمات ظافِرُهم الكبير، واستُبِيحَتْ مَحَلَّاتُهُمْ جُمْلة.

وفي سنة ثمان وعشرين، أنْهَض السلطانُ أبو تاشفين رحمه الله قائده يحيى بن موسى الجمّيّ وسائرَ القُوَّاد بالجيوش كافَّة، لتَدْويخ إفريقية، فجاسُوا خِلالَها، ونزلوا قسنطينة وبلد العُنّاب، وعادوا.

Scanned by CamScanner

وفي سنة تسع وعشرين، تحرّك[101] السلطان الْمرحوم أبو تاشفين إلى بجاية، لاسْتِقْدام أهلها إيّاه، لغَيْبة الحاجب سيد الناس عنها، وجَدّ السَّيْرَ مُهْتَبِلاً غِرّتَها. وفي يوم نزوله عليها دخلها الْحاجِبُ المذكور، فقَتَلَ الذين راسلوا السلطان من أهلها. فقَفَلَ السلطان رحمه الله إلى حَضْرَته الكريمة، وترك عيسى[102] بن مزروع الياتكتني، قائد الجيش الذي بتامزجزجت، وأمر ببناء بلد آخر ببني وَادِي، من خارج بجاية، ففعل[103].

وفي سنة ثلاثين، أرسل السلطان، رحمه الله، جَميع قُوّاده بجيوشه، مَرْؤوسين بيحيى بن موسى الجُمِّيّ، ومعهم ابن أبي عِمْران الحَفصيّ[104]، إلى تونس. فلقِيَهم ملكُها السلطان أبو يحيى بالواد الشارف من[105] إفريقية، فهزموه[106] هزيمة شَنْعاء، استولوا فيها على حَرَمِه وذَخائره ومَحَلّاته، وأفلت هو من الكائنة جريحًا إلى قسنطينة. ثم دخلوا تونس فأقاموا بها أربعين يومًا، وأسلموها لابن أبي عِمران وحمزة ابن عمر السُّلَيْمِيّ، وقَفَلُوا[107].

وفي هذه السنة، وجّه السلطان أبو يحيى [المُوَحِّد] ولده يحيى ووزيره أبا محمد عبد الله بن أحمد بن تافْراجِين، في البحْر، رسولَيْن إلى مَلِك الْمَغْرب السلطان أبي سَعيد، راغبَيْن منه كفَّ عادِيَة السلطان أبي تاشفين عنهم، ومتطارحَيْن في ذلك عليه، ومُعَرِّضَيْن له بِمُصاهَرَتِهم ابنه السلطان أبا الْحَسَن بإحْدَى بَنات السلطان أبي يَحْيَى.

وفي سنة إحدى وثلاثين، وردت على السلطان المرحوم أبي تاشفين رُسُلُ مَلِك الْمَغْرب المذكور شُفَعَاءَ للمُوَحِّدين في الْمُسالَمَةِ والإقلاع عن بِجايَتِهم. فلم تنجَحْ رسالتهم، وانحلَّتْ عُرَى السِّلْم. فتحَرَّكَ السلطان الْمَرْحوم أبو تاشفين غازيًا إلى تاوريرت، فهزم جيشَها، ووقف ساعةً من نَهار عليها، وقفل[108].

وفي آخر هذه السنة، مات السلطان أبو سعيد، مَلِك الْمَغْرب، فخلفه بفاس ولَدُهُ السلطان أبو الحسن، وبسجلماسة ولَدُهُ الأمير أبو علي. فأرسل السلطان الْمرحوم أبو تاشفين بالعَزاء إلى صاحب سجلماسة. وأرسل إليه السلطان أبو

Scanned by CamScanner

الحسن مُعِيدا الشفاعة للموحِّدين لِمَكان صِهْره فيهم. فردّ أرْساله أسْوأ رَدّ، قولاً وفعلاً. فتحرّك إلى سجلماسة، ونازل بها أخاهُ دَهْرًا نَهَض فيه السلطان المرحوم أبو تاشفين مُغَرِّبًا، فنَزَل وادي صَا[109] وقفل. ثم اصْطَلَحَ مَلِكَا الْمَغْرب، وعاد السلطان أبو الحسن إلى فاسِهِ.

وفي سنة اثنتين وثلاثين، تحرّك السلطان أبو الحسن مُشَرِّقًا، فنزل تاسالا[110]، وأطال بِهَا اللبث. وراسل صِهْره السلطان أبا يَحْيَى الْمُوَحِّد يقول: شأنك وتامْزَجْزَجْت. فجمع الْمَذكور إليها أهل إفريقية. فلما قارَبَها، فرّ مَنْ كان بها من القُوّاد تَقِيَّةً مِمَّنْ وراءهم وأسلموها بما فيها، وذلك سنة ثلاث وثلاثين، فهَدَّمها. وقَفَل السلطان أبو الحسن إلى مغربه، وقد سَاء ما بينه وبين أخيه صاحب سجلماسة. فنهض إليه سنة أربع وثلاثين، وأخذ بِمُخَنَّقِه، ولم يَفْلِتْهُ حتى أخذه وقتله، واستقلّ بِمُلْك الْمَغرب كافة.

وفي سنة خمس وثلاثين، تحرّك السلطان أبو الحسن مشرِّقًا إلى تلمسان، فأخذ ندرومة وهُنَيْن، ونزل تاسالا، فاستفتح منها وهران، وأطاعته البلاد الشرقية كلها. ولما تمّ له ذلك، رحل قاصدًا تلمسان، فَنَزَلَها يوم أحد عشر من شوال، وأناخ عليها بكلكله، وأدار بِها نِطاقَ الحصر. ثم ابْتَنَى غربيَّها مدينة لسكناه، نسبها إلى النَّصْر[111]، وأضاق حصر المدينة، وشدَّ خِناقها بما هو معروف.

وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمئة دخلها عَنْوَةً، فانحاز السلطانُ أبو تاشفين رحمه الله، وأولاده أبو سعيد وأبو سرحان وأبو يعقوب، ووزيره الأوفى موسى بنُ علي الغُزِّيّ، وولده سعيد، إلى باب القصر برحبة إيمِنْ تِجَمِّي، يقاتلون دون الْحَرَم والأولاد[112] إلى أن استُشْهِدَ جميعُهم، سوى سعيد ابن الوزير موسى بن علي خاصة، فإنه أفلت سخينًا بالجراح مذبوحًا من القَفا، حسبما أراني ذلك، رحمه الله. فيا لله ما أكبر[113] وأصبر وأغلى هِمَمًا.

أخبرني الثقاتُ من أهل تلمسان أنه كان من قول السلطان المرحوم أبي تاشفين رحمه الله عند دخول العَدُوّ البلدَ عليه، وانحيازه إلى باب قصره، وقد رفع طرفه إلى

السماء: " يا مَنْ لا يزول مُلكه، ارحم مَنْ زال مُلكه ". وهل يصدر هذا القول في مثل ذلك المَقام إلّا مِمَّنْ امتلأ صَدْرُهُ إيمانًا، وقلبُه رِضَى بقَضاء الله [تعالى]"(11). قيل: ولم يذهل ولا هلع، إلى أن اسْتُشْهِدَ رضوان الله عليه. وجرَّ العفاء بعد ذلك على الدولة ذيْلهُ، وطمست في القطر معالِمُها، وأصبحت أثرًا بعد عَيْن، وخبرًا من بَعْدِ اسْتِخْبار. فسبحان مُصَرِّف الأقدار، ومُسَخِّر الليل والنهار، والباقي بعد فناء العالم، لا إله إلا هو.

---

(1) ع: وحوى بكماله المشتري.

(2) هذا التاريخ ساقط في ز، ش، ج، وكذلك كل ما يلي من التواريخ إلى آخر الكتاب.

(3) عن جواب يغمراسن حول القول بشرفه، انظر: العبر، ج 7، ص 149.

(4) ز، ش، ع: عمروش. عن يحيى بن مجن وأخيه عموش، انظر: العبر، ج 7، ص 182.

(5) عن الحاجب عبدون بن محمد الحباك، انظر، فيما قبل، ص 176 - 177، الترجمة رقم 89؛ العبر، ج 7، ص 182.

(6) عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي، انظر فيما قبل، ص 184 - 185.

(7) عن أبي مهدي عيسى بن عبد العزيز، انظر، فيما قبل، ص 134، الترجمة رقم 82.

(8) كذا في ر، ل، ب. وفي ع: ورنيد.

(9) ز، ش، ع: رحمه الله. حول هذه الحوادث، انظر أيضا: ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 163 - 167؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 21 - 22؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 117 - 118.

(10) ل: تمزجزجت؛ ش: تيجزجدت؛ ز: يتجرجرت؛ ع: تامرززدكت (اعتمادا على " العبر")؛ الذخيرة السنيّة: تامزجدرت؛ روض القرطاس: تمزديت؛ نظم الدر والعقيان: تمزيزديت.

(11) ل، ر، ز، ش، ع - : فيه.

(12) هنا يبدأ بتر هام في مخطوطة ش، ويَمتد إلى أواسط القسم الثالث من الكتاب (آخر سنة 765 هـ من عهد أبي حمو الثاني).

(13) الغضار هو خزف أخضر يحمل لدفع العين.

(14) عن الحرب التي انتصر فيها يغمراسن على السعيد الموحدي، انظر أيضا: العبر، ج 6، ص 541، ج 7، ص 168 - 171، 355 - 356؛ روض القرطاس، ص 185؛ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص 118 - 125.

Scanned by CamScanner

(15) عن هذا الحادث، انظر: العبر، ج 7، ص 174 - 175.

(16) ز، ع: كشوط؛ عن باب كشوطة، انظر: Bargès, Complément..., p. 516 ; G. et W. Marçais, Les Monuments arabes de Tlemcen, p. 134.

(17) اقتباس من القرآن، سورة التوبة، الآية 29.

(18) عن الحروب التي وقعت بين يغمراسن وبني مرين، انظر: العبر، ج 7، ص 171 - 174، 176 - 178، 365 - 381؛ روض القرطاس، ص 197 - 198، 203 - 204، 207 - 209؛ الذخيرة السنية، ص 83، 97، 131 - 132، 145 - 151.

(19) حول صومعتي الجامعين الأعظمين بتاجرارت وأجادير، انظر: التنسي، م. س.، ص 125؛ Bargès, Tlemcen..., pp. 162 - 66 et 428 - 40 ; G. et W. Marçais, op. cit., pp. 136 - 39 et 142 ; G. Marçais, Sur la grande mosquée de Tlemcen, dans A. I. E. O. Alger, VIII, 1949 - 50, pp. 266 - 77 ; L. Golvin ; Quelques réflexions sur la grande mosquée de Tlemcen, dans R. O. M. M., n°1, 1° sem.,1966, pp.81 - 90 ; R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, pp.71 - 74 et 124 - 29.

(20) عن وفاة يغمراسن، انظر: العبر، ج 7، ص 188 - 189؛ التنسي، م. س.، ص 128 - 129.

(21) لم يذكر المؤلف شيئا عن وصية يغمراسن السياسية. انظر في هذا الشأن: العبر، ج 7، ص 189 - 190؛ عطاء الله دهينة، وصية يغمراسن، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 6 - 7، يولية 1969، ص 22 - 26 (بالفرنسية).

(22) ز، ع: ومدة إمارته منها.

(23) ر: أقال.

(24) عن أبي عبد الله بن خميس، انظر فيما قبل: ص 151 - 156 (الترجمة رقم 26).

(25) ع: وصاحبا.

(26) ع - : الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عصفور. عن أبي زكرياء بن عصفور، انظر فيما قبل: ص 171 وهامش 1 (الترجمة رقم 70).

(27) عن أبي زكرياء يحيى بن عبد العزيز، انظر فيما قبل: ص 173 وهامش 3 (الترجمة رقم 80).

(28) ز، ع +: راجعًا.

(29) وقع هنا التِبَاسٌ عند المؤلف بين عبد الله انعجوب بن يعقوب بن عبد الحق المتوفى سنة 660 هـ في الحرب ضد المرتضى المُوَحِّديّ، قرب مراكش، وبين أبي عامر بن أبي يعقوب بن عبد الحق، المقصود هنا.

(30) والأصح أن الأمير أبا عامر ابن السلطان أبي يعقوب المريني كان فارًا من أبيه. انظر: العبر، ج 7، ص 441 - 442؛ روض القرطاس، ص 278.

(31) يقصد المؤلف مسجد أبي الحسن، الذي أحيل إلى متحف أثري، والقريب من باب إيلان. انظر: G. et W. Marçais, op. cit., pp. 170 - 84 ; R. Bourouiba, op. cit., pp. 109 - 29.

Scanned by CamScanner

(32) ز، ع +: راجعا.

(33) ر، ل، ع: نار فتنة.

(34) ز، ع +: من شرقه.

(35) ل: بمحشر؛ ز: بدشر؛ ع: بمدشر.

(36) ز، ع: المشهورة برَحَا الرِّيح بظاهر العلية (عوض: شمال الحضرة).

(37) ز: وهلكت؛ ع: وهلك.

(38) ز، ع: والسيف.

(39) عن الحصار الطويل أيام أبي سعيد عثمان، راجع أيضا: العبر، ج 7، ص 194 - 196؛ روض القرطاس، ص 283 - 285؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 130 - 131.

(40) ع: الشميلة. والشميلة هي: ما بقي في الإناء أو الحوض من ماء وغيره.

(41) ر، ل، ع: الإصحار. والإسحار هو: الخروج ليلا في وقت السحر (والغرض هنا من أجل مباغتة العدو).

(42) ل: آل.

(43) ز، ع: همتهم.

(44) ر، ل، ع: حميتهم.

(45) ع +: ولله درّ القائل.

(46) ز، ع: فلما مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب اختلف.

(47) ز، ع: الجيوش.

(48) ر: ومع ذلك.

(49) قرآن، سورة الشرح، الآية 6.

(50) عن انتهاء الحصار الطويل لتلمسان، انظر أيضًا: العبر، ج 7، ص 196 - 201؛ روض القرطاس، ص 285 - 286؛ التنسي، المصدر السابق، ص 133 - 135.

(51) ز، ع: وتوقد الرمال. والرِّئال: جمع رَأل، وهو ولد النعام.

(52) ز، ع +: والعمال.

(53) عن عهد أبي زيان الأول، انظر أيضا: العبر، ج 7، ص 201 - 202؛ التنسي، م. س.، ص 131.

(54) ر، ل، ع: الهين.

(55) عن محمد بن ميمون بن الملاح وابنيه محمد الأشقر وإبراهيم، وعمه علي بن عبد الله، انظر: العبر، ج 7، ص 217 - 218.

(56) عن أبي عبد الله بن هدية، انظر، فيما قبل، الترجمة رقم 42، ص 164 وهامش 1.

(57) ر، ل، ع: ملك المغرب (عِوَض: السلطان).

Scanned by CamScanner

(58) ز، ع: بني بو سعيد.

(59) ز، ع +: بلاد.

(60) ع – : بن زيان؛ س، ز – : يغمراسن بن زيان.

(61) ر، ز، ع: اعتاده.

(62) ز، ع +: أبو حمو.

(63) ع: فبقي ثلاثة أيام وخرج (عِوَض: وخرج لثلاث).

(64) ر، ل، ز، ع – : المرحوم.

(65) ل، ر: فعفا عنه السلطان قدسه الله.

(66) ر، ع: بوتيصفت؛ ل: بوتيصيفت.

(67) ع: على.

(68) ر، ل، ز، ع: فرج.

(69) ع: تاجرارت.

(70) ر، ل، ز، ع: السلطان المرحوم أبي حمو.

(71) ز، ع: وكان تلك الساعة بها.

(72) س: ولد الملاحي.

(73) ر، ل، ع: رحمة.

(74) هناك رواية أخرى للحوادث التي أدت إلى مقتل أبي حمو الأول، عند العيني. ومفادها أن إبراهيم، ابن عم السلطان، هو الذي دبّر المؤامرة. انظر: E. Fagnan, Extraits inédits relatifs au Maghreb, p. 264.

(75) ر، ل: ونصف سنة؛ ع – : ونصفا. عن عهد أبي حمو الأول، انظر أيضًا: العبر، ج 7، ص 203 – 219؛ التنسي، م. س.، ص 132 – 139.

(76) ز، ع: الثوب. والشوب هو العسل، يريد ما لذ في الحياة.

(77) في س، ز، ط، ج، ح: بزاهرته؛ وفي ع: بذاعرته.

(78) عن هلال القطلاني، انظر: العبر، ج 7، ص 235 – 236.

(79) عن أبي عبد الله بن هدية، انظر، فيما قبل، الترجمة رقم 42، ص 164 وهامش 1.

(80) عن القاضي أبي عبد الله الشريف الحسيني، انظر أيضًا: Bargès, Complément ..., pp. 78 - 79.

(81) عن دار الملك ودار السرور وأبي فهر، وقد اندثر أثرها، انظر: التنسي، م. س.، ص 140، G. Marçais, Tlemcen, pp. 81 - 82.

(82) عن المدرسة التاشفينية، التي لم يذكرها المؤلف، انظر: التنسي، م. س.، ص 141 وهامش 175؛ نفح الطيب، ج 8، ص 156، Bargès, Tlemcen ..., p. 331 ; G. Marçais, ... sur les médersas funéraires en Berbérie, à propos de la Tachfiniya de ... 1937, pp. 259 sq. ; Le

Scanned by CamScanner

même, Tlemcen, pp. 50 - 51.

(83) ز، ع +: وأشرفت على الهلاك.

(84) ز، ع +: إلى مولاه بتلمسان.

(85) ع +: المريني.

(86) ر، ل، ع: جارت.

(87) ز: سلطانهم؛ ر: السلطان ملكها؛ ل: ملكها السلطان؛ ع: ملكهم السلطان.

(88) ر، ع: برغيس.

(89) ز، ع: المشقة.

(90) ع: حوتية.

(91) ع: حضرة.

(92) عن هذا الحادث، انظر أيضًا: العبر، ج 7، ص 235 - 236.

(93) ز: تامرجزية؛ ع: تامزيزدكت (وكذلك فيما بعد).

(94) ز: الجيوش.

(95) ز، ع +: من القمح والشعير والسمن وغير ذلك.

(96) ر، ل، ع: ضخم.

(97) ز، ع: وتلاشى أمرهم (عِوَض: ووهنت قواهم).

(98) ز، ع: الجبل.

(99) ز، ع - : بن محمد.

(100) ز: تامرجزجة.

(101) ز: نهض.

(102) ل: عويس.

(103) ع +: ذلك وبناها.

(104) ز، ع +: الذي كان عنده بتلمسان قاصده في الحركة.

(105) ز، ع +: بلاد.

(106) ز، ع: فوقع بينهم حرب عظيم فانهزم السلطان أبو يحيى.

(107) ز، ع +: راجعين.

(108) ع +: راجعًا لدار ملكه. حول حركات بني عبد الواد إلى إفريقية، في عهد أبي تاشفين، انظر: العبر، ج 6، ص 765 - 776، ج 7، ص 221 - 225؛ التنسي، م. س.، ص 144 - 145.

(109) ع: زا.

(110) ...

Scanned by CamScanner

(111) ز، ع +: وهي مدينة المنصورة. عن المنصورة، انظر: التنسي، م. س.، ص 146 وهامش
216، Bargès, Tlemcen ..., pp. 248 - 59, G. et W. Marçais, op. cit., pp. 192 - 222 ;
G. Marçais, Tlemcen, pp. 53 - 57 et 60 - 63 ; R. Bourouiba, op. cit., pp. 159 - 81 et 192.

(112) ر، ل، ع: والأموال.

(113) ر، ل، ز، ع: أكرم.

(114) حول استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان، انظر: العبر، ج 7، ص 225 – 230، 532 - 537؛ التنسي، م. س.، ص 146 وهامش 219، G. Marçais, op. cit., pp. 59 - 60 ; H. Terrasse, Histoire du Maroc, II, pp. 57 - 58.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

الباب الثاني من القسم الثاني
في ذكر إحياء الدولة عقب العفاء
وظهورها بعد طول الخفاء

قلت وبالله التوفيق: لَمَّا حلتْ الطامَّة الكبرى بالسلطان المرحوم أبي تاشفين، وصار ملك تلمسان إلى السلطان أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يوسف بن عبد الحق، كما ذكرناه آنفا، استخْدَمَ قبيلَ بني عبد الواد، فلمَّ شعثهم، وحفظ عليهم رتبتهم[1]، وأبقى لشعوبِهم وقبائلهم المراسِمَ التي ألفوها بأيَّامهم، تفاخُرًا بِملك القبيلَيْن، وتشرُّفًا بإمْرَة زناتة أجمعين.

وكَــمْ للهِ مِــنْ لطــفٍ خفِــيّ　　　يَــدِقّ خفــاه عــن فهْــمِ الذكِــيّ

فإنْ[2] ضـاقتْ بـكَ الأسْبابُ يَـوْمًا　　　فـثِقْ بالــواحِدِ الــصَّمَدِ العَلِــيّ

فمَضَت الأيام وهم بين بني مَرين لَهَبٌ مكفور وصارِم مغمُود، والأكباد تتفطر[3] غِيرَةً، والقلوب تَحْتَدِم حَنَقًا، فالعيون شازرة والألسن هامِسَة، إلا أن الصبر مستشعَر، والخضوع والتسليم مستظهَران، والظَّفَرُ، كما قيل، أخو الصَّبر، والرضى بالقضاء حَمِيد العُقْبى. ولله درّ القائل:

وأمْــرٌ كــأنَّ المُــصْطلينَ بحَــرِّهِ　　　وإنْ لـمْ تكـنْ نـارٌ قِيامٌ على الجَمْر

صــبرنا لــه حتــى تــناءَى وإنمــا　　　تُفَــرَّجُ أيــامُ الكــريهَةِ بالــصَّبْر

وكانت إمْرَتُهم يومئذ مُتَوَسَّمَة في الأخوَيْن السلطانَيْن أبي سعيد وأبي ثابت ولَدَي الأمير الأعلى أبي زيد ابن الأمير الأعلى أبي زكرياء ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان، رضوان الله عليهم أجمعين، لإعراض أخيهما وَلِيّ الله[4] المَوْلى أبي يعقوب، رحمه الله، عن الدنيا، وإقباله على الآخرة، حَتَّى إذا تأذَّنَ الله[5] بحركة السلطان أبي الحسن إلى إفريقية، سنة ثمان وأربعين وسبعمئة، كانوا مِمَّن اسْتَجاش عَسْكَرُهُ أفاعِيَ كامِنة، وصُقورًا مُحَمْلِقة، وآسادًا رابضة، وتَرَكَ بتلمسان ابنَه السلطان أبا عِنان. فلما ملك تونس وكافَّةَ أمصارها، اشتدَّتْ وَطْأتُهُ على سُلَيْم

Scanned by CamScanner

وأحلافهم، بما استخلَصَه من إقطاعاتِهم، وطمسه من مَعالِم شَرَفهم. فانتبذوا مُتألِّبين عليه، وبايعوا أحمد بن أبي دَبُّوس، من أسْباط عبد المؤمن بن علي.

فنهض[6] يروم إطفاءَ قيظهم بزَعازعه، وتقليص فَيْءِ ظِلالهم بسَناه. فمَكَرَ ومَكَروا، واحْتَشَدَ واحتشدُوا، أسْبَابٌ رَتَّبها لأهلِ هذا البيتِ الشريفِ الحكيمُ العليمُ، وقضايا نظمها لإنتاج دَعْوَةِ أمير المسلمين[7] أبي حَمُّو، أيَّده الله، الحظُّ المدخورُ. فسبحان اللطيف لِما يشاء، لا إله إلا هو.

والليالـي كمـا عَلِمْـتَ حُبَالـى مُقـرِباتٌ[8] يَلِـدْنَ كـلَّ عَجيـب

فمن ثنيَّة الفندق[9] الْمُفْضِيَة إلى فحْص القيروان، انْتَبَذَ السلطان أبو سعيد وأخوه أبو ثابت، رحمهما الله، إلى العَرَب. ولَمَّا الْتَقى الجَمْعان بظاهر القيروان، يوم الاثنين سابع مُحَرَّم سنة تسع وأربعين وسبعمئة، أمكنت عبدَ الواد الفرْصةُ في عَدُوِّهم فما أفلتوها، وعثروا[10] على مِفْصَل إفساده، فما أحْجَمُوا عن حَزِّهِ، وإقالةُ العدوِّ مَهانَةٌ، والهَرَبُ من مَعاطن الذُّلِّ كَرَمٌ، وخِداعُ القاهِرِ وَفاءٌ.

فانتبذوا من عند آخرهم مُظَلَّلين بأزْوِقة أعْلامهم، مُرْدَفين بالذين في قلوبهم مَرَضٌ من عساكر الْمَغرب، وانحازوا إلى العَرَب وقد كادُوا يُهْزَمون. فتأزَّرَ بِهم نصرُهُمْ، ووهنتْ قوَّةُ السلطان أبي الحسن، فنَكَصَ متذمِّمًا بالقيروان، فكانت عليه الْهزيمة الشنعاء، بما هو معروف في الخافِقَيْن. والله يحكم، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وهو سريع الحساب.

قال المؤلف عفا الله عنه: وقفت على كُتُبٍ كثيرة من السلطان أبي الحسن لِحواضر بلاده يعتذر لهم فيها عن الوقيعة بانْخِزاع عبد الواد عنه ساعة اللقاء، ومُظاهَرَتِهم العَرَبَ عليه.

رجع الحديث. وأقام هذا القبيل المبارك مُلتفًّا على الْمَلِكَيْن الْمَرحومَيْن أبي سعيد وأبي ثابت أيامًا وليالي، آخذين فيها بِمُخَنَّق القيروان مع العَرَب، إلى أن فرَّ منها الشيخُ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن تافراجِين[11]. فتوجَّهوا معه بأحمد بن أبي دبُّوس، مُبايَع العرب، إلى تونس لاستفتاح قَصَبَتِها. فأخذوا بِمُخَنَّق مَنْ كان فيها[12]

Scanned by CamScanner

من فَلِّ مَرين ومَواليهم زمانا طويلا، إلى أن وَصَلَ الخبرُ بخلْع السلطان أبي عِنان بَيْعَة أبيه ودُعائِه لنفسه، ثم خروجِه عن تلمسان[13] لعثمان بن يحيى بن محمد ابن جَرّار بن يَعْلى بن يَنْدُوكسَن[14] بن أطاع الله بن علي بن يَمَل بن يَزْجَن بن القاسم.

فحينئذ حَنَّ القَبِيلُ المبارك إلى وطنه، وطَمَحَتْ هِمَمُهم لإحياء الدولة. فأصفقوا[15] على بيعة السلطان المرحوم أبي سعيد، رضوان الله عليه، فبايَعوه ظاهِرَ تونس، آخِرَ شهر ربيع الأول سنةَ تسع وأربعين وسبعمئة. ثم استألفوا مَغْراوة المرؤوسين بعَلِيّ بن منديل وعَلِيّ بن راشِد، ثم بني توجين، وارتحلوا مُغَرِّبين في زهاء خمسمئة فارس، برضى من المُوَحِّدين وعَرَبِهم.

فعلى بلْطَة اعْتَرَضهم وَنِّيفَن من هَوَّارة فلم يأبهوا بهم، وبحدادة، من كُوَر بلد العُنَّاب، قاتَلَهم توبَةُ أجمعُون، فما ظفرُوا منهم بسِوَى العَناء. ومَرُّوا بجبل بني ثابت المُصاقِب لقسنطينة شَمالاً، فثار بِهم أهلُه، ولم ينجَحُوا، فرجعوا إلى الحُسْنَى، وأجْزَلوا لَهم القِرَى والبرّ ثلاثًا. وبه انخَزَعَ علي بن منديل المغراوي لِخِيفةٍ أوْجَسَهَا، فاستقلَّ عليّ بنُ راشد بإمْرَة قومه، ثم ارتحلوا إلى طِيَّتِهم.

وفي لِيزُّو، من أحواز بجاية، أدركوا جماهير مغراوة وتوجين الخادمين كانوا بدولة المُوَحِّدين، بأهلهم وولدهم ومَتاعهم وكراعهم، في زُهاء خمسمئة فارس أخرى، سِوَى الراجِل، فتضاعف عددُ القوم وأغَذُّوا جميعا السَّيْرَ آخذين على جَبَل الزَّان من[16] زَواوَة، فاعْتَرَضهم أهْلُه، فاستأصَلوهم سَلْبًا للأموال والأنْفُس وحَرْقا للأمتعة والمَساكن. وانتهوا إلى شلف، ففيه انْخَزَلَتْ مغراوة، بدعوة علي بن راشد أميرهم، بعد مقاسَمته السلطانَيْن المرحومَيْن على التَّعاوُن والتعاضُد في الخير والضَّير، وأخذتْ توجين ذاتَ اليَسار إلى وطنهم.

فانفرد هذا القبيلُ الأعَزُّ، رضي الله عنه، فغلغلوا[17] إلى حاضِرَة مُلْكهم. وكان الشيخ أبو يعقوب وَنَزْمار بنُ عَريف بقَوْمه كافّة على البطحاء، مفلولاً للسلطان أبي عنان. فأرسلوا إليه بالإفراج عن طريقهم، ففعل ومَضَوْا مُصَمِّمين. فمن البطحاء فَرّ عنهم عِمْران بنُ موسى بن جَرّار بفَصِيلته إلى أخيه بتلمسان، فأمَدَّهُ بالجيش، وأعاده

Scanned by CamScanner

لِمُحاربتهم، فما وَهَنوا وما[18] استَكانوا، ومن ينصر الله فلا خاذِلَ له، ومن يَخْذُلْ[19] فمن ذا الذي يَنْصُره من بعده، والله قويٌّ عزيز.

فالتقى الجمعان بأَسَكَّاك[20]، إزاء جَمْعَة العزّ، عند مُلتقى نَهرَيْ اصْطَفْصِيف[21] ويَسَّر، يوم الأربعاء الثاني والعشرين لِجُمادى الأُخرَى، سنة تسع وأربعين وسبعمئة. فانخزل[22] عبدُ الواد كافة عن ابن جرَّار، وانحازوا إلى مَلِكهم السلطان أبي سعيد، حَمِيَّة وإيثارًا، وانقلب[23] المذكورُ بِمَنْ كان معه من جُنْد تلمسان صاغِرًا، فأدْرَكَتْه الخيْلُ وقُتِل. واستمَرَّ السُّلطانان رحمهما الله في أثَر الْمُنْهَزمين إلى البلد، فدخلوا عليهم بابه أصِيلان هذا اليوم الْمُبارك، فاسْتَأمَنهما لنفسه عثمان بن يَحْيَى بن جَرَّار، فأمَّناه، واستقَلَّا بملك الحضرة[24]. والله يُؤْتي ملكه مَنْ يشاء، ويَنْزَعُه مِمَّنْ يشاء، سبحانه.

---

(1) ر، ل: رتبهم.

(2) ر، ل، ع: إذا.

(3) ز، ع: تنفطر.

(4) ر، ل – : ولي الله.

(5) ز +: عز وجل.

(6) ز، ع +: أبو الحسن.

(7) ر، ل، ع +: مولانا الخليفة.

(8) ع: مغربات. والمقرِب من الحوامل هي التي قرب ولادها.

(9) س: القيذق.

(10) ز، ع: وعزموا؛ س: وغزوا.

(11) ل، ع: تيفراجين.

(12) س: فأخذوا قصبتها ومن كان فيها.

(13) ع +: بعد أن أسلم أمرها.

(14) ع: تيدوكسن.

(15) ز: فاتفقوا.

(16) ز +: بلاد.

(17) ع: فجدوا السير.

Scanned by CamScanner

(18) ل، ع: ولا.

(19) ل، ز، ع +: الله.

(20) ز، ع: بسكاك.

(21) ر، ل: اصطفطيف؛ ز، ع: الصفصيف.

(22) ر +: بنو.

(23) ع +: ابن جرار.

(24) عن هذه الحوادث، انظر: العبر، ج 7، ص 238 - 243؛ التنسي، م. س.، ص 149 - 151.

Scanned by CamScanner

الباب الثالث من القسم الثاني
في ذكر دولة السلطانَيْن أبي سعيد وأبي ثابت
ابْنَيْ عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان

قَمَرَا الخلافة، وفَرْقَدَا الشرف والإنافة، ومَقَرَّا الأمان[1] المتجَع والإخافة، هذا قطب الصلاح والدين، وهذا يوم الكفاح أسَدُ العَرين، وهذا قِسْطاس العدل، وهذا بحر السماح والبذل. أنبطا زمزم الدولة وقد درس، وراضا صقب[2] هذا الأمر من بعد ما شرس، فأوجدا المَعْدوم، وشادا الركن المهدوم، وأطفآ عفاء الليالي المحدوم، وجمعا القبيل، وفارقا المَرْعَى الوبيل، وأوضحا للفخر في بني أبيهما السبيل. ثم تجاذبا ملاء المُلك الكبير، وتصافنا[3] مشارع السياسة والتدبير، وتَميَّزا بمُقارعة الحرب ورهبانيَّة المِحْراب، وأريكة[4] الخلافة وصَهوات العراب، مع البرور المَوْصول، والتراضي المُسَدَد النُصول، وأعمال حدود الإخاء تامَّة الأجناس والفصول، إخاءً انفرَدَ به أهْلُ هذا البيت الكريم من المُلوك، ووصلة من[5] الله للرحم لَمَا يَصَلُّوا نَهْج قصدِها[6] المَسْلوك. فَصالَ بهما المُلْكُ وزَها، وأمَرَ ونَهَى، ثم رحب وسَمَا، وأباح وحَمَى، فأدركا المَطالب، وغلبا عَدُوَّهما الغالب، فرَفَعا المَعَرَّة، وأوضحا التَّحْجيل، وأطالا الغرَة. إلَّا أنَّ الدهرَ أكْبَى الجواد، وأصْلد الزناد، وأنْبَى الصَّوارم الحِداد، فعاجل الجِدَّة بالإخْلاق، والترف بالإملاق، والمُلك الدائم لله الواحد الخَلَّاق.

مَلَكَا تلمسان عَشِيَّ يوم الأربعاء الثاني والعشرين لِجُمادى الأخرى سنة تسع وأربعين وسبعمئة، كما ذكرناه. وفي صَبيحَة غَدِه جدَّد القَبيل المُبارَك البَيْعَة لسلطانِهم [الأسعد] أبي سعيد رضوان الله عليه، وقبضا[7] بمُوجِب السياسة على عثمان بن يحيى ابن جرَّار، ومات في رمضان السنة. واستوزرا يحيى بن داود بن علي ابن مَجَن، واستكتبا عبد الواحد بن محمد الزَّوَّاق، ثم نكباه لأمور نُقِمَتْ عليه، واعتاضا منه علي بن محمد بن سعود بعد وصوله من تونس على ما نذكره إن شاء الله بعد، واستقضيا الفقيه أبا العباس أحمد بن أحمد[8] بن علي القبسي، عرف

Scanned by CamScanner

بالْمُشَوِّش[9]، ثم الفقيه أبا العباس أحمد بن الحسن بن سعيد. واستشعر كل واحد منهما زِيَّ[10] الْمُلك، ودَان له الناس بالبَيْعة، ومضت في الأحكام والجبايات أوامِرُه، إلَّا أنَّ السَّرير والْمِنْبَر والدِّينار للسُّلطان أبي سعيد، والْجُيوش والألْوِيَة والحروب للسلطان أبي ثابت، مع تعظيمه لأخيه وبُرُوره به. ورَضِيَ أخوهما الأكبر المولى الصالح الأعلى أبو يعقوب رضوان الله عليه سُكْنَى نَدْرُومَة لعبادةِ رَبِّهِ[11].

قلت: ولم أقف بتاريخ على مثل هذه الأُخُوَّة بين أحد من ملوك الإسلام. وإنها لأكبر دليل على شرف أهل هذا البيت، وكرم أخلاقهم، وبُعْدِهم عن الوَصْم، رحم الله السلف، وأيَّدَ بنصره الخلف. وأنا ذاكِرٌ هنا كل مَن ولي خلافةَ المسلمين[12] دون أخيه الأكبر، على نَسَق، تأسِّيًا في ذلك بِهم. فأوَّلُهم من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمير الْمُؤمنين علي بن أبي طالب [رضي الله عنه]، كان أخوه عقيل أسنَّ منه ومات بعده.

ومن بني أمَيَّة بالْمَشْرِق يزيد بن معاوية، كان أخوه عبد الله أسنَّ منه، وكان يوم مَرْج راهِط مع الضحَّاك بن قيس، فلما انْهَزم أهلُ دمشق أدركه عُبيْدُ الله بن زياد، فأردفه وتخلَّصَه، وأراد عُمَر بن سَعِيد بن العاصي قتله، فسبَّه عبيد الله ومنعه منه. وهشام بن عبد الملك، كان أخوه مسلمة أسنَّ منه. والوليد بن يزيد، كان له إخوة كثيرون أسنَّ منه. ويزيد بن الوليد وأخوه إبراهيم وليا الخلافة، والعباس أخوهما وغيره أسنَّ منهما.

وبالأندلس عبد الرحمان بن معاوية الداخل، كان له إخوة أسنَّ منه كالوليد، الذي قَتَلَ عبدُ الرحمان ابنَه الْمُغيرة بتهمة السعي عليه، وأخرج بعده سائر بَنِي أبيه عن الأندلس. وهشام الرضي، كان أخوه سليمان أسنَّ منه، فنازعه الْمُلْك وقُتِل. والحكم بن هشام، كان أخوه عبد الملك[13] أسنَّ منه، فسجنه بالْمُطْبِق تسع عشرة سنة. وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام، كان هشام أخوه أسنَّ منه[14].

ومن بني العباس أبو العباس السفاح، كان أخوه أبو جعفر أسنُّ منه. وهارون الرشيد، كان أخوه علي أسن منه. والأمين، كان أخوه المأمون أسنُّ منه، وخبرهما

معروف. والواثق، قيل كان أخوه محمد والد المستعين أسنَّ منه. والْمُتَوَكل، قيل أيضا كان أخوه أحمد أسن منه. والْمُعْتَزّ ولي الخلافة وأكثر إخوته أسن منه، كخالفه المُؤَيَّد. والقاهر، كان أخوه هارون أسن منه. والْمُطيع، كان إخوته العبَّاس وعبد الواحد وعلي والتقي كلهم أسنَّ منه. والطائع، كان عبد العزيز أخوه أسنَّ منه.

ومن بني إدريس بن إدريس بالأندلس علي بن حَمُّود، كان أخوه القاسم أسن منه. ومن الشيعة نزار بن مَعَدّ، ولي الخلافة وأخوه القاسم أسن منه. ومن بني مرين السلطان أبو عِنان، كان أخواه أبو عمر وأبو الفضل أسن منه. ومن بني أبي حفص عمر بن أبي يحيى، كان إخوته كلهم أسن منه. وأبوه السلطان أبو يحيى، كان أخوه أبو عبد الله أسن منه. وحافده أبو العباس أحْمد، كان أخواه عبد الرحمان والفضل أسن منه. ومن بني نصر السلطان أبو عبد الله محمد، كان أخوه إسماعيل أسن منه. ومن بني أمير المسلمين أبي يحيى [يغمراسن بن زيان]، السلطان أبو سعيد هذا، كان أخوه المولى أبو يعقوب [رحمه الله] أسن منه.

رجع للتاريخ[15]. وانْتَزَى[16] بالساحل إبراهيم بن عبد الملك الكومي، داعيًا إلى نفسه برائحة عبد المؤمن بن علي. فبَرَزَ إليه السلطان أبو ثابت رحمه الله في قبيله الأعَزّ، عاشِرَ رَجَب، فاستباح الساحل كله، قتلاً وسبيًا. واستفتح ندرومة وهُنَيْن، واستنفر الناس لحصار وهران وبِها عَبُّو بن سعيد بن أجانا[17]، فأخذ بِمُخَنَّقِه ليَالِيَ، ثم خذلَهُ بنو راشد وأوعزوا إلى ابن أجانا بِمناجَزَتِهم الحرب. فأسْحَرَ إليهم، فوَلَّوْا مُدْبِرين، ومات محمد بن يوسف بن عنان بن فارس بن زيان ابن ثابت بن محمد. ونُهِبَت الأبنية، ونجا السلطانُ أبو ثابت برأس طُمْرَة ولِجام[18] إلى حضرته. وأخذ في تجديد الحركة إلى وهران فاعترضه الخبر بوُصُولِ النَّاصِر ابن السلطان أبي الحسن من تونس، وتألُّبِ سُوَيْد والدَّيالم والعَطَّاف وحُصَيْن معه. فأرسل التعريف بذلك إلى السلطان أبي عنان، وصرف وجه القصد إليهم، والأهمّ الْمُقَدَّم.

وفي أول محرم سنة خمسين وسبعمئة، وصله من قِبَل السلطان أبي عنان، في سبيل الْمُصارخة على أخيه[19]، حفلان من الذهب وحِصّة من ستمئة فارس[20]،

وأبو زيان ابنُ أخيه السلطان المرحوم أبي سعيد، لبقائه[21] كان بفاس عند حركة أبيه إلى إفريقية مع السلطان أبي الحسن، تقمُّنًا لِمَسَرَّةِ أبيه ببعثه.

فنهض السلطان أبو ثابت، رحمه الله، قصد الناصر وغوغائه في العشر الواسط[22] من المُحَرَّم، وراسل مغراوة في اللِّحاق به بِمقتضى شروطهم، فلم يجيبوا دُعاءه. واستمرّ إلى أن لقي الأحزاب المخالفين بوادِي وَرْك من بلاد العَطَّاف آخر شهر ربيع الأول، فهَزَمَهم هزيمة اسْتِئْصال. وسيق إليه من الكائنة الفقيه أبو الحسن علي بن سعود، فعفا عنه وقَفَلَ، فدخل الحضرة الكريمة آخر شهر ربيع الآخر من السنة، وقد تَوَغَّل على مغراوة صدرُهُ لتثبُّطِهم عن مُصارخته[23] على عَدُوِّ الجميع نقضًا للعهد.

وفي التاسع لجمادى الأولى منها، تحرّك إلى وهران، فدخلها عنوةَ سيفِه لأول وهلة، وعاد إلى حضرته الكريمة، فدخلها في اليوم السادس والعشرين من الشهر، وقد نشأت بينه وبين مغراوة ريحُ السِّعايات، واستحكمت صبغة العداوة. فنهض إلى قتالهم يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال السنة. والتقت الطائفتان بوادي رهيو يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة وحمي الوطيس واحتدم الوغى مَلِيًّا. ثم انجلت الكائنة عن هزيمة مغراوة واستئصال محلاتِهم، وفرارهم إلى رؤوس الجبال وبطون الشعاب، وبيعة مازونة للسلطان أبي سعيد رحمه الله.

وعلى الأثر من هذه الكائنة، وصل الخبر إلى السلطان أبي ثابت رحمه الله، أوَّل سنة إحدى وخمسين وسبعمئة، بنزول السلطان أبي الحسن الجزائر من البحر فشايعه الشيخ أبو يعقوب ونزمار[24] بن عريف وتوجين المَزْوُوسِينَ بعَدِّي بن يوسف، وأنهم قد استجاشوا العَطَّافَ والديالِمَ وحُصَيْنًا. فصالح رحمه الله مغراوة، وصرف العِنان لقتال هذه الأحزاب.

فأخذ على منداس، ونزل المَذْرِيسَة[25] من السّرسُّو، أول شهر ربيع الأول، فأجفل بين يديه الشيخ ونزمار بن عريف وطوائفه. وهنالك أدركه من قِبَل السلطان أبي عنان، يحيى بنُ رَحُّو[26] بحِصَّة مرينية، في سبيل مُصارخته. فارتحل مشرّقا إثر

Scanned by CamScanner

المخالفين، إلى أن نزل المَدِيَّة وفتحها. فتذمَّمَ منه حُصَيْن بتِيطَرِّيهم[27]، فترك عِمْران بن موسى الحَبَنُونِيّ[28] بالمَديَّة، وتلاهم فأخذهم بسيفه عنوة[29] برأس معقلهم، واستقْضَى رَهائنَهم.

ونزل فحص حمزة، فمهّد الأقطار وذلّل الصِّعاب، وافترع المَعاقل، وثَنَى العنان مغرِّبًا إلى دار المُلك. فبالأشْبُور من بلاد حُصَيْن، لقيه، من قبل السلطان أبي عنان، عيسى بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، لرئاسة الحِصَّة المرينية، والقبض على يحيى بن رحّو، لاتِّهامه إياه بِمُباطَنَة السلطان أبي الحسن، وغلغل في سيره إلى أن دخل دار الملك، سادس رجب الفرد من السنة.

فأدركه الخبر بأن الناصر ابن السلطان أبي الحسن قتل عِمْران بن موسى الحبنوني، واستولى على المدية ومليانة وتِيمَزْوَغت، وأن السلطان أبا الحسن قد تحرّك مُغَرِّبًا في أمم لا يحصيها العدّ، من سُليم ورياح وسُويد والديالم والعطاف وحُصَيْن وتوجين، دون مَن معه من قبيله ومَواليهم، وأنَّ علي بن راشد المغراوي فرَّ أمامهم[30] بقومه، وانحاز إلى طرف بلاد بني عبد الواد.

فخرج السلطان أبو ثابت رضوان الله عليه[31] شعْلةَ إقدام لا تخمد، وسَهْمَ عزيمةٍ لا ينكص، وطودَ حزمٍ لا يُنَهْنَهُ، والْحَمِيَّة تنسلّ بقبيله الأعزِّ إليه[32] من كلِّ حَدْب، والعَصَبِيَّة تنثال بأحلافهم لديه من كُلِّ فجّ ومَعْلَمٍ، إلى أن حلّ بتاغِيت ونِيف. فهنالك وافَاه علي بنُ راشد المَغْراوي بقبيله، فتَسَالَمَا فارِسَيْن، وتحادثا طويلا في كيفِيَّة لقائهما العَدُوّ. فاكتفل السلطان أبو ثابت بالسلطان أبي الحسن، وعلي بن راشد بولده الناصر ومَنْ معه.

وفي يوم الأربعاء عاشر شعبان، كان اللقاء بتِيغْزِيزَن، من شَلَف، ودارت رحى الحرب على الطائفتَيْن بما أشاب الوليد، ورفع التفْنِيد، وانْهَزَمَ المغراويُّ وقومه، وثَبَت السلطانُ أبو ثابت رحمه الله بما لم يُعْهَدْ بمِثْلِه في زمانِنا. فانْهَزَم السلطانُ أبو الحسن وقومُه قُبَيْلَ العشاء، واستحرّ[33] القتلُ في خواصّه، كولده الناصر ومحمد[34] بن العَزَفيّ قائد أسطوله، وبَرَكات بن حَسُّون بن البَوّاق، صاحب أشغاله،

وعليّ بن القبائِلِيّ، كاتب أسراره وعَلامته. واستَخْلَصَ ما كان له من مالٍ وبناتٍ وحرمٍ. والدنيا دُوَل، والحربُ سِجالٌ، والعِزَّةُ الدائمة لله وحده.

ونجا هو برأس طمرته ولِجامه، مع الشيخ أبي يعقوب ونزمار بن عريف، إلى سويد قبيله، ثم غرَّبوا جميعًا على الصحراء إلى سجلماسة، طالبًا مُلكه بالْمغرب. وعاد السلطان أبو ثابت، رحمه الله، إلى حضرته بالظفر الذي لا مِثْلَهُ[35]، والغنائم التي ليس فوقها، فدخلها غُرَّةَ شوَّال السنة، وصرف إلى السلطان أبي عنان حرمَ أبيه كلها، فضلاً وعفافًا وصَوْنًا وحَياءً.

وفي [أول][36] هذا الشهر أو ثانيه، اتفق أن وصل من تونس [محمد][37] بن عمر الجُمِّيّ[38] مُجتازا على مغراوة، فقتلوه[39] غيلة بمازونة، تعدِّيًا لحدود الله، وخرقا لحجاب السِّلْم. فاهتاجت لذلك حميَّة السلطانين الْمرحومَيْن، رضوان الله عليهما. ونَهض لحربِهم السلطان أبو ثابت بقبيله الأعَزّ وأحلافهم، يوم الاثنين غرّة محرّم فاتح سنة اثنتين وخمسين، واستجاش سويدا وبني عامر. وأقدم عليهم، فلم يثبتوا للقائه، وتذمَّمُوا بمعقل أجَرْواو[40] المُطلّ على تنس، فأخذ بمُخنقهم فيه دهرًا اشتمل على وقائع بين الفريقين كثيرة، وحروبٍ سجالا وغلابًا. ثم ارتحل عنهم مشرِّقًا لاستفتاح ما وراءهم من البلاد، فدوّخ أقطارها، وجاس خلال ديارها، فطوّع بَرْشَك وشَرْشال وملْيانَة والْمَدِيَّة. ثم دخل بجميع عَرَب مَتِيجَة، فأخذ الجزائر من يَدِ عبد الله ابن السلطان أبي الحسن وكافِلِه عليّ بن سعيد بن أجانا، وصرفهما مَنًّا عليهما في البحر، وسرّح من ثقافهما مسعود بن الحسن بن أبي الطلاق، والحسن ابن يوسف الوَرْتاجني، وبعثهما إلى السلطان أبي عِنان برّا، وطوّع الثّعالبة ومَلِّيكَش وحُصَيْنًا، وقيّد[41] بالجزائر سعيد بن موسى بن علي الغُزّيّ.

وثَنَى العِنان في شهر ربيع الثاني قَصْدَ مغراوة، فأخذ ثانية بِمُخَنَّقِهم بعد صَرْفِ العرب كافة إلى صحرائها، وشدَّ حصارَهم وأطاله دهرًا بلغته فيه رسالة السلطان أبي عنان، معرِّفًا له بوفاة والده، وشافعًا عنده لمغراوة في الإبقاء عليهم، فلم يقبل شفاعته. وطال على أرباب المواشي من مغراوة [أمَد] الحصار، فانحطُّوا كالسيل من

Scanned by CamScanner

عَلِ الجبل إلى مَحَلَّة عبد الواد، فذهل لهم عليّ بن راشد وسقط في يده. ففرّ ساعتئذ إلى تَنَس يرجو النجاة بها. والله لا يهدي كيد الخائنين. فتبعه السلطان أبو ثابت رحمه الله، وأخذ فيها بِمُخَنَّقِهِ أيّامًا قلائل، ثم دخلها عليه عنْوَةً في سادس عشر شهر شعبان الْمُكرَّم[42]. فأخذت عليّ بن راشد العِزَّةُ والإثمُ، وقبض الشيطانُ على يَدِه، فذبَحَ نفسَهُ بسيفه، نعوذ بالله من سوء العاقبة، وخَسارةِ الدنيا والآخرة. فاضْمَحَلَّ بموته مُلْكُ بني ثابت بن منديل من شَلَف[43].

وصفح السلطان أبو ثابت رحمه الله عن مغراوة كافة وضمَّهم إلى عسكره ونشر ألويَة الزَّماع إلى حاضرة مُلكِهِ العزيز، فدخلها يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان[44]. وبلغ خبرُ مغراوة إلى السلطان أبي عنان، فحنق لرَدِّ شفاعته فيهم، وثار به لِمُفاتَنَة السُّلطانيْن الْمُقَدَّسَيْن[45] الانتصارُ لشِيعَتِه، فاستنْفَرَ الناسَ إلى تلمسان من أقاصي غربه.

وبلغ السلطانيْن رحمهما الله خبرُهُ، فنهض السلطان أبو ثابت رحمه الله لاسْتِجَاشَةِ قبائل الشرق، يوم الأربعاء خامس عشر ذي القعدة. فخيَّمَ بوادي شَلَف أشهُرًا[46]، بثّ بها في الناس دُعاتَه، فنسلوا إليه من كل حَدْب، وطاروا زرافات ووحدانًا نحوه[47]، فقدمهم إلى حضرته[العلية] أوَّلاً وثانيًا. وهنالك، في أوَّل شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين، أطاعته تَدَلَّس، على يَدِ مولاه جابر الخراساني. وبعد أن قَضَى الوَطَر من استنفار الحشود، وبلغه نهوض السلطان أبي عنان مشرِّقًا، قَوَّضَ الْخِيام مُغِذًّا السَّيْرَ، فدخل الحضرة العلية يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الثاني، فأدار هو وأخوه والملأ الأعلوْنَ من قومهما الرَّأيَ فأفالوه[48]، وأجمعوا على لقاء ملك المغرب بأنجاد، ولو شاء الله ما فعلوه، لكنَّ عِلْمَ غَيْبِهِ في الخَلْق لا بُدَّ من نَفاذِهِ.

فارتحل السلطان أبو ثابت مُغَرِّبًا لذلك عشيَّ يوم الأربعاء الثاني والعشرين لشهر ربيع الثاني. وفي عشيِّ يوم الخميس غُرَّة جُمادى الأولى، تلاه أخوه السلطان الْمُقدَّس أبو سعيد، وعسكرا بجميع جيوشهما، وغرب بني عامر كافَّة بوادي إيسلي،

Scanned by CamScanner

والسلطان أبو عنان بجبوب بني مزغنان.

وفي منتصف يوم الأربعاء ثامن الشهر المذكور، ثار بالسلطان أبي ثابت إقدامُهُ، فعبأ العساكر، ورتّبها قلبًا وجناحَين ومُقدِّمة، وبَغَتُوا مَرين عند نزولِهم بوادي القَصب، وافتراقهم في ضروراتهم. فما رَكِب مَلِكهم إلّا ولَيْلُ القتام قد ازْبَدَّ. ونجومُ الأسِنَّة تزهر، وبوارق القواضب تلمع، وحُشودُه كُلُّها قد وَلَّت الأدْبارَ، مُوقنين بالْهزيمة. فصبرَ وأقدم، والْتحَمت الحرب، واحْتَدَمَ المراس، فخَذَعَتْ كعادتها بنو عامر، واغْتالت مَحَلاّتِ بني عبد الواد مِنْ وراءِ صُفوفِهم، قُبَيْلَ الْمَغْرِب، واضْحَرتْ[49].

فكان ذلك سبب الهزيمة الشنعاء على بني عبد الواد. وركب بنو مرين ظُهورَهُمْ، فقلع السلطان أبو سعيد، رضوان الله عليه، واستشعرالأطْمارَ الواهِيَة مُعَمِّيًا شأنَهُ، وتسلَّلَ لِواذًا يبغي النجاة، لولا ما كتبه الله من الشهادة. فأخِذ يوم السبت حادي عشر الشهر، وجيء إلى ملك المغرب به[50] فقتله[51]، رضوان الله عليه، وإلى الله يرجع الأمر كله.

واستمرّ السلطان أبو ثابت وقبيله الأعزُّ إلى تلمسان، فتذمَّموا بها لإعمال الرأي يومًا، فأجمعوا على اللحاق بالجزائر، فارتحلوا نحوها يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الْمذكور. واعْتَرَضَهم بِوادي شَلَف صَنيعَتُهم فيه عليّ بن هارون بن ثابت ابن منديل بمغراوة، فهَزَمَهم اسْتِئْصالاً وأتوا الجزائر. فتحصَّن منهم الثَّعالِبَة، عرب مَتِّيجَة بدعوة ملك الْمَغْرب في جَبَل بني أبي خَليل. وجاء في أثرهم الشيخ وَنْزمار ابنُ عَريف بأخْلاط العرب، إلى أن حَلَّ بأبي يَلْصان[52] من بلاد غريب[53]. فخرج السلطانُ أبو ثابت بقَبيله الأعَزّ، فأخذ الثعالبة في مَعْقَلهم أخْذًا وَبيلاً، وضَمَّ رحمه الله إلى وَنْزمار وقومه، فتركوا أثْقالهم، وجَفَلوا بين يدَيْه كالظِّلْمان. فجَمَعَ، رحمه الله، مغراوة وكافَّة شِيَعِهم الشَّرْقية، وغَرَّبَ قاصِدًا عدوَّهُ.

فأنهض السلطان أبو عنان لحربه وزيره فارس بن ميمون بن وذرار، في جمرة مرين، ثم تلاه بسائر الدخْلات والحشود، فما كعَّ، رحمه الله، ولا أخجم عن

Scanned by CamScanner

مُصادقة القوم الحرب، بل أقدم على الوزير المذكور بإغِيل ان[54] توفلين، من وادي شلف، يوم السبت الحادي والعشرين من رجب. واحْتَرَبَ الفَريقان مَلِيًّا بِما أشاب الوليد، ثم انْهزم بنو مرين غير مُتَلوِّمِينَ، فضرب وَنَزْمار بنُ عَريف بالعَرَب كافَّة عَرْض بني عبد الواد، فرَدَّهم على الأعقاب فانهزموا، والْحُكْمُ لله العَلِيِّ الكبير، لا رادّ لأمره، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه، سبحانه.

فعاد السلطان أبو ثابت إلى الجزائر، وقد أسْلمَهُ الناسُ، وعاجلهُ العَدُوُّ، فشرَّق في رهْطٍ قليل من أوليائه، اقتلعَ جميعَهم عَجيسَة بوادي نسَة الْمُصاقِب لتَدَلَّس. فانفرد، بَعْدُ، السلطانُ أبو ثابت [وابنُ أخيه ومولانا أميرُ المسلمين أبو حَمُّو أيده الله][55]، والوزير يحيى بن داود بن علي بن مَجَن، وشرَّقوا في بَزَّةِ التنكير، قاطعين عَرْضَ وادي بجاية. وكان صاحبُها الأمير أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبي زكريا يحيى ابن السلطان أبي يحيى أبي بكر الحفصي شيعةً للسلطان أبي عِنان. فأخذت عيونُه عليهم الْمَراصد بأمر أبي عنان، فعُثِرَ عليهم بلِيزُّو. فاعتُقِلَ السلطان أبو ثابت والوزير يحيى بن داود ببجاية إلى أن وصلهما ونزمار بن عريف. فاحتملهما إلى السلطان أبي عنان، فأمر بني جَرَّار بقتلهما قِصاصًا، رحمة الله عليهما. فكانت دولتهما أربع سنين وشهرًا واحدا. والآجال محتومة كيف قُدِّرَتْ، والبقاء لله وحده.

قلت: أخبرني مَن حضر محاورة السلطان أبي ثابت رحمه الله[56] للسلطان أبي عنان، أنَّ مِنْ كلامه له: " إننا غلبناكم رُجْلَةً، فغلبتمونا بَخْتًا ". وهذا دليل على شجاعة الرجل وثباته، وسراوة هِمَّتِهِ، وفصاحة لسانه، غفر الله له ورحمه[57].

وجرَّ [بعد هذا][58] العفاءُ ذيْلهُ على الدولة، فانفطرَتْ سَماءُ مُلْكِها، وانكَدَرَتْ نُجومُه[59]، ومَلَكَ مَرين الوطن برُمَّته. ولكل أجل كتاب، رزقنا الله الرضى بقضائه، والصبْرَ لتَمْحِيصِهِ وابتلائه، وعامَلنا بالفضل الذي لا ينبغي لغيره، إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه، لا إله إلا هو [سبحانه].

كمل القسم الثاني من كتاب " بغية[60] الرواد [في أخبار ملوك بني

Scanned by CamScanner

عبد الواد] "، ومن الله نسأل الإعانة والتسديد، والْهِداية إلى نَهج الْحَقّ السديد، سبحانه[61].

---

(1) ر، ع +: في.

(2) ر، ل، ز، ع: صعب.

(3) ع: تصافيا.

(4) ر، ل: أرائك.

(5) ر، ل، ز، ع: في.

(6) ع: قصد نهجهما.

(7) ع: وقبض.

(8) ع - : بن أحمد.

(9) عن القاضي أبي العباس أحمد ابن المشوش، انظر، فيما قبل، الترجمة رقم 84 ص 174.

(10) ر، ل، ع: أبهة.

(11) عن سكنى الأمير أبي يعقوب، والد أبي حمو الثاني، بندرومة، انظر: بغية الرواد، ج 2، ص 14.

(12) س، ز: الخلافة.

(13) ر، ل، ز، ع: سليمان (عوض: عبد الملك).

(14) الجملة الأخيرة، ابتداء من " وعبد الرحمان بن الحكم.. ": ساقطة في ل، ز، ع.

(15) ز، ع +: قال المؤلف رحمه الله.

(16) ز، ع: وثار.

(17) ز: بن جانا.

(18) ر، ل، ع - : ولجام.

(19) ز +: الناصر.

(20) ما سبق، ابتداء من " حملان.. " مُعَوَّض في ر، ل، ع بِما يلي: " جميع بني عبد الواد الخادمين كانوا بالمغرب ".

(21) ر، ع - : لبقائه.

(22) في ل: الوسط؛ وفي ع: الأوسط.

(23) ع: عند مصارخته إياهم.

(24) ز: أونزمار.

(25) ل، ع: المديريسة.

Scanned by CamScanner

(26) ع +: بن تاشفين بن معطي.

(27) ز، ع: في تيطري.

(28) في س: الجبنوني؛ وفي ل، ع: الجنوني.

(29) ر، ل: فأخذتهم عنوة سيفه.

(30) ز، ع: أمامه.

(31) ع: رحمه الله.

(32) ز، ع: عليه.

(33) ع: واستمر.

(34) ع +: بن علي.

(35) ز، ع: لا مثل له.

(36) ر، ل، س، ب، ز - : أول.

(37) س، ر، ل، ب - : محمد (ويوجد بياض مكانه في س، ر).

(38) ز +: قاصدا ضيافة أبي ثابت.

(39) ز: فأخذوا ما كان معه من المال وقتلوه.

(40) ل: أجروا؛ ز: أجزاوا؛ ع: أجرو.

(41) ز: وخلف.

(42) ع +: وأخذه وسجنه.

(43) عن هذه الحوادث، انظر أيضًا: العبر، ج 7، ص 250 - 251؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 152 - 154.

(44) ز، ع +: من السنة المذكورة.

(45) ع: رحمهما الله.

(46) ل، ز، ع - : أشهرا.

(47) الجملة الأخيرة، ابتداء من " وطاروا..": ساقطة في ز، ع.

(48) وفي ع: وأجالوه. وأفال الرأي يعني: أخطأ ولم يوفق فيه.

(49) ز، ع - : وأصحرت.

(50) ر، ل، ز، ع: وجيء به إلى ملك المغرب.

(51) ز +: من ساعته.

(52) ل، ع: ياصان.

(53) ز، ع: عريب.

(54) ر، ل، ز، ع - : ان.

(55) ما سبق، ابتداء من " وابن أخيه.. ": ساقط في س، ز.

Scanned by CamScanner

(56) ر، ل، ز، ع - : رحمه الله.

(57) عن هذه الحوادث، انظر: العبر، ج 7، ص 252 - 254، 598 - 599؛ التنسي، تاريخ بني زيان، ص 153 - 156.

(58) س، ز - : بعد هذا.

(59) ع - : نجومه.

(60) ر، ل، ب: نجمة.

(61) هذه الفقرة، ابتداء من "كمل القسم الثاني..": ساقطة في ع.

Scanned by CamScanner

الفهارس

1. فهارس الأعلام

2. فهرس أسماء القبائل والأجناس

3 فهرس أسماء الأمكنة

4. فهرس أسماء الكتب

الوارد ذكرها في كتاب " بغية الرواد "، الجزء الأول.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

1. فهارس الأعلام

(أ)

الآبلـــي 9، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 48، 61، 62، 122، 132، 157، 158، 167، 278

ابن الأبار 46

إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي 219

إبراهيم بن الأغلب 190

إبراهيم بن أبي بكر التلمساني انظر: أبو إسحاق

إبراهيم بن أبي بكر العجمي 144

إبراهيم بن تاشفين بن علي 195

إبراهيم بن عبد الرحمان الشهيد الحفصي 241

إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي يحيى، أبو إسحاق 61، 184

إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري، أبو إسحاق 068

إبراهيم بن عبد الملك الكومي 295

إبراهيم بن علي الخياط 155

Scanned by CamScanner

إبراهيم بن علي بن اللجام 156

إبراهيم بن علي بن يحيى، أبو إسحاق 159، 226

إبراهيم القاري، أبو إسحاق 152

إبراهيم بن محمد بن محمد بن ميمون بن الملاح235، 246

إبراهيم بن الوليد 258

إبراهيم بن يخلف التنسي، أبو إسحاق انظر: أبو إسحاق

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق، أبو إسحاق انظر: ابن دهاق

ابن أجانا انظر: عبّو بن سعيد، علي بن سعيد

أحمد بن إبراهيم بن علي الخياط، أبو العباس 155

أحمد بن أحمد بن علي القيسي المشوّش 257، 258

أحمد بن البناء، أبو العباس انظر: ابن البناء

أحمد بن الحسن بن سعيد، أبو العباس 258

أحمد الخولاني، أبو عبد الله 135، 172

أحمد بن أبي دبوس 252

أحمد الرفاعي، أبو العباس انظر: الرفاعي

أحمد بن أبي سالم المريني، أبو العباس 19، 20، 32

Scanned by CamScanner

أحمد بن شعيب الفاسي، أبو العباس 12

أحمد العزفي، أبو العباس 138

أحمد بن علي القيسي المشوّش، أبو العباس 257

أحمد بن عمران اليانيوي، أبو العباس 172

أحمد بن قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس، أبو العيش 211

أحمد بن محمد البطرني انظر: البطرني

أحمد بن محمد الحصار، أبو العباس 177

أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي 171

أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، أبو العباس 151

أحمد بن محمد المقري 158

أحمد بن محمد بن ورد، أبو القاسم انظر: أبو القاسم بن ورد

أحمد المشدالي 170

أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة، أبو العباس 153

أحمد بن الواثق (العباسي) 259

أحمد بن يحيى بن عبد الله ين عبد العزيز بن رحمون، أبو العباس 160

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج، أبو الوليد 67

Scanned by CamScanner

ابن الأحمر، محمد بن محمد بن يوسف 10

إدريس بن إدريس بن عبد الله 211

إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي192، 211

إدريس المأمون (الموحدي) 196، 217، 219

أربد 178

ابن أبي إسحاق انظر: سعيد

أبو إسحاق إبراهيم التنسي 152

أبو إسحاق التلمساني 144، 147

أبو إسحاق الشاطبي انظر: الشاطبي

أبو إسحاق الطيار 141

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين 195

أبو إسحاق الغافقي الأندلسي 9، 168

أبو إسحاق بن أبي يحيى الحفصي58

أبو إسحاق بن أبي يحيى انظر: إبراهيم بن عبد الرحمان

إسماعيل بن إبراهيم التونسي، أبو الطاهر 169، 185

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر انظر: ابن الأحمر

Scanned by CamScanner

إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن الأحمر انظر: ابن الأحمر

ابن الأصفر 47

ابن أبي أصيبعة 4

الأغلب بن سالم 199

إفريقش 47، 201

ابن الإمام انظر: محمد بن عبد الله، أبو زيد، أبو موسى

امرؤ القيس 125

الأمين (العباسي) 258

ابن الأنباري المكناسي 136

إياس بن معاوية 210

أيوب (النبي) 165

(ب)

الباجي سليمان بن خلف، أبو الوليد 212

باذا بن رجيح 202 باد

البخاري 159

بر بن قيس عيلان بن مضر 196، 202، 203، 207

Scanned by CamScanner

البراذعي 8

البرّاض 146

ابن برّال 58

بربر بن تملا بن مارين بن فار بن عمرو بن عملاق 201

بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن سام 201

بربر بن السلاجم بن بربر بن مصرائم بن حام 201

بربر بن كنعان بن حام 201

بربر بن مصرائم 201

بربر بن نفسان بن إبراهيم 201

أبو البركات الباروني 170

أبو البركات بن الحاج البلفيقي 16، 26، 58، 63، 172

بركات بن حسون بن البواق 261

بزيع بنت مجدل بن مجدول 203

بشر بن صفوان 189

أبو البقاء خالد الحفصي 6

بقي بن مخلد 121

Scanned by CamScanner

أبو بكر بن جهور 168

أبو بكر بن الحسن بن خلدون (والد جد المؤلف) 5

أبو بكر بن خلف المواق 144

أبو بكر بن رزق 168

أبو بكر بن طلحة 138

بكر بن عبد الله 209

أبو بكر بن العربي 60، 168

أبو بكر بن عريف 27

أبو بكر بن عصفور 149

أبو بكر بن غازي بن الكاس 67

أبو بكر الغافقي 168

أبو بكر اللقنتي 149

أبو بكر بن محرز 168

أبو بكر محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدون انظر: محمد

أبو بكر بن منصور 11

البكري، أبو عبيد عبد الله 44، 46، 47، 95، 133، 134، 181، 201، 204

Scanned by CamScanner

بلال الحبشي (خادم أبي مدين شعيب) 165

البلفيقي، أبو البركات انظر: أبو البركات

بلقين بن زيري بن مناد 193

ابن البناء، أبو العباس 13، 157

البهاء بنت دهمان 203

أبو البهار بن زيري الصنهاجي 194

ابن البوّاق، بركات بن حسون انظر: بركات

(ت)

التادلي بن الزيات انظر: ابن الزيات

أبـو تاشـفين بـن أبـي حمّـو موسـى الأول 34-38، 50، 130 ، 168، 170، 195، 208، 236-243، 251

أبو تاشفين بن أبي حمّو موسى الثاني 18، 26، 33

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين 195

ابن تافراجين عبد الله بن أحمد، أبو محمد 15، 242، 252

ابن تامحجلت، أبو موسى عيسى انظر: أبو موسى

التقي (أخو المطيع العباسي) 259

Scanned by CamScanner

التلالسي، أبو عبد الله 127

تماضر بنت قيس عيلان 203

أبو تمّام 8

تميم بن معنصر بن المعز المغراوي 195

التميمي انظر: أحمد بن محمد، محمد بن أحمد، محمد بن محمد

التنسي انظر: أبو الحسن، أبو إسحاق

ابن تومرت محمد بن عبد الله، المهدي 71، 95، 207

التيفريسي، أبو يعقوب يوسف انظر: أبو يعقوب

(ث)

ثابت (جد يغمراسن بن زيان) 212

أبو ثابت (حفيد يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني) 252

أبو ثابت بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن45، 116، 237

ثابت بن منديل المغراوي 263

الثغري، أبو عبد الله انظر: محمد بن يوسف

(ج)

جابر الخراساني 226

Scanned by CamScanner

جابر بن محمد، أبو الحسن 195

جابر بن يوسف بن محمد بن زجدان 217، 219، 220

ابن الجارود 190

جالوت (ج. جواليت) 73، 210، 212

جسّاس 146

أبو جعفر بن ثعبان 150

أبو جعفر الذهبي 167

أبو جعفر بن الزبير انظر: ابن الزبير

جعفر بن كلاب 146

أبو جعفر المنصور انظر: المنصور

جمّي بن علي بن يمل 212

ابن جهور، أبو بكر انظر: أبو بكر

جوهر الصقلي 212

الجيّاب، أبو الحسن انظر: أبو الحسن

الجياني محمد بن عبد الله، أبو عبد الله انظر: محمد

Scanned by CamScanner

(ح)

ابن الحاجب 7

حام 47، 125

الحبّاك انظر: عبدون، عمر بن العباس

أبو الحجاج بن عبد الصمد بن نموي 137

أبو الحجاج بن مرضي 167

الحجاج بن يوسف 136

حجاج بن يوسف الهواري، أبو يوسف 136

ابن الحجام محمد بن أحمد انظر: محمد

ابن حرزهم علي، أبو الحسن انظر: علي

ابن حزم 4

حسان بن النعمان 189

أبو الحسن التنسي 151

الحسن بن جابر بن يوسف 217

أبو الحسن الجيّاب 11

الحسن بن حجاج، أبو علي 136

Scanned by CamScanner

أبو الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن 130

الحسن بن حيون الكومي 219

الحسن بن خلدون (جد جد المؤلف) 4

أبو الحسن الصغيّر 9، 152، 168

أبو الحسن بن الصيقل، يحيى بن عيسى المرسي انظر: يحيى

أبو الحسن علي بن عبد الله الخضار انظر: علي

الحسن بن عبد الرحمن الرفاء 168

الحسن بن علي بن أبي طالب 130

الحسن بن علي بن عبد الله بن الخرّاز أبو علي 136، 141، 149

أبو الحسن علي بن منصور بن محمد بن منصور بن هدية انظر: علي

الحسن بن قنون 139، 211

أبو الحسن بن أبي قنون 135، 136 ، 149

حسن بن محمد الحسيني، أبو علي 239

أبو الحسن بن محمد بن خيار 135

الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس 192

أبو الحسن المريني 8-20، 26، 44، 45، 171

Scanned by CamScanner

أبو الحسن الميورقي 129

حسن بن أبي يعقوب بن يحيى الحسني السبتي، أبو علي 170

الحسن بن يوسف الورتاجني 262

الحسين بن علي بن أبي طالب 196

الحصائري 7

أبو حفص بن أبي زكرياء الحفصي 57، 227

الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر 193

الحكم بن هشام 192

ابن الحكيم محمد بن عبد الرحمن انظر: محمد

الحلوي، أبو عبد الله 165، 167، 183

ابن حمادو التلمساني 154

ابن الحمّال انظر: محمد، علي بن محمد، محمد بن علي

حمامة بن المعز بن عطية 194

حمزة بن عمر بن أبي الليل 241

أبو حمو موسى الزياني انظر: موسى

حميد بن شبل الكتامي 192

Scanned by CamScanner

جعفير بن سبأ 202

حنظلة بن صفوان 190

الحوفي 9

(خ)

خالد بن الوليد 209

ابن الخرّاز الحسن بن علي انظر: الحسن

خزر بن حفص بن صولات بن وازمار بن مغراو 195

خزر بن حفص المغراوي 194

خزر بن محمد بن خزر بن حفص 194

الخزرجي انظر: عبد الرحيم، أبو العيش محمد

يحيى بن محمد بن عبد الرحيم

الخضار انظر: علي بن عبد الله، محمد بن عبد الله

الخضر 129

أبو الخطاب بن الجميّل الكلبي 135، 136، 173

ابن الخطاب محمد بن عبد الله المرسي انظر: محمد

ابن الخطيب، لسان الدين انظر: لسان الدين

Scanned by CamScanner

ابن خفاجة 128

ابن خلدون انظر: الحسن، أبو بكر بن الحسن، محمد بن أبي بكر،

محمد بن محمد بن أبي بكر، محمد بن محمد بن محمد،

عبد الرحمن، يحيى، عمر بن مسلم

خلف الله، أبو محمد 152

خلوف المغيلي 13

ابن خميس محمد بن عمر 10، 101، 123، 145، 230

الخنساء 210

(د)

الدارقطني 46، 121

داود (النبي) 47، 129، 201

داود بن علي بن مجن 240

داود بن يزيد بن حاتم 190

الداودي أحمد بن نصر، أبو جعفر 165

الدباغ محمد بن إبراهيم انظر: محمد

ابن دحية الكلبي أبو الخطاب بن الجميل انظر: أبو الخطاب

Scanned by CamScanner

ابن دقيق العيد 13

دلول بن علي بن يمل بن يزجن بن القاسم 212

ابن دهاق 165، 167، 183

دهمان (أخو قيس عيلان) 203

دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية 195

دينار أبو المهاجر 189

(ذ)

ذو النون 165

أم ذي الوزارتين (أم جعفر البرمكي) 210 الرِّياستين

(ر)

راشد بن محمد المغراوي 236

راشد (مولى إدريس) 191

أبو الربيع بن سالم 168

رجيح بن مادغيس 202

رحّو بن محمد بن علي الخراساني 230

الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون 196

Scanned by CamScanner

ابن رشيد 10

رضوان 162

ابن رضوان أبو القاسم 11، 12، 18، 54

الرفاء الحسن بن عبد الرحمن انظر: الحسن

الرفاعي أحمد، أبو العباس 155

ابن الرقام محمد، الهسكوري انظر: محمد

روح بن حاتم بن قبيصة 190

ريحان الكتامي 192

(ز)

ابن زاغو علي بن محمد، أبو الحسن انظر: علي

الزبيدي انظر: محمد بن الحسين، الحسن بن عبد الله،

الحسين بن عبد الله

ابن الزبير أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر 10

زجدان بن زيان، أبو عزة 220، 225

الزرزالي 7

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور انظر: يحيى

Scanned by CamScanner

أبو زكرياء يحيى بن الصيقل انظر: يحيى

أبو زكرياء يحيى بن عصفور انظر: يحيى

أبو زكرياء يحيى بن عصفور التلمساني انظر: يحيى

أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طفيل انظر: يحيى

أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عصفور انظر: يحيى

أبو زكرياء يحيى بن يوغان انظر: يحيى

زكرياء بن يخلفتن المضغري 231

ابن زمرك 41

زنور بن هرتيل (جالوت) 201

الزهري محمد بن أبي بكر 44، 46

زهير بن قيس البلوي 189

الزواوي، أبو علي منصور انظر: منصور

ابن الزيات التادلي 46، 164

زيان (والد يغمراسن) 212

أبو زيان بن أبي حمّو الثاني 45

أبو زيان بن أبي سعيد الأول 232 - 238

Scanned by CamScanner

أبو زيان بن أبي سعيد الثاني 21، 24، 27، 45، 65

أبو زيان القبّيّ 22

أبو زيد بن الإمام 9، 114، 251

أبو زيد بن أبي عبد الله بن أبي يحيى الحفصي 8

أبو زيد الفازازي 137، 150

أبو زيد اليزناسني 152

أبو زيد بن يوجان 137

أبو زيد بن يوسف بن عبد المؤمن 130

زيري بن عطية المغراوي 194

زيري بن مناد 193

(س)

أبو سالم بن أبي الحسن المريني 8-20، 26، 44، 45، 171

أبو سالم بن يوسف بن يعقوب المريني 245

سام بن نوح 201

السجلماسي، أبو عبد الله انظر: أبو عبد الله

سجيح بن واسين 207

Scanned by CamScanner

أبو سرحان بن أبي تاشفين الأول 236

السطي 9

ابن سعادة الإشبيلي، محمد بن يوسف انظر: محمد

سعد بن أبي وقاص 121

سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط، أبو عثمان 155

السعيد بن إدريس المأمون الموحدي 226

أبو سعيد بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر 9 - 10

سعيد بن أبي إسحاق، أبو عثمان 144

أبو سعيد بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن 257

السعيد بن عبد العزيز المريني، أبو زيان 40

سعيد بن محمد العقباني، أبو عثمان 161، 170، 182

أبو سعيد المريني 229 - 231، 236، 242

سعيد بن موسى بن علي الغزّي 236، 240

السفاح، أبو العباس انظر: أبو العباس

سفك 209

ابن سكرة، أبو علي الصدفي انظر: أبو علي

Scanned by CamScanner

السلفي، أبو طاهر انظر: أبو طاهر

سليمان (النبي) 129

سليمان بن حديد 190 - 191

سليمان بن خلف الباجي انظر: الباجي

سليمان بن عبد الرحمن الداخل 192

سليمان بن عبد الرحمن الصنهاجي، أبو الربيع التلمساني 144

سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي 130

السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله، أبو زيد 47، 201، 204

ابن سيد الناس محمد بن محمد انظر: محمد

(ش)

ابن الشاط 170

الشاطِبِيّ، أبو إسحاق 27

شريح، أبو الحسن 135، 168

الشريف التلمساني، أبو عبد الله محمد بن أحمد انظر: محمد

الشريف السبتي، أبو القاسم محمد بن أحمد انظر: محمد

شريك 209

Scanned by CamScanner

شعيب أبو مدين 149 - 164، 182، 183

ابن شعيب أحمد الفاسي انظر: أحمد

الشيطان 166

(ص)

ابن صاحب الصلاة انظر: أحمد بن منصور، عثمان

صالح (النبي) 146

صالح، أبو محمد 163

ابن الصبّاغ، محمد بن محمد انظر: محمد

صخر (أخو الخنساء) 210

الصدفي، أبو علي انظر: أبو علي

الصولي محمد بن يحيى، أبو بكر 47، 201، 202، 204

ابن الصيقل انظر: يحيى، يحيى بن عيسى، أبو عبد الله

(ض)

الضحّاك بن قيس 258

ضري بن رجيح 203

ضريس بن رجيح 203

Scanned by CamScanner

(ط)

الطائع العباسي 259

طارق بن زياد 189

طاع الله بن علي بن يمل 212

أبو طاهر إسماعيل التونسي انظر: إسماعيل

أبو الطاهر بن سرور 171

أبو طاهر السلفي 168

الطبري محمد بن جرير، أبو جعفر 47، 201 - 203

(ظ)

ظافر 237

ظافر الكبير 241

ابن ظفر الصقلي 47

(ع)

العادل عبد الله بن يعقوب المنصور 196، 217

أبو عامر عبد الله بن أبي يعقوب المريني انظر: عبد الله

أبو عامر بن يغمراسن 229

Scanned by CamScanner

أبو العباس الأعرج 137

أبو العباس بن حرب المسيلي 168

أبو العباس الرفاعي انظر: الرفاعي

أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني انظر: أحمد

أبو العباس السفاح 258

أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أبي حفص الحفصي انظر: أحمد

أبو العباس بن علي السبتي القنطري 136

أبو العباس بن المري 168

العباس بن الوليد 193

أبو العباس بن يربوع 172

ابن عبد البر 7، 129

عبد الحق ابن الخرّاط الإشبيلي، أبو محمد 141

عبد الحق بن سليمان اليعفري، أبو محمد 149

عبد الحق بن منغفاد العبد الوادي، أبو محمد 211

عبد الحق بن ياسين بن علي المليتي المسناوي، أبو محمد 167

عبد الرحمن بن الأشعث 208

Scanned by CamScanner

عبدالرحمن بن إبراهيم بن عبد الله، أبو زيد ابن رحمون 160

عبد الرحمن بن حبيب 226

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام 192، 258

عـبد الـرحمن بـن خلـدون 15، 17، 30، 58، 60، 62، 65، 67، 68، 69، 73، 74، 132، 197، 214،

عبد الرحمن الداخل 192

عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي انظر: السهيلي

عبد الرحمن بن القاسم انظر: ابن القاسم

عبد الرحمن بن محمد 169

عبد الرحمن بن محمد بن الإمام، أبو زيد انظر: أبو زيد

عبد الرحمن بن محمد بن الملاح 225

عبد الرحمن الناصر 192 - 193

عبد الرحمن بن يخلفتن، أبو زيد الفازازي انظر: أبو زيد

عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي، أبو زيد 152، 157

عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي 138

عبد السلام التونسي، أبو محمد 135، 163

Scanned by CamScanner

عبد العزيز (أخو الطائع العباسي) 258

عبد العزيز التونسي 178

عبد العزيز المريني 18، 28 – 30، 31، 32، 34، 35، 40، 140

عبد الله بن أحمد بن تافراجين، أبو محمد انظر: ابن تافراجين

أبو عبد الله بن البلد 156

أبو عبد الله بن أبي جمعة التلالسي انظر: التلالسي

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجيّاني انظر: محمد

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحجّام انظر: محمد

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم انظر: محمد

أبو عبد الله بن داود 165

أبو عبد الله الدقاق 164

أبو عبد الله الرندي 26، 172

أبوعبد الله محمد بن الحسين الزبيدي انظر: محمد

أبو عبد الله محمد بن أحمد، الشريف انظر: محمد

أبو عبد الله الشوذي الحلوي انظر: الحلوي

أبو عبد الله بن الصيقل 141

Scanned by CamScanner

أبو عبد الله الطنجالي 172

عبد الله بن عبد الحق التلمساني، أبو محمد 167

أبو عبد الله بن عبد الحق 10، 135، 137، 138، 141، 149

أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي 136 - 138، 150، 173

أبو عبد الله بن عبد الرزاق 152

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور انظر: محمد

عبد الله بن عبد الواحد المجاصي البكاء، أبو محمد 141، 152

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن مروان انظر: محمد

أبو عبد الله محمد بن يخلفتن الفازازي انظر: محمد

أبو عبد الله بن الفخار البيري 172

أبو عبد الله الكفيف 152

أبو عبد الله المالقي 152

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي انظر: الآبلي

عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسني، أبو محمد 158، 172

أبو عبد الله محمد (أخو أبي يحيى الحفصي) 259

أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن أبي يحيى الحفصي انظر: محمد

Scanned by CamScanner

أبو عبد الله بن مدورة 239

أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل انظر: محمد

أبو عبد الله محمد بن مروان انظر: محمد

أبو عبد الله المسفر 26، 186

عبد الله بن مسلم بن قتيبة انظر: ابن قتيبة

أبو عبد الله المسناوي 158، 168

أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري انظر: محمد

أبو عبد الله المليلي 152

أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية انظر: محمد

عبد الله بن يعقوب المريني 155، 245

عبد الله العادل بن يعقوب المنصور انظر: العادل

عبد الله بن يوسف ابن رضوان انظر: ابن رضوان

عبد المسيح بن عمرو 209

ابن عبد الملك المراكشي 70

عبد الملك بن هشام بن عبد الرحمن الداخل 258

عبد المهيمن الحضرمي 9 – 10، 11، 12، 26، 54، 152، 172

Scanned by CamScanner

عبد المؤمن بن علي الكومي 195، 211، 217، 226، 227، 252، 259

ابن عبد النور انظر: محمد بن عبد الله علي، محمد بن علي

عبد الواحد الرشيد ابن إدريس المأمون انظر: الرشيد

عبد الواحد بن عبد الحق المريني، أبو محمد 228

عبد الواحد بن محمد اللحياني الحفصي 240

عبد الواحد بن محمد الزوّاق 257

عبد الواحد المراكشي 51، 53، 99

عبد الواحد المسناوي، أبو محمد 156

عبدون بن محمد الحبّاك، أبو محمد 163، 226

عبّو بن سعيد بن أجانا 259

عبيد الله بن الحبحاب 190

عبيد الله بن زياد 258

عبيد الله الهروي انظر: الهروي

ابن عبيدة 170

عبيدة بن عبد الرحمن 190

عتاب بن أسيد 210

Scanned by CamScanner

عثمان بن صاحب الصلاة، أبو عمرو 153

عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن انظر:أبو سعيد الثاني

عثمان بن عفان 194

عثمان بن علي بن الحسن التلمساني، أبو عمرو 144

عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار 253- 254

عثمان بن يعقوب المنصور، أبو سعيد 217

عثمان بن يغمراسن، أبو سعيد انظر: أبو سعيد الأول

عثمان بن يوسف بن محمد بن زجدان 225

عدّي بن يوسف التوجيني 260

ابن العربي، أبو بكر انظر: أبو بكر

عروة الرحال 146

ابن عريف، أبو بكر انظر: أبو بكر

ابن عصفور التلمساني، أبو زكرياء يحيى انظر: يحيى

ابن عصفور انظر: أبو بكر، يحيى بن أبي بكر، يحيى

يحيى بن محمد، أبو يحيى

أبو عصيدة 6

Scanned by CamScanner

العقباني سعيد بن محمد، أبو عثمان انظر: سعيد

عقبة بن نافع 154، 207

عقيل بن عطية القضاعي، أبو طالب 135

ابن علان 236

علا الناس (علناس) بن حمّاد 157

أبو العلى المديوني 143

علي بن أحمد بن الفحّام، أبو الحسن 156

أبو علي بن أحمد المشدالي، ناصر الدين انظر: ناصر الدين

علي بن تازجرارت 237

أبو علي التجيبي 136

علي بن حرزهم، أبو الحسن 164

أبو علي الحسن بن حجاج انظر: الحسن

أبو علي بن الحسين البجائي 172

علي بن الحسين بن علي المسعودي انظر: المسعودي

علي بن حمود 259

علي بن راشد المغراوي 261

Scanned by CamScanner

علي بن سعود، أبو الحسن 260

علي بن سعيد بن أجانا 263

أبو علي عمر بن أبي سعيد المريني انظر: عمر

أبو علي بن سكرة الصدفي 141، 173

أبو علي الشلوبين 138

علي بن أبي طالب 259

علي بن عبد الرحمن، أبو الحسن بن أبي قنون انظر: أبو الحسن

علي بن عبد الله بن الخضار، أبو الحسن 175

علي بن عبد الله الزواوي 171

علي بن أبي عبد الله بن مروان، أبو الحسن 227

علي بن عبد النور، أبو الحسن 159

علي بن عمر بن إدريس 191

علي بن أبي عمرو التميمي، أبو الحسن 171

علي بن عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي، أبو الحسن 136

علي بن القبائلي 263

علي بن اللجّام، أبو الحسن 227

Scanned by CamScanner

علي بن محمد بن تروميت 13، 14، 158

علي بن محمد بن الحمال، أبو الحسن 155

علي بن محمد بن زاغو، أبو الحسن 159

علي بن محمد بن سعود 258

علي بن محمد بن مروان، أبو الحسن 226

علي المقري، أبو الحسن 158

علي بن منديل المغراوي 253

أبو علي منصور الزواوي انظر: منصور

علي بن منصور بن محمد بن منصور بن هدية، أبو الحسن 153

علي الميورقي، أبو الحسن 167

علي بن النجارية 160

علي بن نصر الأبكم 145

علي بن هارون بن ثابت بن منديل 264

علي بن يحيى القلي، أبو الحسن 136

علي بن يوسف بن تاشفين 195

ابن أبي عمارة 5

Scanned by CamScanner

عمر بن حسّون أبو الخطاب بن جميّل انظر: أبو الخطاب

عمر بن حفص 190

عمر بن الخطاب 121، 210

عمر بن سعيد بن العاصي 258

عمر بن أبي سعيد المريني، أبو علي 240

عمر بن العباس الحبّاك، أبو علي 143، 169

عمر بن عمّوش بن مجن 226

عمر بن محمد بن خلدون، أبو مسلم 7

عمر بن محمد بن مجن 24

عمر بن أبي يحيى الحفصي 257

أبو عمران بن أبي تليد 136

عمران التليدي 156

ابن أبي عمران الحفصي 197

أبو عمران الزريهني 161

عمران المشدالي، أبو موسى 186

عمران بن موسى بن جرار 253

Scanned by CamScanner

عمران بن موسى الحبنوني 259

عمرو بن العاصي 122

عمرو بن عبد الله بن أبي عامر (عسقلاجة) 197

عمرو بن علي الأندلسي 122

عمرو بن قيس عيلان 207

عمّوش بن مجن 223

عمير بن أبي حمّو الثاني 55، 57

ابن عميرة أبو المطرف 184

أبو عنان المريني 25، 30، 67، 189، 250، 252، 257 - 265

عيسى بن إدريس الثاني 194

عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان، أبو العيش 133

عيسى بن الإمام، أبو موسى انظر: أبو موسى

عيسى بن أبي بكر بن تامحجلت الصنهاجي انظر: أبو موسى

عيسى بن حمّاد بن محمد الأوربي، أبو موسى 137

عيسى بن سليمان بن منصور المريني 259

عيسى بن عبد العزيز بن رحمون، أبو مهدي 172، 224

Scanned by CamScanner

عيسى بن عمران بن دافال، أبو موسى انظر: أبو موسى

عيسى بن مزروع الياتكتني 146

أبو العيش أحمد بن قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس انظر: أحمد

أبو العيش محمد بن عبد الرحيم الخزرجي 140، 185

أبو العيناء 214

(غ)

ابن غازي بن الكاس انظر: أبو بكر

غالب (قائد أندلسي) 197

غالب بن غالب، أبو محمد 224

غانم بن محمد الراشدي 229، 233

ابن الغريب 146

ابن غزلون أحمد بن علي، أبو جعفر 179

الغساني، محمد بن إبراهيم انظر: محمد

الغضبان بن القبعثرى 210

ابن غلبون 22

Scanned by CamScanner

(ف)

أبو فارس بن أبي إسحاق الحفصي 10، 11

فارس أبو عنان بن أبي الحسن المريني انظر: أبو عنان

فارس (أبو قحطان) 206

فارس بن ميمون بن ودرار 265

الفازازي انظر: أبو زيد بن يخلفتن، محمد بن يخلفتن

فاطمة الزهراء (بنت الرسول) 124

الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز 202

ابن الفحّام، علي بن أحمد انظر: علي

فرح شعور 241

فرح بن عبد الله 241

فرعون (ج. فراعنة) 134، 205

أبو الفضل بن أبي الحسن المريني 259

الفضل بن روح بن حاتم 195

الفضل بن أبي يحيى الحفصي 15

فهر 191

Scanned by CamScanner

ابن (أبي) الفياض 189

(ق)

ابن القاسم 192

القاسم بن إدريس الثاني 192

أبو القاسم البلوي 138

قاسم بن الحشاء، أبو محمد 135

القاسم بن عبيد الله المهدي 192

أبو القاسم العزفي 140

أبو القاسم بن أبي علي السبتي 171

القاسم بن القاسم بن إدريس الثاني 211

أبو القاسم القرشي 141

القاسم بن محمد بن إدريس الثاني 211

القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الثاني 193

ابن قتيبة 71، 201

ابن القصّار 7

القضاعي 47، 201

Scanned by CamScanner

قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس 192

قيس عيلان 196

قيصر (ج. قباصرة) 201

(ك)

كسرى (ج. أكاسرة) 201

كسيلة بن بلزم 207

كلثوم بن عياض 190

كليب (وائل بن ربيعة) 146

كنزة 191

(ل)

لبيد 148

ابن اللجّام انظر: إبراهيم بن علي، علي، محمد

ابن اللحياني 6

لسان الدين بن الخطيب 17، 27، 31،30 -34، 41، 42، 50، 51، 53، 94

(م)

Scanned by CamScanner

مادغيس الأبتر 202

ابن مالك 7

مالك بن المرحل 47، 201

المأمون العباسي 219، 258

المأمون إدريس الموحدي انظر: إدريس

المتنبي 8

المتوكل العباسي 259

المجاصي البكاء، عبد الله بن عبد الواحد انظر: عبد الله

مجن (عم يغمراسن) 212

محمد (الرسول) 113

محمد بن إبراهيم الآبلي انظر: الآبلي

محمد بن إبراهيم الدبّاغ 6

محمد بن إبراهيم الغسّاني 138

محمد بن إبراهيم النيسابوري، ابن المنذر انظر: ابن المنذر

محمد بن أحمد بن إسماعيل النقاش 165

محمد بن أحمد الشريف التلمساني، أبو عبد الله 63، 158،

Scanned by CamScanner

محمد بن أحمد الشريف السبتي، أبو القاسم 170

محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي، 152، 171

محمد بن أحمد بن محمد المقري، أبو عبد الله 158

محمد بن أحمد بن محمد بن الحجام، أبو عبد الله 137

محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب، 50، 153

محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر انظر: ابن الأحمر

محمد بن إدريس الثاني 191

محمد بن الأشعث 190

محمد بن بحر، أبو عبد الله 7

محمد بن أبي بكر بن خلدون (جد المؤلف) 5 – 6

محمد بن البناء، أبو عبد الله 157

محمد بن جابر الوادي آشي 8

محمد بن جدار، أبو عبد الله 226

محمد بن الحاج البلفيقي، أبو البركات انظر: أبو البركات

محمد بن أبي الحسن بن الحمّال، أبو عبد الله 155

محمد بن الحسن بن خلدون، أبو بكر انظر: أبو بكر

Scanned by CamScanner

محمد بن الحسين الزبيدي، أبو عبد الله 6

محمد بن الحمّال، أبو عبد الله 155

أبو محمد بن حوط الله 138

محمد بن حويتة، أبو عبد الله 240

محمد بن الخير بن خزر 194

محمد بن الرقام الهسكوري، أبو عبد الله 232

محمد بن زجدان بن يندوكسن بن طاع الله 212

محمد بن أبي زكرياء بن أبي يحيى الحفصي 18 -23، 39

محمد بن الزوّاق 235

محمد بن زيان (أخو يغمراسن) 212

محمد بن أبي زيد بن محمد بن أبي العيش الهزرجي انظر: أبو العيش

محمد بن أبي زيد بن يوجان 137

أبو محمد، سبط ابن عبد البرّ 135

محمد بن سعود، أبو عبد الله 230، 232، 235، 239

أبو محمد صالح انظر: صالح

محمد بن طالب بن مهلهل 241

Scanned by CamScanner

محمد الطبري، أبو جعفر انظر: الطبري

محمد بن عامر الولهاصي 230

محمد بن عبد الحق، أبو عبد الله انظر: أبو عبد الله

محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، أبو العيش انظر: أبو العيش

محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم 10، 145

محمد بن عبد الرحمن التجيبي، أبو عبد الله انظر: أبو عبد الله

محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي 152

محمد بن عبد العزيز، أبو عبد الله 232، 235

محمد بن عبد القوي 230

محمد بن عبد الله بن الإمام (والد ابني الإمام) 152

محمد بن عبد الله الجيّاني، أبو عبد الله 8

محمد بن عبد الله الخضار، أبو عبد الله 140

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي 141، 226

محمد بن عبد الله بن عبد النور، أبو عبد الله 9، 159

محمد بن عثمان بن يغمراسن، أبو زيان انظر: أبو زيان

محمد بن العزفي 261

Scanned by CamScanner

محمد بن علي بن سليمان السطي انظر: السطي

محمد بن علي بن عبد النور، أبو عبد الله 171

محمد بن علي بن مروان بن جبل، أبو عبد الله 140، 150

محمد بن عمر بن خميس انظر: ابن خميس

محمد بن عمر الجمي 262

محمد بن عيسى، أبو عبد الله 149

محمد بن عيسى التلمساني، أبو عبد الله 154

أبو محمد غالب بن غالب انظر: غالب

محمد بن القاسم (قائد أندلسي) 192

محمد بن القصير، أبو القاسم 8

محمد القضاعي انظر: القضاعي

محمد بن قطرال، أبو عبد الله 157

محمد بن الكاس 31 - 32

محمد بن اللجام، أبو عبد الله 160

محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي 171

محمد بن محمد بن أحمد بن المشوّش 161

Scanned by CamScanner

محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، أبو عبد الله 151

أبو محمد بن محمد بن الحجّام 137

محمد بن محمد بن أبي السداد، أبو عيسى 168

محمد بن محمد بن سيد الناس 240، 241

محمد بن محمد بن الصبّاغ 9

محمد بن محمد بن محمد بن خلدون (والد المؤلف) 7 ، 58، 113

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن خلدون (أخو المؤلف) 135

محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر انظر: ابن الأحمر

محمد بن محمد بن ميمون بن الملاح 235

محمد بن محيو الهواري، أبو عبد الله 149

محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني انظر: محمد

محمد بن مروان، أبو عبد الله 150، 230

محمد المدكالي، أبو عبد الله 226

محمد بن مسكين الحكيمي241

محمد المصمودي، أبو عبد الله 157

محمد، أخو الواثق العباسي 259

Scanned by CamScanner

محمد بن المعلم، أبو عبد الله 226

محمد بن مقاتل بن حكيم العكي 190

محمد بن منصور بن علي بن هدية 153، 235، 239

محمد المهدي (العباسي) انظر: المهدي

محمد بن ميمون بن الملاح 235

محمد الناصر بن يعقوب المنصور انظر: الناصر

محمد بن الولهاصي، أبو عبد الله 230

محمد بن يحيى الباهلي المسفر 172

محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي انظر: الصولي

محمد بن يحيى بن علي بن النجّار، أبو عبد الله انظر: ابن النجار

محمد بن يخلفتن الفازازي، أبو عبد الله 150

محمد بن يزيد 189

محمد بن يعلى بن محمد بن خزر 194

محمد بن يوسف بن يغمراسن 236، 237، 239

محمد بن أبي يوسف الزواوي 172

محمد بن يوسف بن عنان بن فارس بن زيان 259

Scanned by CamScanner

محمد بن يوسف القيسي الثغري 124

محمد بن يوسف بن مفرج الإشبيلي 137، 168

محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر 10

المخضب بن عسكر المريني 211

مخلد بن كيداد، أبو يزيد انظر: أبو يزيد

ابن مدير 168

أبو مدين شعيب بن الحسين انظر: شعيب

مرزوق (جد المرازقة) 151

ابن مرزوق انظر: محمد بن محمد، أحمد بن محمد، محمد بن أحمد

ابن مروان انظر: محمد، مروان بن محمد، موسى بن محمد، محمد بن علي

مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل، أبو علي 140

ابن مريم 17

ابن مزني 14، 15، 23

مسامح 240، 244

مسامح الأصغر 237

Scanned by CamScanner

المستعين (العباسي) 259

المستنصر بن الناصر (الموحدي) 137، 141، 192

المستنصر بن أبي زكرياء الحفصي 4، 5، 6، 171

مسعود بن أبي عامر، أبو سرحان 240، 241

مسعود بن الحسن بن أبي الطلاق 262

المسعودي 47، 99

المسفر، محمد بن يحيى الباهلي انظر: محمد

مسلم 121

مسلمة بن عبد الملك 258

مسلمة بن مخلد 189

مصالة بن حبوس الصنهاجي 192

المصمودي، محمد أبو عبد الله انظر: محمد

مطهر بن يمل بن يزجن بن القاسم 212

المطيع (العباسي) 259

أبو المعالي الجويني انظر: الجويني

معاوية بن أبي سفيان 178

Scanned by CamScanner

المعتزّ 259

المعتصم، يحيى (الموحدي) انظر: يحيى

معرّف بن الفتوح التجاني 232

المعرّي، أبو العلاء 8

المعز بن زيري بن عطية 194

معطي بن جوهر بن علي بن يَمَل 212

ابن المعلم انظر: محمد، منديل

معنّ بن زائدة 214

معنصر بن المعز المغراوي 193

المغيرة بن الوليد بن معاوية 258

المقري، أبو العباس أحمد انظر: أحمد

المقري الكبير، أبو عبد الله محمد انظر: محمد

ابن الملاح انظر: محمد بن ميمون، محمد بن محمد بن ميمون،

بد الرحمن بن محمد، إبراهيم بن محمد بن محمد بن ميمون

منديل بن المعلم، أبو المكارم 230، 232، 235، 239

ابن المنذر 136

Scanned by CamScanner

المنصور، أبو جعفر 194، 258

المنصور بن أبي عامر 163، 194

منصور بن علي الزواوي، أبو علي 171

منصور بن محمد بن منصور بن علي بن هدية، أبو علي 153

المنصور، يعقوب (الموحدي) انظر: يعقوب

المنيذر الإفريقي 129

أبو المهاجر دينار انظر: دينار

المهدي، ابن تومرت انظر: ابن تومرت

المهدي بن أبي جعفر المنصور 213

مهيار الديلمي 93

موسى، أبو حمّو الثاني 18،26، 33

موسى البخاري، أبو عمران 159

أبو موسى بن تامحجلت 137

موسى بن أبي العافية 192

موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد، أبو عمران انظر: أبو عمران

موسى بن علي الغزّيّ 236، 240، 241، 243، 262

Scanned by CamScanner

أبو موسى عيسى بن عمران 136، 159،

موسى بن عيسى بن عمران أبو عمران 159

أبو موسى ابن الإمام 9، 13، 16، 128، 152، 157، 158

موسى بن محمد بن مروان، أبو عمران 150

موسى المشدالي، أبو عمران 159

موسى بن نصير 189

موسى بن يخلف 37

موسى بن يوسف بن عبد المؤمن 130

المؤيد (العباسي) 259

ميسور الفتى 192

ميمون بن جبارة 167

(ن)

ناصر الدين بن أحمد المشدالي، أبو علي 26، 172، 186

الناصر بن أبي الحسن المريني 259، 261، 262

الناصر بن يعقوب المنصور (الموحدي) 130، 150، 164، 196

ابن النجّار 11، 159

Scanned by CamScanner

نزار بن معدّ 202

نصر بن حبيب المهلبي 190

النقاش، محمد بن أحمد انظر: محمد

نوح (النبي) 201

(هـ)

هارون الرشيد 190، 210، 258

هارون بن المعتضد (العباسي) 258

ابن هدية انظر: محمد بن منصور، منصور بن محمد

علي بن منصور

هرثمة بن أعين 190

الهروي، عبيد الله 46، 121

هشام بن الحكم بن هشام 193

هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل 258

هشام بن عبد الملك 258

هشام المؤيد بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر 192

هلال القطلاني 237، 239، 240

Scanned by CamScanner

(و)

الواثق (العباسي) 259

ابن ورد، أبو القاسم انظر: أبو القاسم

ابن وزير 5

وعزان بن مسعود بن يكريمن بن القاسم 212

الوليد بن عبد الملك بن مروان 189

الوليد بن معاوية 258

الوليد بن يزيد 258

وهب بن منبه 154

ونزمار بن عريف أبو يعقوب 28، 34، 253، 260، 262، 264، 265

(ي)

ابن أبي يحيى، إبراهيم بن عبد الرحمن انظر: إبراهيم

يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس 191

يحيى بن أدغيوس، أبو زكرياء 160

يحيى بن أبي بكر بن عصفور، أبو زكرياء 181

يحيى بن خالد البرمكي 190

Scanned by CamScanner

يحيى بن خلدون 9، 10، 12، 16 – 18، 22، 27، 29، 31 37، 46،

47، 54

يحيى بن داود بن علي بن مجن 257، 265

يحيى بن رجيح 203

يحيى بن رحّو بن تاشفين بن معطي 260 – 261

يحيى بن الصيقل 153

أبو يحيى بن عبد الحق المريني 228، 233

يحيى بن عبد العزيز، أبو زكرياء 230

يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز بن رحمون، أبو زكرياء 160

أبو يحيى بن عصفور 151، 162

يحيى بن عصفور، أبو زكرياء 168، 230، 181، 182، 245

يحيى بن عيسى بن علي بن الصيقل المرسي التلمساني، 141

يحيى بن مجن 226

يحيى بن محمد بن إدريس 191

يحيى بن محمد بن طفيل، أبو زكرياء 137، 142

يحيى بن محمد بن عصفور، أبو زكرياء 152

Scanned by CamScanner

يحيى بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، أبو زكرياء 140

يحيى المعتصم (الموحدي) 196

يحيى بن موسى الجمّي 232، 240، 241، 242

أبو يحيى بن يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي 240

يحيى بن يغمراسن، أبو زكرياء 45، 116، 257

يحيى بن يوغان 135

يخلفتن بن أحمد الفازازي 150

يزيد بن إلياس أبو خالد 191

يزيد بن حاتم بن قبيصة 190

أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني 192

يزيد بن أبي مسلم 189

يزيد بن معاوية 258

يزيد بن الوليد 258

أبو يعزى الهزميري 183

يعقوب بن جابر الخراساني 226

يعقوب بن عبد الحق 228، 230

Scanned by CamScanner

يعقوب بن عبد الرحمن الصنهاجي، أبو يوسف 157

يعقوب بن علي الصنهاجي، أبو يوسف 152

يعقوب بن علي بن أحمد 24

يعقوب المنصور الموحدي 73

يعقوب بن يوسف بن حيون الهواري 235

أبو يعقوب يوسف التيفريسي 137

يعلى بن محمد بن الخير بن خزر 193

يعيش بن يعقوب المريني 239

يغمراسن بن زيان 44، 114، 116، 152، 154، 155، 160، 163، 168، 169، 220، 225، 229

يكريمن بن مسعود بن يكريمن بن القاسم 212

يوسف بن تاشفين 130، 195، 208

يوسف بن حسين بن عزيز التجاني 236

أبو يوسف بن حجاج 135

يوسف بن خزرون الدلولي 227

يوسف بن عبد الحق المريني، أبو يعقوب 251

Scanned by CamScanner

يوسف، أبو يعقوب (والد أبي حمّو الثاني) انظر: أبو يعقوب

يوسف بن عبد الواحد المغراوي أحصري، أبو يعقوب 160

يوسف بن علي بن جعفر التلمساني 151

يوسف الغفائري التلمساني 220

يوسف بن محمد بن زجدان (عم يغمراسن) 212

يوسف المستنصر بن الناصر انظر: المستنصر

يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي 152

Scanned by CamScanner

2. فهرس أسماء القبائل والأجناس

أ

الأدارسة 44، 95، 190، 192، 193، 197، 211

الأسبان 4

الأفارقة 202

أولاد سبّاع 20

أولاد علي بن أحمد 22

أولاد عمر 212

أولاد محمد 217، 230

أولاد يحيى بن علي بن سبّاع 30

أولاد يكريمن الأصغر 212

ب

البتر 47، 87، 89، 199، 218

البربر 44، 46، 47، 72، 73، 100، 115، 121، 122، 129، 191، 198، 201، 202، 203، 205، 207

بطالسة 203

بكر 4، 5، 6، 11، 27، 31، 57، 60، 67، 134، 137، 138، 144، 149، 151، 168، 173، 174، 175، 177، 178، 179، 181، 184، 185، 204، 209، 213، 226، 244، 265

بنو أبي سعيد 236

بنو إسرائيل 47، 201

Scanned by CamScanner

بنو أمية (الأمويون) 189، 194، 238، 257

بنو الأحمر 17

بنو العباس (العباسيون) 190، 238

بنو القاسم 211

بنو تومرت 207

بنو ثابت بن منديل 263

بنو جرار 265

بنو جقي 212

بنو حام 201

بنو خزر 194 - 195

بنو خلدون 4، 6

بنو دلول 212

بنو راشد 259

بنو زيان 14، 95، 66

بنو سام 202

بنو طاع الله (أو بنو أطاع الله) 212

بنو عامر 264

بنو عبد المؤمن 217

بنو عبد الواد 71، 203، 207، 214، 220

بنو علا الناس (علناس) بن حماد 157

بنو غانية 130، 219

بنو كنعان 201

بنو مرين 214، 228، 264، 265

بنو مطهر 212، 220، 226

Scanned by CamScanner

بنو معدّ انظر: معد
بنو معطي 212
بنو نصر 259
بنو ورسطف 207
بنو ورنيد 244
بنو وعزان 212
بنو وللّو 2079
بنو ياتكتن 207
بنو يعقوب (أسرة أندلسية بتونس) 6
بنو يعقوب (النبي) 212
بنو يغمراسن بن زيان 154
بنو يفرن 194

ت

تغلب 44، 211
توبة 29، 253
توجين 205، 227، 228، 229، 230، 231، 234، 235، 239، 240، 253

ث

ثابت بن منديل 263
الثعالبة 262، 264
ثوبة (أو توبة) انظر: توبة

ج

جزناية 203

ح

حصين 261
الحفصيون 11

Scanned by CamScanner

جمئير 47، 201، 202

خ

خندف 146

د

دبّاب 226
دلّاج 6
الدواودة 20، 22، 23، 24، 25، 28، 30، 66، 67
الديالم 24، 259، 260

ر

راشد (بنو) انظر: بنو راشد
ربيعة 238
رتيمة 203
الروم 202، 228، 239
رياح 24، 65

ز

زغبة 24، 27، 36
زناتة 47، 71، 115، 130، 194، 201، 203، 204، 211، 239، 251
زواوة 170، 236، 253
زيان 14، 21، 22، 24، 25، 27، 36، 37، 38، 44، 65، 66، 67، 68، 69، 71، 72، 86، 94، 95، 102، 114، 116، 152، 154، 155، 160، 163، 168، 169، 184، 212، 214، 220، 221، 225، 229، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 244، 246، 247، 251، 257، 259، 260، 267، 268

Scanned by CamScanner

س

سام 47، 126، 132، 201، 202

سبّاع 28

سدويكش 22

سليم 6، 17، 241، 251، 261

سويد 20، 27، 28، 34، 35، 36، 37، 66، 67، 68، 259، 262

الشيعة 192، 193، 194، 259

ص

الصفرية 191

صنهاجة202

ع

العباسيون انظر: بنو العباس

العبيديون (الشيعة) انظر: الشيعة

عجيسة 265

العرب 10، 14، 20، 22، 23، 27، 30، 36، 39، 44، 50، 57، 73، 88، 96، 101، 131، 202، 226، 228، 231، 234، 252، 262، 264

العطاف 260

العمالقة 202

غ

غريب 137، 264

غياثة 203

الفرس 191، 201

ق

القاسم 8، 11، 71، 135، 136، 137، 138، 140، 141، 171، 172،

Scanned by CamScanner

173، 174، 176، 186، 187، 192، 193، 197، 211، 212، 213، 214،
215، 253، 259
القبط 129، 201، 202
قرفة 226
قريش 189
قيس 47، 71، 72، 146، 178، 189، 196، 201، 202، 203، 207،
208، 258

ك

كتامة 202
كنعان 201

ل

لمتونة 130، 152، 219
لمطة 202
لواتة 202

م

مجاصة 203
المرابطون 98، 195
المرينيون انظر: بنو مرين
مصمودة (أو المصامدة) 189
مصوجة 207
مضر 196، 202، 207
معدّ 212
مغراوة 68، 198، 230، 234، 235، 253، 260، 262، 263، 264
مكناسة 203

Scanned by CamScanner

مليكش 205، 236

مليلة 205

الموحدون 71، 98، 195، 196، 225، 227، 241

الموحدون 98، 195، 196، 225، 227، 241،

ن

النصارى 201، 226، 228

نفزة 203

نفوسة 203

ه

هسكورة 13، 14، 207

هوارة 205، 253

و

ورتناج 203

ورسطف 207

ورنيد 244

وعزان 212

ولهاصة 203

ونيفن 253

ي

ياتكتن (بنو) انظر: بنو ياتكتن

يطوفت 203

يفرن (بنو) انظر: بنو يفرن

يكريمن الأصغر (أولاد) انظر: أولاد يكريمن

Scanned by CamScanner

3. فهرس أسماء الأمكنة

أ

أبو تيصفت 238

أبو فهر (تلمسان) 239

أجادير، 143، 149، 154، 196، 199

أجرواو، 262

الأربعاء، 86، 138، 226، 228، 233، 237، 243، 254، 257، 261، 263، 264

آسفي، 138، 147، 202

أسكاك 254

الإسكندرية، 202

الأشبور 261

إشبيلية، 4، 57، 136، 138، 164

أطرابلس، 190

أغمات 94

أغمات وريكة 136

إغيل ان توفلين265

أفران الجيار 231

إفريقية، 4، 8، 9، 10، 11، 14، 15، 18، 19، 38، 63، 72، 95، 97، 99، 102، 121، 131، 171، 186، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 197، 201، 207، 211، 226، 227، 240، 241، 242، 243، 248، 251، 260

Scanned by CamScanner

أنجاد، 207، 214
الأندلس، 11، 26، 28، 31، 54، 59، 63، 64، 95، 96، 98، 99، 100، 102، 131، 133، 136، 137، 167، 175، 189، 194، 197، 239، 258
أوماكرّا، 228
اصطفصيف، 129، 254

ب

باب البنود (تلمسان) 231
باب الجياد، 129، 157، 160، 185
باب الحديد (تلمسان) 193
باب الحلوي، 129
باب الحمام، 129
باب الخوخة (تلمسان) 129
باب العقبة، 129، 149، 153، 165، 226
باب الفتوح، 195
باب القرمدين، 166، 167
باب المعلى (مكة) 153
باب الملعب (تلمسان) 239
باب زيري أو باب زير (تلمسان) 141
باب علي، 167
باب كشوطة، 72، 129، 140، 167، 169، 239، 245
باب وهب، 143، 180
بجاية، 5، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 39، 63، 64، 65، 130، 164، 170، 178، 184، 230، 236، 237، 239، 240، 241، 242، 253

Scanned by CamScanner

بحر الروم، 202
البحر المحيط، 202
برشك، 169، 230، 262
برقة 202
بسكرة، 15، 23، 24، 30، 31، 39
البصرة، 210
البطحاء، 28، 62، 65، 253
بقصبة تونس، 11
بقصبة، 11
بكر، 4، 5، 6، 11، 27، 31، 57، 60، 67، 134، 137، 138، 144، 149، 151، 168، 173، 174، 175، 177، 178، 179، 181، 184، 185، 204، 209، 213، 226، 244، 265
بلطة، 253
بلنسية، 58
بني وادي (حصن) 242
بوادي رهيو، 260
بوادي شلف، 236، 263، 264
بوادي ملوية، 191

ت

تاجرارت، 130، 195، 196، 199، 228، 247
تازا، 136، 192
تاسالا، 243
تاسالة، 248
تاغيت ونفيف 261

Scanned by CamScanner

تامزجزجت، 241
تاهرت، 121
تاوريرت، 242
تبسّة، 15
تدلس، 9، 22، 65، 263
تسول 192
تفرجنيت، 230
التلّ، 217، 236
تلمسان، 1، 9، 11، 12، 17، 19، 21، 24، 26، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 40، 42، 43، 44، 46، 47، 51، 62، 64، 65، 66، 68، 69، 71، 72، 74، 85، 87، 95، 101، 111، 119، 123، 125، 126، 127، 129، 132، 135، 138، 140، 141، 143، 144، 145، 150، 151، 152، 154، 157، 158، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 173، 174، 178، 180، 184، 189، 192، 194، 195، 196، 198، 211، 213، 214، 217، 219، 220، 221، 226، 227، 230، 231، 234، 236، 240، 243، 244، 249، 251، 253، 254، 257، 263، 264
تنس، 230، 262، 263
تهودة، 189
توكال، 239
تونس، 5، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 15، 19، 62، 65، 66، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 159، 167، 181، 229، 230، 241، 242، 251، 252، 253، 257، 259، 262
تيطرّي، 67
تيعزيزن 261

Scanned by CamScanner

تيفرجنيت، 235
تيمزوغت 261

ث

ثنية الفندق، 252

ج

جاجرت، 240
الجامع الأعظم (أجادير) 154
الجامع الأعظم (إشبيلية) 138
الجامع الأعظم (تلمسان) 140
الجامع الأعظم، 138، 140، 144، 152، 154، 161
جامع باب البنود (تلمسان) 231
جامع فاس الجديد 140
جامع قرطبة 136
جبل الزان، 253
جبل بني أبي خليل، 264
جبل بني ثابت، 236
جبل بني يزناسن، 226
جبل توكال 239
جبل تيرني 227
جبل تيمزجزجت، 227
جبل جيدزة، 231
جبل حنش 231
جبل زرهون، 190
جبل مصاب 207

Scanned by CamScanner

جبل موصاية، 237
جبل هسكورة، 207
جبل وانشريس، 239
جبوب بني مزغنان 264
جبيرة 240
جربة، 6
الجزائر، 61، 63، 75، 86، 92، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 236، 260، 262، 264، 265
جمعة العز، 254

ح

الحجاز، 143
حدادة 253
حضرموت، 4، 10
الحضنة، 22، 30
حمزة، 240، 261
حومل، 125

خ

خليص، 157، 181
الخورنق 122

د

الدار البيضاء، 98، 100، 101، 102، 237
دار الراحة، 152
دار السرور 239
دار الملك، 247، 261

Scanned by CamScanner

دار النارنج 219
درعة، 189
دغيس 240
دمشق، 101، 102، 258

ذ

ذراع الصابون، 231
ذو قار 228

ر

ربوة العشاق (تلمسان) 125
رحبة إيمن تجمّي (تلمسان) 243
الرصافة، 122
رهيو 229

ز

الزاب، 15، 23، 24، 128، 196
زاغز، 28
الزلاقة، 207، 213

س

ساقية الرومي (تلمسان) 123
سبتة، 10، 192
سجلماسة، 207، 228، 240، 242، 243، 262
السدير 122
سردانية 202
السرسو، 28، 260
سطيف 23

Scanned by CamScanner

سلا، 128، 144
السودان، 144، 202
السوس 13
السوس الأدنى، 194
السوس الأقصى، 121، 202
السوس، 13، 121، 189، 194، 202
سويقة أجادير 143

ش

الشام، 47، 115، 201
شرشال 262
الشرق، 231، 235، 237، 239، 263
الشريعة، 53، 166، 226
شطّ الحضنة 22
شلف، 28، 68، 234، 253، 261، 263

ص

الصحراء، 64، 122، 144، 207، 211، 217، 231، 234، 236، 262
الصفصيف، 125، 134، 255
صقلية، 202

ط

طرابلس، 197
طريف، 11
طنجة، 121، 189، 202

ع

العبّاد، 123، 125، 142، 143، 164، 165، 171

Scanned by CamScanner

العراق، 12، 143، 157، 176

عنابة (أو بونة أو بلد العناب) 4، 23

عين أم يحيى، 127

عين الكسور، 166

عين وانزوتة 142

غ

غدير الجوزة 127

غرناطة، 9، 11، 17، 32، 33، 41، 63، 96، 178

ف

فاس الجديد، 140

فاس، 13، 14، 16، 17، 31، 32، 42، 63، 95، 97، 99، 100، 101، 140، 171، 191، 192، 195، 197

فدك، 146

فرجيوة، 23

فلسطين 47

الفوّارة (تلمسان) 126

ق

القاهرة، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 173

قرطبة، 136، 193، 235

قسنطينة، 5، 15، 19، 20، 23، 98، 241، 242

القصر القديم (تلمسان) 219

قصر بني بقيلة، 209

قطنيانة، 164

قفصة، 15، 150

Scanned by CamScanner

قلعة النسر، 211
قلعة بني سلامة، 20، 28
القيروان، 10، 11، 14، 97، 100، 190، 252
قيسرية آسفي 138

ك

كدية العشاق (أو ربوة العشاق) 125
كرمان، 208
الكوفة، 209

ل

لوريط، 129
ليزّو، 253

م

مأرب، 202
مأسل، 125
ماء تغالين، 231
مازونة، 230، 260
مالقة، 11، 178
متيجة، 236، 262، 264
مجشر ابن الصيقل 231
المدريسة، 260
المدية، 36، 230، 236، 237، 261
مراكش، 13، 94، 136، 137، 150، 167، 169، 170، 195، 226، 227، 228، 245
المرج (تلمسان) 157

Scanned by CamScanner

مرج راهط، 258
مرسية، 165، 168
مرماجنة، 5
المرية 11
مسجد باب إيمن تيجمّي (تلمسان) 141
مسجد باب الراحة (العبّاد) 152
مسجد عين الكسور 166
مسون، 192
المسيلة، 28، 194
المشرق، 12، 15، 73، 157، 170، 193
مصر، 62، 69، 98، 101، 165، 202، 205
المصلى، 126، 183
المغرب الإسلامي، 41، 46، 59
المغرب الأقصى، 15، 28، 32، 33، 68، 100، 101، 121، 122، 189، 196، 202
المغرب الأوسط، 13، 14، 15، 26، 27، 28، 30، 34، 51، 66، 189، 190، 194، 195
المغرب، 4، 13، 14، 15، 26، 27، 28، 30، 32، 33، 34، 38، 39، 41، 44، 45، 46، 47، 51، 54، 59، 62، 66، 68، 73، 95، 98، 99، 100، 101، 102، 121، 122، 130، 131، 138، 151، 159، 164، 168، 170، 178، 179، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 201، 202، 207، 208، 230، 231، 240، 242، 243، 245، 246، 252، 263، 264، 267
مقرة 22

Scanned by CamScanner

مكة، 61، 181، 210
ملاتة 129
الملعب، 126
ملوية، 192
مليانة، 24، 68، 236، 237
منداس، 260
المنستير 190
المنصورة، 249
المنية، 18، 166، 232
ميورقة 202

ن

ندرومة، 9، 220، 231، 243، 258، 259
النيل، 32

هـ

الهساكرة، 158
هنين، 28

و

الواد الشارف 242
وادي إيسلي 227
وادي الجنان 239
وادي القصب 264
الوادي الكبير، 241
وادي بجاية، 240، 265
وادي تهل، 236

Scanned by CamScanner

وادي زا (أو صا) 243

وادي شلف، 229، 236، 265

وادي ملوية (أو ملوية) 191

وادي ورك 260

وانشريس، 230

وجدة، 115، 171، 236

الوريط، 124

وليلي 190

وهران، 36، 37، 38، 195، 226، 243، 259، 260

ي

يابسة 202

يسّر 229

اليمامة، 209

Scanned by CamScanner

4. فهرس أسماء الكتب
الوارد ذكرها في كتاب " بغية الرواد "، الجزء الأول.

الأحكام 121

أرجوزة أبي إسحاق التلمساني 143

الاستيعاب لابن عبد البرّ 129

البرهان للجويني 169

تاريخ ابن أبي الفياض 207

ترتيب كتاب اللخمي على المدونة لأبي عبد الله التميمي 171

التشوف لابن الزيات التادلي 172

تفسير القرآن لأبي العيش بن عبد الرحيم الخزرجي 168

الجغرافية للزهري 134

حجة الحافظين ومحجة الواعظين لأبي عبد الله بن الحجام 137

الدرّ المنظوم لأبي القاسم العزفي 140

شرح الأحكام الصغرى لأبي عمرو عثمان بن صاحب الصلاة 153

شرح الأسماء الحسنى لأبي العيش بن عبد الرحيم الخزرجي 138

صحيح البخاري 149

Scanned by CamScanner

الفوائد للدارقطني 131

الكتاب (القرآن) 138، 168، 210، 231، 232

مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار لأبي زكرياء بن محمد بن طفيل 137

المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار لأبي عبد الله بن عبد الحق 149

مختصر الإشراف لابن المنذر 136

المدونة الكبرى لسحنون 167

المسالك والممالك للبكري 133

المعجم في مشتبه أسامي المحدثين للهروي 131

المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى لأبي الحسن بن أبي قنون 135

المنتقى للباجي 149

Scanned by CamScanner

2. تكوين يحيى ابن خلدون الفكري 7
أ) المرحلة الأولى (734 - 749 هـ) 7
ب) تكوين يحيى ابن خلدون أثناء حركة أبي الحسن المريني إلى افريقية 8
1. السَّطِّيّ. 9
2. ابن الصَّبَّاغ 9
3. ابن عبد النور. 9
4. ابن عبد الْمُهَيْمِن الحضرمي 9
5. ابن رضوان. 11
6. ابن شعَيْب. 12
7. الآبلِيّ. 12
ج) بعد الاستيلاء المريني 14
3. نشاط يحيى ابن خلدون السياسي 18
أ) نشاط يحيى ابن خلدون قبل دخوله في خدمة أبي حمُّو الثاني 19
ب) يحيى ابن خلدون في بلاط أبي حمُّو الثاني 24
ج) يحيى بن خلدون في البلاط المريني 29
د) عودة يحيى ابن خلدون إلى تلمسان 33
هـ) وفاة يحيى ابن خلدون 36
ب. آثار يحيى ابن خلدون 39
1. تاريخ تأليف " بغية الرواد " وعنوانه 39
2. مضمون الكتاب 43
3. مصادر " بغية الرواد " 46
4. نظرية يحيى ابن خلدون في التاريخ 48
5. منهجية التاريخ عند يحيى ابن خلدون 49
6. أسلوب يحيى بن خلدون 54

Scanned by CamScanner

نماذج من صور المخطوط.. 76
عمل المحقق في الكتاب.. 85
8. خطة تحقيق كتاب " بغية الرواد " 88
أ) نشرة ألفرد بيل 88
ب). اختيار النسخة الأساسية.. 89
ج) تحقيق النص 90
9. قائمة المصادر والمراجع 94
أ) المصادر والمراجع العربية 94
الجزء الأول.. 111
مقدمة المؤلف 113
القسم الأول (في التعريف بكنه قبيل بني عبد الواد وأوّليته).......................... 119
الباب الأول منه في ذكر محلّ اعتمار بني عبد الواد أعزهم الله من الأرض.......... 121
الفصل الأول في اسمه ووصفه 121
الفصل الثاني في تعداد مَنْ أنجبته تلمسان أو استقرَّ بها من العلماء والصالحين........ 135
(1. أبو زكريا بن يوغان).. 135
(2. أبو الحسن بن أبي قنون) 135
(3. أبو الحسن ابن عِمران) 136
(4. أبو الحسن القلي).. 136
(5. أبو موسى الأوْرَبي) 136
(6. أبو موسى ابن عِمْران) 136
(7. أبو موسى ابن تامحَجلت).. 137
(8. أبو عبد الله ابن الحَجّام) 137
(9. محمد بن إبراهيم الغسّاني) 138
(10. أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرَجي).. 138
(11. عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي) 140
(12. أبو عبد الله الخضّار).. 140
(13. أبو الحسن الخضّار).. 140
(14. أبو علي ابن مَرْوان).. 140
(15. أبو عمران بن عمران) 140
(16. أبو الحسن ابن الصيقل) 141
(17. أبو إسحاق الطيّار).. 141
(18. أبو محمد المجاصي) 141
(19. أبو يعقوب التيفريسي).. 142
(20. أبو العلى المديوني) 143
(21. أبو عثمان بن أبي إسحاق).. 143

Scanned by CamScanner

(22. أبو عليٍ الْحَبّاك) 143
(23. أبو عَمْرو بن علي بن الحسن) 144
(24، أبو الربيع التلمساني) 144
(25. أبو إسحاق التلمساني) 144
(26. أبو عبد الله ابن خميس) 145
(27. أبو عبد الله بن عيسى) 149
(28. أبو عبد الله بن عبد الحق) 149
(29. أبو عبد الله ابن مروان) 150
(30. أبو عبد الله الفازازي) 150
(31. أبو عِمران ابن مروان) 150
(32. أبو يوسف بن حَمُّود) 151
(33. يوسف بن عليٍ التلمساني) 151
(34. أبو إسحاق التَّنَسِيّ) 151
(35. أبو الحسن التَّنَسِيّ) 151
(36. أبو عبد الله ابن مرزوق) 151
(37. أبو العباس ابن مرزوق) 152
(38. أبو عبد الله ابن مرزوق الخطيب) 153
(39. أبو زكريا يحيى بن الصيقل) 153
(40. أبوالعباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة) 153
(41. أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة) 153
(42. أبو عبد الله بن هدية) 153
(43. أبو علي ابن هدِية) 154
(44. أبو الحسن ابن هدية) 154
(45. أبو عبد الله ابن عيسى) 154
(46. وَهْب بن مُنَبِّه) 154
(47. أبو عثمان ابن الخياط) 155
(48. أبو عبد الله ابن الْحَمّال) 155
(49. أبو العبّاس ابن الْخَيَّاط) 155
(50. أبو إسحاق الخيّاط) 155
(51. أبو الحسن ابن الْحَمّال) 155
(52. أبو عبد الله ابن الحمّال) 155
(53. أبو إسحاق ابن اللجّام) 156
(54. أبوعبد الله المسناوي) 156
(55. أبو محمد المسناوي) 156
(56. أبو عبد الله ابن التلّد 156

Scanned by CamScanner

(57. أبو عبد الله ابن النجّار) 156
(58. أبو الحسن ابن الفحّام) 156
(59. أبو يوسف الصنهاجي) 157
(60. أبو زيد الصنهاجي) 157
(61. أبو يوسف بن أبي زيد الصنهاجي) 157
(62. محمد بن أبي زيد الصنهاجي) 157
(63. أبو عبد الله بن قطرال) 157
(64. أبو عبد الله المصمودي) 157
(65. أبو عبد الله الآبلي) 157
(66. أبو عبد الله الشريف) 158
(67. أبو محمد بن أبي عبد الله الشريف) 158
(68. أبو عبد الله الْمَقَّرِيّ) 158
(69. أبو الحسن الْمَقَّرِيّ) 158
(70. أبو زكرياء ابن عصفور) 159
(71. أبو إسحاق بن علي) 159
(72. أبو الحسن ابن زاغو) 159
(73. أبو عِمران موسى الْمَشَدّالي) 159
(74. أبو عِمران موسى البُخاري) 159
(75. أبو عبد الله بن عبد النور) 159
(76. أبو الحسن بن عبد النور) 159
(77. أبو الحسن ابن النجارية) 160
(78. أبو يعقوب أَحَضرِي) 160
(79. أبو زكريا بن أَدَغْيُوس) 160
(80. أبو زكريا ابن رَحْمُون) 160
(81. أبو العباس ابن رحمون) 160
(82. أبو مهدي ابن رحمون) 160
(83، أبو زيد ابن رحمون) 160
(84. أبو العباس الْمُشَوّش) 161
(85. أبو العباس ابن الْمُشَوّش) 161
(86. أبو عبد الله بن محمد ابن الْمُشَوّش) 161
(87. سعيد العُقْبانِيّ) 161
(88. أبو عبد الله ابن البناء) 161
(89. أبو محمد الحبّاك) 163
(90. عبد السلام التونسي) 163

Scanned by CamScanner

(92. أبو جعفر الداودي) 165
(93. ابن غزلون).. 165
(94. أبو عبد الله الحلوي).. 165
(95. ميمون بن جبارة).. 167
(96. أبو محمد الْمليتي).. 167
(97. أبو بكر بن خَطَّاب الغافِقِيّ) 168
(98. أبو بكر ابن سعادة الإشبيلي).. 168
(99. أبو الطاهر بن إبراهيم التونسي).. 169
(100. أبو زيد ابن الإمام) 169
(101. أبو موسى ابن الإمام).. 169
(102. عِمْران الْمَشَدَّالِيّ) 170
(103. أحمد المشدالي) 170
(104. أبو علي بن يوسف السَّبْتِيّ).. 170
(105. أبو القاسم بن أبي علي السبتي).. 171
(106. أبو عبد الله محمد بن أحمد التميمي) 171
(107. أبو العباس بن محمد التميمي).. 171
(108. أبو عبد الله بن محمد التميمي).. 171
(109. أبو علي منصور الزواوي).. 171
الفصل الثالث من الباب الأول من القسم الأول.. 189
(فيمن تملك تلمسان من لدن الفتح) 189
(المغرب الأوسط في عهد الولاة) 189
(المغرب الأوسط في عهد الأدارسة).. 190
(المغرب الأوسط في عهد بني خَزَر الْمَغْراويين).. 194
(المغرب الأوسط في عهد المرابطين) 195
(المغرب الأوسط في عهد الموحدين).. 195
الباب الثاني من القسم الأول في التعريف بجنس هذا القبيل الكريم وفضله.. 201
الفصل الأول في ذكر البربر ومنتمى زناتهم 201
الفصل الثاني في التعريف بقبيل عبد الواد أعزهم الله.. 207
الباب الثالث من القسم الأول في التعريف بأولية بني عبد الواد وترحيل أيامهم 217
الفصل الأول في ذكر أوليتهم 217
الفصل الثاني في ذكر سبب مصير الْمُلْك إليهم 219
الفصل الثالث في ذكر مَنْ ولي غير مُسْتَبِدٍّ منهم.. 220
القسم الثاني في ذكر السلاطين الأول من بني عبد الواد 223
الباب الأول من القسم الثاني في ذكر دولة أمير المسلمين [أبي يحيى] يغمراسن بن زيان ودول عثمان ابنه وبنيه رضوان الله على جميعهم 225

Scanned by CamScanner

1) دولة أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان رضوان الله عليه 225
2) دولة السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان رضي الله عنه 229
3) دولة السلطان أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان 232
4) دولة السلطان أبي حمو ابن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان رضوان الله عليهم 235
5) دولة السلطان أبي تاشفين ابن السلطان أبي حمو ابن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان 238
الباب الثاني من القسم الثاني في ذكر إحياء الدولة عقب العفاء وظهورها بعد طول الخفاء.... 251
الباب الثالث من القسم الثاني في ذكر دولة السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان...................... 257

الفهارس

1. فهارس الأعلام 271
2. فهرس أسماء القبائل والأجناس...................... 328
3. فهرس أسماء الأمكنة 335
4. فهرس أسماء الكتب الوارد ذكرها في كتاب " بغية الرواد "، الجزء الأول......... 348
فهرست الكتاب...................... 350

Scanned by CamScanner

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة

في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

Scanned by CamScanner